# دروس رمضان

للشيخ محمد إبراهيم الحمد

## أياما معدودات

الحمد لله الذي جعل في السماء بروجًا وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا ، وهو الذي جعل الليلَ والنهارَ خِلْفَةً لمن أراد أن يذَّكر أو أراد شكورًا ، وصلى الله على مَنْ بُعِثَ بالهدى ودين الحق بشيرًا ونذيرًا ، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره وسلم تسليمًا كثيرًا ، أما بعد :

فإن رمضانَ أيامٌ معدوداتٌ ، وفرصٌ سانحاتٌ ، وإن اغتنام هذه الأيام لدليلُ الحزم ، وإنَّ انتهاز تلك الفرص لعنوانُ العقل ؛ ذلكم أن الوقت رأسُ مالِ الإنسان ، وساعات العمرِ هي أنفسُ ما عني الإنسان بحفظه ؛ فكل ساعة من ساعاتِ عُمُرِكَ قابلةٌ لأن تضعَ فيها حجرًا يزداد به صرحُ مجدِك ارتفاعًا ، ويقطع بها قومك في السعادة باعًا أو ذراعًا .

فإن كنت حريصًا على أن يكون لك المجدُ الأسمى ، ولقومك السعادةُ العظمى ، وأن تفوز بخيري الآخرة والأولى – فَدعِ الراحةَ جانبًا ، واجعل بينك وبين اللهو حاجبًا ؛ فالحكيمُ الخبيرُ يَقْدُرُ الوقتَ حقَّ قدره ، ولا يتخذه وعاءً لأبخس الأشياء ، وأسخف الكلام ، ويعلم أنه من أجلِّ ما يصان عن الإضاعة والإهمال ، وَيقْصُره على المساعي الحميدة التي ترضي الله ، وتنفع الناس .

ولعظم شأن الوقت أقسم به اللهُ في غير مـــا آية من كتابه العزيز قال ﷻ ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ ﴾ [1] (الليـــل : ١– ٢) وقـــال : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾ [2] (الضحى : ١– ٢) وقـــال : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١

(١) سورة الليل آية : ١ – ٢ .
(٢) سورة الضحى آية : ١ – ٢ .

إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ ﴾ [(١)] (العصر : ١– ٢) .

ولئن كان حفظُ الوقتِ مطلوبًا في كل حين وآن ، فلهو أولى وأحرى بالحفظ في الأزمنة المباركة .

ولئن كان التفريطُ فيه وإضاعتُه قبحًا في كل زمان ، فإن قبح ذلك يشتد في المواسم الفاضلة .

ومن الناس مَنْ قَلَّ نصيبه من التوفيق ، فلا تراه يلقي بالًا لحكمة الصوم ، ولا لفضل الشهر ، فتراه يجعل من رمضان فرصةً للسهر واللهو الممتد إلى بزوغ الفجر ، والنومِ العميق في النهار حتى غروب الشمس .

ولا يخفى على عاقل لبيب ما لهذا الصنيع من أضرار على دين الإنسان ودنياه ، فهو قلب للفطرة ، فالله ﷻ جعل الليل لباسًا ، والنهار معاشًا ، كما أنه إضاعة للوقت ، وتعطيل للمصالح .

ومن كان هذا صنيعَه فلن يرجى منه خيرٌ في الغالب لا لنفسه ولا لغيره .

ثم إن السهرَ سببٌ لإضاعة حقوق الأهل والوالدين ؛ فالذي يسهر الليل في مشاهدة الحرام ، ويعكف أمام ما تبثه الفضائيات من شرور سيضيِّع أولاده وزوجته إن كانوا يشاهدونها معه ، وإن كان يسهر خارجَ المنزل كان ذلك سببًا في بعده عن بيته ، وغفلته عما استرعاه الله إياه ، وإن كان شابًّا في مقتبل عمره أقلق والديه بطول سهره ، وبعده عن المنزل .

ثم إن الذي يسهرُ ليله وينام نهارَه سيضيع صلة أرحامه ؛ إذ لا وقت لديه لِصِلتهم ، وهكذا تنفصم عرى الأمة ، وتنفك روابطها .

كما أن السهر أمام تلك الفضائيات له آثارُه السلوكيةُ المدمرةُ ، ومنها الصد عن سبيل الله ، وإضعاف أثر الدين في النفوس ، وذلك من خلال ما تبثه من مشاهد

(١) سورة العصر آية : ١ – ٢ .

فاضحة ، وما تطرحه من شبهات كثيرة تطعن في الدين ، وتُلْقى على عقول خواء ، وأفئدة هواء .

ومن آثارها : التمرد على القيم النبيلة ، والأخلاق الفاضلة ، والآداب المرعية .

ومنها : شيوع العادات السيئة كالاستهانة بمحارم الله ، والاستخفاف بشعائر الدين .

ومنها : الإعجابُ بالكفار وتقليدهم في مستهجن عاداتهم من نحو الملبس ، والهيئة ، وقصات الشعر ، وما إلى ذلك .

ومنها : انتشار الجريمة ، وشيوع المظاهر المخلة بالأمن كالقتل ، والسرقة ، وتعاطي المخدرات ونحو ذلك .

ومنها : الزهد بالفضيلة والعفاف ، وذلك من خلال الافتتان بالمذيعات والممثلات والمغنيات ؛ فقد يفضي ذلك الصنيعُ إلى الزهد بالزوجات ؛ لأن بعض مشاهدي تلك القنوات – لفرط جهله – يعقد مقارنة ظالمةً بين زوجته وبين ما يشاهده من تلك النسوة اللاتي نزعن الحياءَ ، ووضعْنَ من الأصباغ ومواد التجميل ما يغري بهن .

وهذه مقارنةٌ ظالمةٌ لم تُبْنَ على أسس سليمة ؛ إذ تغافل ذلك المُقارِنُ عن عفاف زوجته ، وسترها ، وحيائها .

بل ربما تكون أجملَ مما يشاهد ، ولكن الشيطان يقبحها في عينه ، ويزين ما يشاهده في نفسه .

أيها الصائمون : ومن آثار السهر أن له آثارًا على نَفْس الإنسان وخُلُقِه ؛ إذ يصبح ونفسه كزَّةٌ ، وخلقُه سيئٌ ؛ وذلك لما للسهر من تأثير على الأعصاب ؛ فينتج من جَرَّاء ذلك انقباضُ النفس ، وقلة احتمالها .

ولو لم يأت من آثار السهر إلا أنه سبب لترك صلاة الفجر لكفى .

أما النوم الكثير – خصوصًا بالنهار – فلا يخفى ضرره ؛ فذلك مضيعة للوقت ، وحرمانٌ للبركة ؛ فالنومُ يعطل قوةَ العقل ، ويُلْحِقُ الإنسان بالخشب المسندة .

وبما أن أمرَه غالب ما له من مَرَد فإن أولي الحكمةِ لا يخضعون لسلطانه إلا حيثُ يَغْلب على أمرهم ، ولا يعطونه من الوقت إلا أقلَّ مما تفرضُه عليهم الطبيعةُ البشرية ، ويبتغون بذلك أن تبقى عقولهم في حركات تثمر علمًا نافعًا ، أو عملا صالحًا .

فحقيق على هؤلاء المُفرِّطين المضيعين أوقاتَهم أن يتنبهوا لأسرار الصيام ، وأن يغتنموا مدرستَه العظيمة ؛ ليجنوا ثمارَه الصحيحةَ ، ويستمدوا منه قوةَ الروح ؛ فيكون نهارُهم نشاطًا وإنتاجًا وإتقانًا ، وتعاونًا على البر والتقوى .

ويكون ليلُهم تهجدًا وتلاوةً لكتاب ربهم ، ومحاسبةً لأنفسهم على ضوئه ؛ ليخرجوا من مدرسة الصيام مفلحين فائزين .

اللهم أيقظنا من رقدات الغفلات ، وأعنا على اغتنام الأوقات في الباقيات الصالحات ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

## وكلوا واشربوا ولا تسرفوا

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد :

فإن للصيام آدابًا كثيرةً ، ومن تلك الآداب : أن يقتصدَ الصائمُ في طعامه وشرابه .

ومما يلحظ على بعض الصائمين –بل على أكثرهم– أنهم يجعلون شهرَ رمضانَ موسمًا سنويًّا للموائد الزاخرة بألوان الطعام ، فتراهم يُسرفون في ذلك أيّما إسرافٍ ، وتراهم يتهافتون إلى الأسواق ؛ لشراء ما لذّ وطاب من الأطعمة التي لا عهدَ لهم بأكثرها في غير رمضان .

والنتيجة من وراء ذلك : إضاعةُ المال ، وإرهاقُ الأبدان في كثرة الطعام ، وثِقَلُ النفوس عن أداء العبادات ، وإهدارُ الأوقات الطويلة بالتسوّق ، وإعداد الكميّات الهائلة من الأطعمة التي يكون مصيرُها في الغالب صناديقَ الزِّبل .

إن هذا الاستعدادَ المتناهيَ الذي يقع فيه أكثر المسلمين لرمضان بالتفنن والاستكثار

من المطاعم والمشارب – مخالفٌ لأمر الله ، منافٍ لحكمة الصوم ، مناقضٌ لحفظ الصحة ، معاكسٌ لقواعد الاقتصاد .

ولو كان هؤلاء متأدبين بآداب الدين لاقتصروا على المعتاد المعروف من طعامهم وشرابهم ، ولأنفقوا الزائد في طرق البر والإحسان التي تناسب رمضان ، من إطعام الفقراء واليتامى والأيامى ، وتفطير الصّوام المعوزِين ، ونحو ذلك .

والغالب أن يكون لكل غنيٍّ مسرفٍ من هذا النوع جارٌ أو جيران من الفقراء والمساكين ، وهم أحق الناس ببر الجار الغني ، وإن لم يكن لهؤلاء الأغنياء جيرانٌ من هذا النوع فإنه يحسن صرفها في وجوه الخير .

ولو فعل الأغنياء المسرفون ذلك لأضافوا إلى قربة الصوم قربةً عظيمة عند الله ، ألا وهي الإحسان إلى المعدمين ، وللقيام بهذه الخصلة من الخير مزيّة في المجتمع ؛ لأنها تقرب القلوبَ في هذا الشهر المبارك ، وتشعر الصائمين كلَّهم بأنهم في شهر إحسان ، ورحمة وأخوَّة .

ثم إن الإنسان لو طاوع نفسَه في تعاطي الشهوات ، والتهام ما حلا من المطاعم وما مرّ ، وما برد منها وما حرّ ، وطاوع نفسه باستيفاء اللذة إلى أقصى حد – لكانت عاقبةُ أمره شقاءً ووبالًا ، ونقصًا في صحته واختلالًا ، ولكانت الحميةُ في بعض الأوقات واجبًا مما يأمر به الطبيب الناصح ؛ تخفيفًا على الأجهزة البدنية ، وادخارًا لبعض القوة إلى الكِبَر وإبقاءً على اعتدال المزاج ، وتدبيرًا منظمًا للصحة .

وإن ذلك لهو الحكمة البارزة في الصوم ، فكيف يُقْلَبُ الأمر رأسًا على عقب ؟ ! ويجعل من شهر الصوم ميدانًا للتوسع في الأكل والشرب ؟ ! .

قال الله ﷻ ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [1] .

قال بعض العلماء : " جمع الله بهذه الآية الطبَّ كلَّه " .

(١) سورة الأعراف آية : ٣١ .

قال النبي " : ﴿ ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًّا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلثٌ لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه ﴾ [1] أخرجه أحمد ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

أيها الصوام : لا يخفى على عاقل ما للتوسع في المآكل والمشارب من عواقب وخيمة على دين المرء ودنياه زيادةً على ما مضى ؛ فهو مما يورث البلادة ، ويعوق عن التفكير الصحيح ، وهو مدعاةٌ للكسل ، وموجبٌ لقسوة القلب ، وهو سببٌ لمرض البدن ، وتحريك نوازع الشر ، وتسلُّط الشيطان .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " وقد ثبت عن النبي " أنه قال : ﴿ إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ﴾ [2] رواه البخاري .

ولا ريب أن الدَّمَ يتولد من الطعام والشراب ؛ ولهذا إذا أكل أو شرب اتسعت مجاري الشيطان ، ولهذا قيل : " فضيقوا مجاريَه بالجوع " .

وإذا ضاقت انبعثت القلوب إلى فعل الخيرات التي تُفْتَحُ بها أبواب الجنة ، وإلى ترك المنكرات التي تفتح بها أبواب النار ، وصفِّدت الشياطين ، فضعفت قوتُهم وعملُهم بتصفيدهم ، فلم يستطيعوا أن يفعلوا في شهر رمضان ما كانوا يفعلونه في غيره ولم يقل : " إنهم قتلوا " ، ولا ماتوا ، بل قال : " صفِّدوا " والمصفَّد من الشياطين قد يؤذي ، لكن هذا أقل وأضعف مما يكون في غير رمضان ، فهو بحسب كمال الصوم ونقصه ، فمن كان صومه كاملًا دفع الشيطان دفعًا لا يدفعه الصوم الناقص ، فهذه المناسبة ظاهرة في منع الصائم من الأكل والشرب ، والحكم ثابت على وَفْقِهِ " ا هـ .

قال لقمان – عليه السلام – لابنه : " يا بني إذا امتلأت المعدة ؛ نامت الفكرة ،

---

(١) الترمذي الزهد (٢٣٨٠) ، ابن ماجه الأطعمة (٣٣٤٩) ، أحمد (١٣٢/٤) .

(٢) البخاري الاعتكاف (١٩٣٤) ، مسلم السلام (٢١٧٥) ، أبو داود الصوم (٢٤٧٠) ، ابن ماجه الصيام (١٧٧٩) ، أحمد (٣٣٧/٦) .

وخرست الحكمة ، وقَعَدت الأعضاءُ عن العبادة " .

وقال عمر ﷺ " من كثر أكله لم يجد لذكر الله لذة " .

وقال علي ﷺ " إن كنت بَطِنًا ؛ فعد نفسك زَمِنًا " .

وقال بعض الحكماء : " أقلل طعامًا ، تحمدْ منامًا " .

وقال بعض الشعراء :

وكـــم مـــن لقمـــةٍ منعـــت أخاهـــا بـــــلذةِ ســـــاعةٍ أكـــلاتِ دهـــرِ

وكـــم مـــن طالـــب يســـعى لأمـــر وفيـــه هلاكُـــه لـــو كـــان يـــدري

وقال ابن القيم – رحمه الله – : " وأما فضول الطعام : فهو داع إلى أنواع كثيرة من الشر ؛ فإنه يحرك الجوارحَ إلى المعاصي ، ويثقلها عن الطاعات ، وحسبك بهذين شرًّا ، فكم من معصية جَلَبها الشبعُ وفضولُ الطعام ، وكم من طاعة حال دونها ؛ فمن وقي شرَّ بطنه ؛ فقد وقي شرًّا عظيمًا ، والشيطان أعظم ما يتحكَّم من الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام " .

إلى أن قال – رحمه الله – : " ولو لم يكن من الامتلاء من الطعام إلا أنه يدعو إلى الغفلة عن ذكر الله – عز جل – وإذا غفل القلب عن الذكر ساعةً واحدةً جَثَم عليه الشيطانُ ، ووعده ، ومنَّاه ، وشهَّاه وهام به في كل وادٍ ؛ فإن النفس إذا شبعت تحركت ، وجالت وطافت على أبواب الشهوات ، وإذا جاعت سكنت – وخشعت وذلت " ا هـــ .

بل إن الذين يتوسعون في المآكل لا يجدون لها لذةً كما يجدُها المقتصدون .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " فالذين يقتصدون في المآكل نعيمُهم بها أكثرُ من المسرفين فيها ؛ فإن أولئك إذا أدمنوها ، وأَلِفُوها لا يبقى لها عندهم كبير لذة مع أنهم قد لا يصبرون عنها ، وتكثر أمراضهم بسببها " ا هـــ .

أيها الصائمون الكرام : إذا كان الأمر كذلك ؛ فما أحرانا أن نجعل من شهرنا الكريم فرصةً لتوطين نفوسنا على الاعتدال في المآكل والمشارب ؛ فالنفوسُ طُلَعةٌ لا

ترضى بالقليل من اللذات ؛ فإذا جاهدناها ؛ انقدعت عن شهواتها ، وكفَّت عن الاسترسال مع لذاتها ورغباتها ، وإن من أحكم ما قالته العرب قولَ أبي ذؤيب الهذلي :

والـــــنفسُ راغبـــــةٌ إذا رغَّبتـــــها وإذا تُـــــــرَدُّ إلى قليـــــلٍ تقنـــــع

أما إذا استرسلنا معها ، وأعطيناها كل ما تريد ؛ فإنها ستقودنا إلى الغواية ، وتنزع بنا إلى شر غاية .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

# رمضان شهر الفرح

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد :

فإن الفرح مطلب مُلحٌّ ، وغاية مبتغاة ، وهدفٌ منشود ، والناس كل الناس يسعى إلى فرح قلبه ، وزوال همِّهِ وغمِّهِ ، وتفرق أحزانه وآلامه .

ولكنْ قَلَّ من يصل إلى الفرح الحقيقي ، ويحصل على السعادة العظمى ، وينجو من الآلام والأتراح .

والحديث هاهنا سيدور حول معنى الفرح ، وأسبابه ، وموانعه .

وبعد ذلك نصل إلى معنى الفرح في الصيام ، وكيفيةِ كونِ هذا الشهر الكريم شهرَ فرحٍ .

أيها الصائم الكريم الفرحُ لذةٌ تقع في القلب بإدراك المحبوب ، ونيل المشتهى ، فيتولّدُ من إدراكه حالةٌ تسمى الفرح والسرور .

كما أن الحَزَنَ والغَمَّ مِنْ فقد المحبوب ، فإذا فقده تولد مِنْ فقده حالةٌ تسمى الحزَن والغم .

والفرحُ أعلى نعيمِ القلب ولذتِه وبهجتِه ، فالفرحُ والسرورُ نعيمُه ، والهمُّ والغمُّ عذابُه .

والفرحُ بالشيء فوق الرضا به ، فإن الرضا طمأنينةٌ وسكونٌ وانشراحٌ .

والفرح لذةٌ وبهجةٌ وسرورٌ ، فكل فَرِحٍ راضٍ ، وليس كلُّ راضٍ فَرِحًا .

ولهذا كان الفرحُ ضدَّ الحزن ، والرضا ضدَّ السخط ، والحزنُ يؤلم صاحبَه ، والسُّخط لا يؤلمه إلا إذا كان مع العجز عن الانتقام .

ولقد جاء الفرح في القرآن على نوعين : مطلقٍ ومقيدٍ ، فالمطلقُ جاء في الذم كقوله – تعالى – : ﴿ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [1] ، وقوله : ﴿

(١) سورة القصص آية : ٧٦ .

﴿ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ ﴾ [1] .

والفـــرح المقيَّدُ نوعان – أيضًا – مقيَّدٌ بالدنيـــا يُنْسِي فضل الله ومنته ، وهـــو مذم،وم كقـــوله – تعالى – : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ۝٤٤ ﴾ [2] .

والثاني فرحٌ مقيَّدٌ بفضل الله ورحمته : وهو نوعان – أيضًا – فضلٌ ورحمةٌ بالسبب ، وفضل بالمسبِّب ، فالأول كقوله – تعالى– : ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٌ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ۝٥٨ ﴾ [3] ، والثاني كقوله – تعالى – : ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ [4] .

ولقـــد ذكر الله – سبحانه – الأمـــر بالفـــرح بفضله ورحمتـــه عقيب قـــوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٧ ﴾ [5] .

ولا شيءَ أحقُّ أن يَفْرح به العبدُ من فضل الله ورحمته التي تتضمن الموعظةَ وشفاءَ الصدور من أدوائها بالهدى والرحمة ، الهدى الذي يتضمَّن ثَلْجَ الصدور باليقين ، وطمأنينةَ القلبِ به ، وسكونَ النفسِ إليه ، وحياةَ الروح به .

والرحمةُ التي تجلب لها كلَّ خيرٍ ولذةٍ ، وتدفع عنها كلَّ شرٍّ وألمٍ .

والموعظةُ التي هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب .

وشفاءُ الصدورِ المتضمنُ لعافيتها من داء الجهل ، والظلمة ، والغي ، والسفه ؛

---

(١) سورة هود آية : ١٠ .

(٢) سورة الأنعام آية : ٤٤ .

(٣) سورة يونس آية : ٥٨ .

(٤) سورة آل عمران آية : ١٧٠ .

(٥) سورة يونس آية : ٥٧ .

تلك الأدواءُ التي هي أشدُّ ألمًا لها من أدواء البدن .

فالموعظةُ ، والشفاءُ ، والهدى ، والرحمةُ هي الفرح الحقيقي ، وهي أَجَلُّ ما يفرح به ؛ إذ هو خيرٌ مما يجمع الناس من أعراض الدنيا وزينتها ؛ فهذا هو الذي ينبغي أن يُفْرح به ، ومَنْ فرح به ، فقد فرح بأجلّ مفروحٍ به ، لا ما يجمع أهل الدنيا فيها ؛ فإنه ليس بموضع للفرح ؛ لأنه عرضةٌ للآفات ، وشيكُ الزوال ، وخيمُ العاقبة ، وهو طيفُ خيالٍ زار الصبَّ في المنام ، ثم انقضى المنامُ ، ووَلَّى الطيف ، وأعقب مزاره الهجران .

فالدنيا ، لا تتخلص أفراحُها من أتراحِها وأحزانِها البتة ، بل ما من فرحة إلا ومعها تَرْحةٌ سابقةٌ ، أو مقارنة ، أو لاحقة .

ولا تتجرد الفرحةُ ، بل لا بد من تَرْحة تقارنها ؛ ولكن قد تقوى الفرحةُ على الحزن ، فينغمر حكمُه وألمُهُ مع وجودها وبالعكس .

فالفرحُ بالله وبرسوله ، وبالإيمان ، وبالقرآن ، وبالسنة ، وبالعلم يُعَدُّ مِنْ أعلى مقامات العارفين ، وأرفع منازل السائرين .

وضدُّ هذا الفرحِ الحزنُ ، الذي أعظم أسبابه الجهلُ ، وأعظمُه الجهل بالله ، وبأمره ، ونهيه ؛ فالعلمُ يوجب نورًا ، وأنسًا ، وضدُّه يوجب ظلمةً ، ويوقع في وحشة .

ومن أسباب الحزن تَفَرُّقُ الهمِّ عن الله ؛ فذلك مادةُ حزنه ، كما أن جَمْعِيَّة القلب على الله مادةُ فرحِهِ ونعيمِه ؛ ففي القلب شَعَثٌ لا يَلُمُّه إلا الإقبال على الله ، وفيه وحشةٌ لا يزيلها إلا الأنسُ به في خلوته ، وفيه حُزْنٌ لا يذهبه إلا السرورُ بمعرفته وصدق معاملته ، وفيه قلقٌ لا يسكِّنه إلا الاجتماعُ عليه والفرارُ منه إليه ، وفيه نيرانُ حسراتٍ لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه ، وقضائه ، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه ، وفيه طلبٌ شديدٌ لا يقف دونَ أن يكون هو وحده مطلوبَهُ ، وفيه فاقةٌ لا يسدُّها إلا محبتُه والإنابة إليه ، ودوام ذكره ، وصدق الإخلاص له ، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تُسدَّ تلك الفاقةُ منه أبدًا .

ولقد قرَّر العلماء العالمون بالله وبأمره هذا المعنى ، وعلى رأس أولئك العلامةُ ابن القيم – رحمه الله – .

أيها الصائمون هذا هو الفرح الحق ، وهذا هو فرح أهل الإيمان ، لا فرحُ أهلِ الأشر والبطر والطغيان .

هذا وإن للصائمين من هذا الفرح نصيبًا غيرَ منقوص ؛ كيف وقد قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه : ﴿ وللصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ﴾ [1] .

قال ابن رجب – رحمه الله – : " أما فرحة الصائم عند فطره ؛ فإن النفوسَ مجبولةٌ على الميل إلى ما يلائمها من مطعم ، ومشرب ، ومنكح ؛ فإذا امتنعت من ذلك في وقت من الأوقات ، ثم أبيح لها في وقت آخر ، فرحت بإباحة ما منعت منه ، خصوصًا عند اشتداد الحاجة إليه ؛ فإن النفوسَ تفرح بذلك طبعًا ؛ فإن كان ذلك محبوبًا لله كان محبوبًا شرعًا .

والصائمُ عند فطره كذلك ، فكما أن الله – تعالى – حَرَّم على الصائم في نهار الصيام تناولَ هذه الشهواتِ ، فقد أذن له فيها في ليل الصيام ، بل أحب منه المبادرةَ إلى تناولها من أول الليل وآخره ؛ فأحب عباد الله إليه أعجلهم فطرًا ، والله وملائكته يصلون على المتسحرين ؛ فالصائمُ ترك شهواتِه في النهار تقربًا إلى الله ، وطاعةً له ، وبادر إليها بالليل تقربًا إلى الله ، وطاعة له ؛ فما تركها إلا بأمر ربه ، ولا عاد إليها إلا بأمر ربه ؛ فهو مطيعٌ في الحالين ؛ ولهذا نُهِيَ عن الوصال ؛ فإذا بادر الصائم إلى الفطر تقربًا إلى مولاه ، وأكل وشرب وحمد الله فإنه ترجى له المغفرةُ ، أو بلوغُ الرضوان بذلك " .

---

(١) البخاري التوحيد (٧٠٥٤) ، مسلم الصيام (١١٥١) ، النسائي الصيام (٢٢١٦) ، ابن ماجه الصيام (١٦٣٨) ، أحمد (٢/٢٧٣) .

إلى أن قال – رحمه الله – : " ثم إنه ربما استجيب دعاؤه عند فطره ، وعند ابن ماجه : ﴿ إن للصائم عند فطره دعوةً لا تُرد ﴾ [1] .

وإن نوى بأكله وشربه تقوية بدنه على القيام والصيام كان مثابًا على ذلك ، كما أنه إن نوى بنومه في الليل والنهار التقوّيَ على العمل كان نومُه عبادة .

ومن فهم هذا الذي أشرنا إليه ، لم يتوقَّف في معنى فرحه عند فطره ؛ فإن فطره على الوجه المشار إليه من فضل الله ورحمته ، فيدخل في قوله – تعالى – : ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [2] .

وقال ابن رجب – رحمه الله – : " وأما فرحه عند لقاء ربه ، ففيما يجده عند الله من ثواب الصيام مدَّخرًا ؛ فيجده أحوجَ ما كان إليه كما قال – تعالى – : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ ﴾ [3] .

وقال – تعالى – : ﴿ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا ﴾ [4] .

وقال – تعالى – : ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾ [5] اهـ .

اللهم أفرح قلوبنا بالإيمان ، والقرآن ، والسنة ، والعلم ، والصيام .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) ابن ماجه الصيام (١٧٥٣) .

(٢) سورة يونس آية : ٥٨ .

(٣) سورة المزمل آية : ٢٠ .

(٤) سورة آل عمران آية : ٣٠ .

(٥) سورة الزلزلة آية : ٧ .

# الصوم والإخلاص

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد :

فإن حديث هذه الليلة سيدور حول فضيلة الإخلاص ، وأثرِ الصوم في اكتسابها .

وقبل الدخول في أثر الصوم في اكتساب الإخلاص يحسن الوقوفُ عند الإخلاص من حيث مفهومُه ، وأهميتُه .

معاشر الصائمين : أصل الإخلاص في اللغة مادة خلص ، والخالص : هو ما زال عنه شوبُه بعد أن كان فيه .

والإخلاصُ في الشرع : هو تصفيةُ العمل من كل شائبة تشوبه .

ومدارُ الإخلاصِ على أن يكون الباعثُ على العمل امتثالَ أمرِ الله ، وإرادتَه ﷻ فلا يمازج العملَ شائبةٌ من شوائب إرادة النفس : إما طلبُ التزيُّن في قلوب الخلق ، وإما طلبُ مدحِهم والهربُ من ذمهم ، أو طلبُ تعظيمهم ، أو طلبُ أموالهم أو خدمتِهم ومحبتِهم ، وقضائهم حوائجه ، أو غيرُ ذلك من العلل ، والشوائب التي يجمعها إرادةُ ما سوى الله في العمل ؛ فهذا هو مدار الإخلاص .

ولا حرج بعد هذا على من يطمح إلى شيء آخر ، كالفوز بنعيم الآخرة ، أو النجاة من أليم عذابها .

بل لا يذهب بالإخلاص–بعد ابتغاء وجه الله–أن يخطر في بالِ العامل أن للعمل الصالح آثارًا طيبةً في هذه الحياة الدنيا كطمأنينة النفس ، وأَمْنِها من المخاوف ، وصيانتها عن مواقف الذل والهون ، إلى غير ذلك من الخيرات التي تعقب العمل الصالح ، ويزداد بها إقبال النفوس على الطاعات قوة إلى قوة .

هذا هو مفهوم الإخلاص .

أما أهميته فيكفي أنه شرط لقبول العبادة ؛ فالعبادة تقوم على شرطين هما :

الإخلاص لله ، والمتابعة للرسول–صلى الله عليه وسلم– قال الله –تعالى– : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ [1] .

وقال النبي–صلى الله عليه وسلم– : ﴿ يقول الله –تعالى– : " أنا أغنى الشركاء عن الشرك ؛ فمن عمل عملًا فأشرك فيه غيري فأنا منه بريء ، وهُوَ للذي أشرك ﴾ [2] رواه مسلم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– متحدثًا عن الإخلاص وفضله وأهميته : " بل إخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه ، وهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل ، وأنزل به جميع الكتب ، واتفق عليه أئمة أهل الإيمان ، وهو خلاصة الدعوة النبوية ، وهو قطب رحى القرآن الذي تدور عليه رحاه " .

إلى أن قال –رحمه الله– : " قال –تعالى– في حق يوسف : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٢٤ ﴾ [3] .

فالله يصرف عن عبده ما يسوؤه من الميل إلى الصور المحرمة ، والتعلق بها ، ويصرف عنه الفحشاء بإخلاصه لله .

ولهذا يكون قبل أن يذوق حلاوة العبودية لله ، والإخلاص له بحيث تغلبه نفسه على اتباع هواها .

فإذا ذاق طعم الإخلاص ، وقوي قلبه انقهر بلا علاج " ا هـ .

معاشر الصائمين هذا هو مفهوم الإخلاص ، وذلك شيء من أهميته وفضله .

هذا وإن للصيام أثرًا عظيمًا في تربية النفوس على فضيلة الإخلاص ، وألا يراعى

---

(١) سورة البينة آية : ٥ .

(٢) مسلم الزهد والرقائق (٢٩٨٥) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٠٢) ، أحمد (٢/٣٠١) .

(٣) سورة يوسف آية : ٢٤ .

في الأعمال غيرُ وجه الله–جل وعلا– .

ذلكم أن الصائم يصوم إيمانًا واحتسابًا ، ويدع شهوته وطعامه وشرابه من أجل الله –تعالى– وأيُّ درسٍ في الإخلاص أعظمُ من هذا الدرس ؟

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : ﴿ من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه ﴾ [1] .

قال ابن حجر –رحمه الله– قوله : " إيمانًا " : أي تصديقًا بوعد الله بالثواب عليه ، و " احتسابًا " : أي طلبًا للأجر ، لا لقصد آخر من رياء ونحوه " ا هـــ .

وفي البخاري –أيضًا–من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم– قال : ﴿ والذي نفسي بيده لَخُلوف فمِ الصائمِ أطيبُ عند الله من ريح المسك ؛ يترك طعامه وشرابه ، وشهوته من أجلي ، الصيام لي وأنا أجزي به ، والحسنة بعشر أمثالها ﴾ [2] .

قال ابن حجر –رحمه الله– في شرح الحديث : قوله : ﴿ يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ﴾ [3] هكذا وقع هنا ، ووقع في الموطأ ﴿ وإنما يذر شهوته ﴾ [4] إلخ . . . ولم يصرح بنسبته إلى الله ، للعلم به ، وعدم الإشكال فيه " .

وقال –رحمه الله– : " وقد يفهم من صيغة الحصر في قوله : " إنما يذر " إلخ . . . التنبيه على الجهة التي بها يستحق الصائم ذلك ، وهو الإخلاص الخاصُّ به ، حتى لو

---

(١) البخاري الصوم (١٨٠٢) ، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٦٠) ، الترمذي الصوم (٦٨٣) ، النسائي الصيام (٢٢٠٢) ، أبو داود الصلاة (١٣٧٢) ، أحمد (٢٤١/٢) ، الدارمي الصوم (١٧٧٦) .

(٢) البخاري الصوم (١٧٩٥) ، مسلم الصيام (١١٥١) ، الترمذي الصوم (٧٦٤) ، النسائي الصيام (٢٢١٦) ، أحمد (٢٧٣/٢) .

(٣) البخاري الصوم (١٧٩٥) ، ابن ماجه الصيام (١٦٣٨) .

(٤) ابن ماجه الصيام (١٦٣٨) ، أحمد (٣١٣/٢) ، الدارمي الصوم (١٧٧٠) .

كان ترك المذكورات لغرض آخر كالتُّخمة لا يحصل للصائم الفضلُ المذكور " ا هـ .

معاشر الصائمين : هكذا يربينا الصوم على فضيلة الإخلاص ؛ فالصومُ عبادةٌ خفيةٌ ، وسِرٌّ بين العبد وربه ، ولهذا قال بعض العلماء : الصوم لا يدخله الرياء بمجرد فعله ، وإنما يدخله الرياء من جهة الإخبار عنه .

بخلاف بقية الأعمال ؛ فإن الرياء قد يدخلها بمجرد فعلها .

ولا ريب أن الإخلاص من أعظم الخصال ، وأحمد الخلال إن لم يكن أعظمها وأحمدها .

ثم إن للإخلاص آثارَهُ العظيمةَ على الأفراد بخاصة ، وعلى الأمة بعامة ، فللإخلاص تأثير عظيم في تيسير الأمور ، فمن تعكست عليه أمورُه ، وتضايقت عليه مقاصدُه –فليعلم أنه بذنبه أصيب ، وبقلة إخلاصه عوقب .

والإخلاص هو الذي يجعل في عزم الرجل متانةً ، ويربط على قلبه ؛ فيمضي في عمله إلى أن يبلغ الغاية .

وكثيرٌ من العقبات التي تقوم دون بعض المشروعات لا يساعدك على العمل لتذليلها إلا الإخلاص .

ولولا الإخلاص الذي يضعه الله في نفوس زاكيات لَحُرِمَ الناسُ من خيراتٍ كثيرةٍ تقف دونها عقبات .

أيها الصائمون : قد يُخِلُّ الرجلُ في بعض الأعمال ، ويتغلب عليه الهوى في بعضها ؛ فيأتي بالعمل صورةً خاليةً من الإخلاص .

والذي يرفع الشخص إلى أقصى درجات الفضل والمجد إنما هو الإخلاص الذي يجعله الإنسانُ حليفَ سيرته ؛ فلا يُقْدِم على عمل إلا وهو مستمسك بعروته الوثقى .

ولا تبالغُ إذا قلت : إن النفسَ التي تتحرر من رق الأهواء ، ولا تسير إلا على وفْق ما يمليه عليها الإخلاص هي النفسُ المطمئنةُ بالإيمان ، المؤدبة بحكمة الدين ، ومواعظه الحسنة .

قال ابن تيمية –رحمه الله– : " وإذا كان العبد مخلصًا لله اجتباه ربه ؛ فأحيا قلبه ، واجتذبه إليه ، فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء ، ويخاف ضد ذلك .

بخلاف القلب الذي لم يُخْلِص لله ؛ فإن فيه طلبًا ، وإرادةً ، وحبًّا مطلقًا ؛ فيهوى كلَّ ما يسنح له ، ويتشبث بما يهواه كالغصن أيُّ نسيمٍ مرَّ بِهِ عطفه وأماله " ا هـــ .

وللحديث بقية –إن شاء الله– في الليلة القادمة ، اللهم ارزقنا الإخلاص في ما نأتي وما نذر ، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد .

# الصوم والإخلاص

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد :

فإن الحديث في هذه الليلة إكمال للحديث الماضي ، ألا وهو الإخلاص .

معاشر الصائمين : إذا أخلص المسلمُ صيامه لله ، وقام به على الوجه الذي يرضي الله كان ذلك داعيًا له لأن يخلص لله في شتى أموره ، وكافة أحواله ، وسائر أيامه ، فَرَبُّ رمضانَ هو ربُّ سائرِ الشهور ، والذي فرض الصيام هو الذي فرض غيره من سائر الطاعات والقربات ، والذي يُتَقَرَّبُ إليه بالصيام هو الذي يُتَقَرَّبُ إليه بسائر الأعمال .

وهكذا يفيد المسلمُ هذا الدرسَ العظيمَ من شهر الصوم .

ولقد وقف الحديث في الدرس الماضي عند أثر الإخلاص على الأفراد بخاصة ، وعلى الأمة بعامة ؛ فإليكم جملة من تلكم الآثار التي تعود بالخير على الأفراد والجماعات .

أيها الصائمون : الإخلاص يرفع شأن الأعمال حتى تكون مراقيَ للفلاح ، فصغير الأعمال –بالإخلاص– يكون كبيرًا ، وقليلها يكون كثيرًا .

والإخلاص هو الذي يحمل الإنسانَ على مواصلة عمل الخير ؛ فمن يصلي رياءً ، أو حياءً من الناس لا بد أن تمرَّ عليه أوقاتٌ لا ينهض فيها إلى الصلاة ، ومن يحكم بالعدل ؛ ابتغاءَ السمعةِ ، أو خوفَ العزلِ من المنصب قد تَعْرِضُ له منفعةٌ يراها ألذَّ من السمعة ، أو يصادفه أمن العزلِ فلا يبالي أن يدع العدل جانبًا .

ومن يدعو إلى الإصلاح ابتغاء الجاه قد يزل بين قوم لا يحظى بينهم إلا من ينحط في أهوائهم ، فينقلب داعيًا إلى الأهواء .

ومن يفعل المعروف لأجل أن تُردِّدَ ذِكْرَهُ الألسنةُ في المجالس أو الصحف قد يرى بعينه سبيلًا من سبل الخير في حاجة إلى مؤازرة ؛ فيصرف عنه وجهه وهو يستطيع أن

يمد إليه يده ، ويسدَّ حاجته .

أيها الصائمون : الإخلاص الذي يقوم على الإيمان الصادق هو الذي يسمو سلطانه على كل سلطان ، ويبلغ أن يكون مبدأً راسخًا تصدر عنه الأعمال الصالحة .

وهو الذي يجد له صاحبه حلاوة ، فيسهل عليه أن يكون أحد السبعة المشار إليهم بقوله ﷺ في الحديث الصحيح : ﴿ سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظلَّ إلا ظله ﴾ [1] إلى أن قال : ﴿ ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ﴾ [2] .

حكى أشعبُ بنُ جبير أنه كان في بعض سكك المدينة ، فلقيه رجل ، وقال له : كم عيالك ؟ قال : فأخبرته ، فقال لي : قد أُمِرتُ أن أجْرِي عليك وعلى عيالك ما كنتَ حيًّا ، فقلت من أمرك ؟ ، قال : لا أخبرك ، قلت : إنَّ هذا معروفٌ يشكر ، قال : الذي أمرني لم يرد شكرَك .

قال أشعب بن جبير : فكنت آخذ ذلك إلى أن توفي خالد بن عبد الله بن عمر بن عثمان ، فحفل له الناس ، فشهدته ، فلقيني ذلك الرجل ، فقال : يا أشعب هذا – والله–صاحبك الذي كان يجري عليك ما كنت أعطيك .

فهذا فاعلُ خيرٍ من وراء حجاب .

أيها الصائم : لعلك لا تجد أحدًا يتصدى لعمل إلا وهو يدَّعي الإخلاص فيما يعمل ؛ ذلك أن الإخلاصَ موطِنُه القلبُ ، والقلوبُ محجوبةٌ عن الأبصار .

وإذا وصفتَ أحدًا بالإخلاص أو عدمه فإنما ترجع في وصفك إلى أمارات تبدو لك من أحواله الظاهرة .

---

(١) البخاري الأذان (٦٢٩) ، مسلم الزكاة (١٠٣١) ، الترمذي الزهد (٢٣٩١) ، النسائي آداب القضاة (٥٣٨٠) ، أحمد (٢/٤٣٩) ، مالك الجامع (١٧٧٧) .

(٢) البخاري الزكاة (١٣٥٧) ، مسلم الزكاة (١٠٣١) ، الترمذي الزهد (٢٣٩١) ، النسائي آداب القضاة (٥٣٨٠) ، أحمد (٢/٤٣٩) ، مالك الجامع (١٧٧٧) .

ومن هذه الأحوال ما يدلك على سريرته دِلالةً قاطعةً ، ومنها ما لا يتجاوز بك حدَّ الظن .

وهذا موضع التثبت والاحتراس ؛ ففي وصف المخادعِ بالإخلاص ووصفِ المخلص بالمخادع ضررٌ اجتماعيٌّ كبير ؛ فإن وثقت بمجردِ الظن لم تأمن أن تقضيَ على فاسد الضمير بالإخلاص ؛ فيتخذه الناسُ موضعَ قدوةٍ ؛ فيستدرجهم من فساد صغير ، حتى إذا أَلِفوه نقلهم إلى فساد كبير .

وربما قضيت على طاهر القلب بعدم الإخلاص ، فكنت كمن يسعى لإطفاء سراج ، والناس في حاجة إلى سُرجٍ تنير لهم السبيل .

أيها الصائمون : الإخلاص فضيلة في نفسه ، ولا يترل في نفس إلا حيث تترل فضائلُ كثيرةٌ ، فالإخلاص يَمُدُّ قلبَ صاحبه بقوة ؛ فلا يتباطأُ أن ينهضَ للدفاع عن الحق ، ولا يبالي في دفاعه إذا أصابه ما أصابه .

والإخلاصُ يشرحُ صدر صاحبه للإنفاق في بعض وجوه البر ؛ فتراه يؤثرها بجانب من ماله وإن كان به خصاصة .

والإخلاص يعلم صاحبَه الزهد في عرض الدنيا ؛ فلا يُخشى منه أن يناوئ الحقَّ ، أو يُلْبِسَهُ بشيء من الباطل ، ولو أمطر عليه أشياع الباطل فضةً أو ذهبًا .

والإخلاص يحمل القاضي على تحقيق النظر في القضايا ؛ فلا يفصل في قضية إلا بعد أن يتبين له الحق .

والإخلاص يوحي إلى الأستاذ أن يبذلَ جُهْدَه في إيضاح المسائل ، وأن لا يبخل على الطلاب بما تسَعُهُ أفهامُهم من المباحث المفيدة ، وأن يسلكَ في التدريس الأساليبَ التي تجددُ نشاطَهم للتلقي عنه .

والإخلاص يصون التاجر عن أن يخون الذي يأتمنه في صنف البضاعة أو قيمتها ، ويحمل الصانع على إتقان عمله حسب الطاقة .

والإخلاص يردع قلم الكاتب عن أن يقلب الحقائق ، أو يكسوها لونًا غير لونها ؛

إرضاءً لشخص أو طائفة .

أيها الصائمون : هذه بعض مآثر الإخلاص الذي ينميه الصوم في نفوسنا ؛ ويبعثنا إلى أن نخلص لله في جميع أعمالنا ، وشتى أحوالنا .

فحقيق علينا أن نربي أنفسنا ومن تحت أيدينا على فضيلة الإخلاص ، وأن نلقن ناشئتنا ماذا يناله المخلص من حمدٍ وكرامة وحسن عاقبة ؛ لكي يَخْرُجَ لنا رجال مخلصون يقوم كل منهم بالعمل الذي يتولاه بحزم وإتقان .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

## رمضان شهر الدعوة

نحمدك اللهم أن هديتنا سُبُلَ الفلاح ، ونستعين بك على إعلاء كلمة الحق والدعوة إلى الصلاح ، ونصلي ونسلم على نبيك محمد الذي أنـــزلت إليه قرآنًا عربيًّا ، وعلى كل من دعا إلى سبيلك مخلصًا تقيًّا .

أما من زاغ عن الهدى ، واتخذ من المضلين عضدًا فإليك إيابه ، وعليك حسابه ، أما بعد :

فإن الدعوة إلى الله لمن أوجب الواجبات ، وأهم المهمات ، وأعظم القربات . وإن شهرَ رمضانَ لفرصةٌ سانحةٌ ، ومناسبة كريمة ، وأرضٌ لنشر الدعوةِ خصبةٌ ، ذلكم أن القلوب في رمضان تخشع لذكر الله ، وتستعد لقبول المواعظ الحسنة ، وتقوى بها إرادة التوبة .

والحديث في هذه الليلة سيدور حول الدعوة إلى الله من حيث مفهومها ، وفضائلها وآدابها ، وما يدور في فلكها .

أيها المسلمون الكرام : الدعوة إلى الله ﷻ تشمل كلَّ ما يُقصد به رفعةُ الإسلام ، ونشرُه بين الناس ، ونفيُ ما علق به من شوائب ، وردُّ كلِّ ما يغضُّ من شأنه ، ويصرف الناس عنه .

والدعوة إلى الله تشمل كلَّ قولٍ ، أو فعل ، أو كتابة ، أو حركة ، أو سكنة ، أو خُلق ، أو نشاط ، أو بذل للمال ، أو الجاه ، أو أي عمل يخدم الدين ، ولا يخالف الحكمة .

ولا ريب أن العلم هو مرتكز الدعوة ، وهو أساسها ، ودليلها ، وقائدها .

ولكن الدعوة تحتاج مع العلم إلى كثير من الجهود التي مضى شيء منها ؛ فكلٌّ يعمل على شاكلته ، وقد علم كل أناس مشربهم .

أيها الصائمون الكرام : لقد جاءت نصوص الشرع آمرةً بالدعوة ، منوهةً بشأنها ، محذرةً من التخاذل في تبليغها ، مبينةً فضائلَها ، والأجورَ المترتبةَ عليها .

ولقد جاءت النصوص في ذلك الصدد على وجوه شتى ، وصيغ متعددة .

فجاءت بصيغة الأمر بالدعوة بصريح لفظها قال – تعالى – : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ ﴾ [1] (النحل : ١٢٥) وقال : ﴿ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [2] (الرعد : ٣٦) .

وجاءت بصيغة الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [3] .

وجاءت بصيغة التبليغ قال الله – تعالى – : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ ﴾ [4] (المائدة : ٦٧) .

وجاءت بصيغة النصح قال ﷻ ﴿ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ ﴾ [5] (التوبة : ٩١) .

وجاءت بصيغة التواصي قال الله – تعالى – : ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [6] (العصر : ٣) .

وجاءت بصيغة الوعظ قال – سبحانه – : ﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ ﴾ [7] (سبأ : ٤٦) .

---

(١) سورة النحل آية : ١٢٥ .

(٢) سورة الرعد آية : ٣٦ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١١٠ .

(٤) سورة المائدة آية : ٦٧ .

(٥) سورة التوبة آية : ٩١ .

(٦) سورة العصر آية : ٣ .

(٧) سورة سبأ آية : ٤٦ .

وجاءت بصيغة التذكير ، قال الله ﷻ : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [1] (الذاريات : ٥٥) .

وجاء بصيغة الإنذار ، قال الله – تعالى – : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [2] (الشعراء : ٢١٤) .

وجاءت بصيغة التبشير قال تبارك وتعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [3] (التوبة : من الآية ١١٢ )

وجاءت بصيغة الجهاد قال ﷻ ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [4] (الفرقان : ٥٢) .

وجاءت بصيغة التحذير من التولي عن الدعوة ، ونصرة الدين قال ﷻ ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ﴾ [5] (المائدة : من الآية ٥٤) .

أما فضائل الدعوة وثمراتها التي تعود على الأفراد بخاصة ، وعلى الأمة بعامة – فلا تكاد تحصى ، وأدلةُ الوحيين مليئةٌ بذلك ، متضافرةٌ عليه .

فالدعوة إلى الله طاعة لله ، وإرضاءٌ له ، وسلامةٌ من وعيده .

والدعوةُ إلى الله إعزازٌ لدين الله ، واقتداءٌ بأنبيائه ورسله ، وإغاظةٌ لأعدائه من شياطين الجن والإنس ، وإنقاذٌ لضحايا الجهل والتقليد الأعمى .

---

(١) سورة الذاريات آية : ٥٥ .

(٢) سورة الشعراء آية : ٢١٤ .

(٣) سورة التوبة آية : ١١٢ .

(٤) سورة الفرقان آية : ٥٢ .

(٥) سورة المائدة آية : ٥٤ .

والدعوةُ إلى الله سبب في زيادة العلم والإيمان ، ونـــزول الرحمة ودفع البلاء ، ورفعه .

وهي سبب لمضاعفة الأعمال في الحياة وبعد الممات ، وسبب للاجتماع والألفة ، والتمكين في الأرض .

والدعوةُ إلى الله أحسنُ القول ، فلا شيء أحسن من الدعوة إلى الله ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [1] (فصلت : ٣٣) .

وهدايةُ رجلٍ واحدٍ خيرٌ من الدنيا وما عليها ، والدعاةُ إلى الله هم أرحمُ الناس ، وأزكاهم نفوسًا ، وأطهرهم قلوبًا ، وهم أصحابُ الميمنة ، وهم ورثة الأنبياء .

أيها الصائمون الكرام : هناك صفات يحسن بالداعي إلى الله أن يتَّصف بها – سواء كانت دعوته فردية أم عامة – فمن ذلك : العلمُ ، والعملُ بالعلم ، والإخلاصُ ، والصبرُ ، والحلمُ ، وحسنُ الخلقِ ، والكرمُ ، والإيثارُ ، والتواضعُ ، والحكمةُ ، والرحمةُ ، والحرصُ على جمع الكلمة على الحق .

ومن الصفات التي يجمل بالداعي أن يتَّصف بها : الصفحُ الجميلُ ، ومقابلةُ الإساءةِ بالإحسان ، والثقةُ بالله ، واليقينُ بنصره ، والرضا بالقليل من النتائج ، والسعيُ للكثير من الخير .

ومنها تجنبُ الحسدِ ، وتجنبُ استعجالِ النتائج ، وتجنبُ التنافس على الدنيا والانهماك في ملذاتها ومشاغلها .

ومن آداب الداعي إلى الله أن يكون ملازمًا للِّينِ والرفق ، حريصًا على هداية الخلق ، مستشعرًا للمسئولية ، قويَّ الصلة بالله ، كثير الذكر والدعاء والإقبال على الله بسائر القربات .

ومن آدابه : الحرصُ على مسألة القدوة ، وأن يغتنم كل فرصة للدعوة ، وألا

---

(١) سورة فصلت آية : ٣٣ .

يحتقر أي جهد في سبيلها مهما قل .

ومن آدابه : أن ينـــزلَ الناسَ منازلَهم ، وأن يتحامى قدر المستطاع ما يسوؤهم ، وأن يتحمل همَّهم ، وألا يحمِّلهم شيئًا من همومه .

ومن آدابه : تحسُّسُ أدواء المدعوين ، ومعرفة أحوالهم .

ومنها : البعدُ عن الجدال إلا في أضيق الحدود ، وبالتي هي أحسن .

ومنها : تعاهدُ المدعوين ، وتشجيعُهم ، وربطُهم بالرفقة الصالحة ، ومراعاة الحكمة في إنقاذهم من رفقة السوء .

ومنها : البدء بالأهم فالمهم ، والبعد عن الانتصار للنفس .

ومنها : تنويع وسائل الدعوة ، فتارة بالموعظة ، وتارة بالهدية ، وتارة بالتوجيه غير المباشر وهكذا . . .

ومنها : إظهار الاهتمام بالمدعو ، ومعرفةُ اسمه ، وإشعاره بأهميته ، وإشغاله بما ينفعه .

أيها الصائمون الكرام : هذه هي الدعوة إلى الله ، وتلك فضائلها ، وآداب أهلها ؛ فحريّ بنا أن نكون دعاة إلى الله ؛ كُلٌّ بحسبه ، فهذا بعلمه ، وهذا بماله ، وهذا بجاهه ، وهذا بجهده ؛ لنحقِّقَ الخيرية ولنسلمَ من الوعيد .

فيا طالب العلم هذا شهرُ رمضانَ فرصةٌ عظيمة للدعوة إلى الله ، فها هي القلوب ترق ، وها هي النفوس تهفو إلى الخير ، وتجيب داعي الله ؛ فهلا استشعرت مسئوليتك ، وهلا استفرغت في سبيل الدعوة طاقتك وجهدك ، وهلا أبلغت وأعذرت ، ورفعت عن نفسك التبعة!! .

ويا من آتاه الله بسطةً في المال : ألا تؤثر الدعوة إلى الله بجانب من مالك ، فتساهم في كفالة الدعاة ، وإعدادهم ، وتشارك في طباعة الكتب النافعة ، ونحو ذلك مما يدور في فلك الدعوة ، ألا تريد أن تدخل في زمرة الدعاة إلى الله .

ويا من آتاه الله جاهًا : ألا بذلته في سبيل الله ، ألا سعيت في تيسير أمور الدعوة

إلى الله ؟ .

ويا أيها الإعلامي المسلم أيًّا كان موقِعُك ألا يكون لك نصيب في نشر الخير ، والدعوة إلى الله بالكلمة الطيبة ، والطرح البناء ، أما علمت أنك ترسل الكلمةَ أو تعين على إرسالها ، فتسير بها الركبانُ ، وتبلغ ما بلغ الليل والنهار ؟ أما علمت أن لك غُنْمَها ، وعليك غُرْمَها ؟

ويا من حباه الله دراية ومعرفة بشبكة الاتصالات وما يسمى بالإنترنت ، ألا جعلت من ذلك وسيلة لنشر الدعوة إلى الله ؟ أليس من اليسير في حقك أن تبث الخير على أوسع نطاق ، وبأقل مؤونة ، ألست تخاطب العالم ، وأنت مترٍ في قعر بيتك ؟ .

ويا أيتها المرأة المسلمة ألا تسعين جاهدة في نشر الخير في صفوف النساء بما تستطيعين ؟ .

ويا أيها المسلمون عمومًا : ألا نتعاون جميعًا في سبيل الدعوة إلى الله ، ألا نجعل من شهرنا هذا ميدانًا لاستباق الخيرات ، ألا نتعاون في نصح الغافلين ، وتذكير الناسين ، وتعليم الجاهلين ؟ ! .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [1] (فصلت : ٣٣) .

اللهم اجعلنا من أنصار دينك ، ومن الدعاة إلى سبيلك ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وسلام على المرسلين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

(١) سورة فصلت آية : ٣٣ .

# رمضان شهر البر

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد :

فإن رمضانَ شهرُ البرِّ ، وموسمُ الخير ، وميدان التنافس .

وإن من أعظم البرِّ وأجل القربات برَّ الوالدين ، ذلكم أن حقَّ الوالدين عظيم ، ومنزلتهما عالية في الدين ؛ فَبِرُّهما قرينُ التوحيد ، وهو من أعظم أسباب دخول الجنة ، وهو مما أقرته الفطر السوية ، واتفقت عليه الشرائع السماوية .

وهو خلق الأنبياء ، ودأب الصالحين ، وهو سبب في زيادة العمر ، وسعة الرزق ، وتفريج الكربات ، وإجابة الدعوات ، وانشراح الصدر ، وطيب الحياة .

وهو –أيضًا– دليل صدق الإيمان ، وعلامة حسن الوفاء ، وسبب البر من الأبناء .

وفي مقابل ذلك فإن عقوق الوالدين ذنب عظيم ، وكبيرة من الكبائر ، فهو قرين للشرك ، وموجب للعقوبة في الدنيا ، وسبب لرد العمل ، ودخول النار في الأخرى .

وهو جحودٌ للفضل ، ونكرانٌ للجميل ، ودليلٌ على الحمق والجهل ، وعنوانٌ على الخسة ، والدناءة ، وأمارةٌ على حقارة الشأن وصِغَرِ النفس .

ولعظم حق الوالدين تظاهرت نصوص الشرع آمرةً ببرهما والإحسان إليهما ، ناهيةً عن عقوقهما والتقصير في حقهما ، قارنة حقوقهما بحق الله –تعالى– .

قال الله ﷻ ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا ﴾ [1] (النساء : من الآية ٣٦) .

وقال : ﴿ ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ ﴾ [2] (الأنعام : من الآية ١٥١) .

وقال : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ

(١) سورة النساء آية : ٣٦ .

(٢) سورة الأنعام آية : ١٥١ .

كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [1] (الإسراء : ٢٣-٢٤) .

وفي الصحيحين ﴿ عن ابن مسعود أنه قال : سألت رسول الله " أي العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال : الصلاة على وقتها ، قلت : ثمَّ أي ؟ قال : بر الوالدين ﴾ [2] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – عن النبي " قال : ﴿ الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس ﴾ [3] رواه البخاري .

ومع عظم تلك المكانة للوالدين إلا أننا نرى عقوقهما قد تفشّى ، وأخذ صورًا عديدةً ، ومظاهر شتى ؛ فمن ذلك إبكاؤهما وتحزينُهما ، ونهرُهما وزجرُهما ، والتأففُ والتضجر من أوامرهما ، والعبوسُ وتقطيبُ الجبينِ أمامهما .

ومن صور العقوق احتقارُ الوالدين ، والنظر إليهما شزرًا ، والإشاحةُ بالوجه عنهما إذا تحدثا ، وقلةُ الاعتداد برأيهما ، وإثارةُ المشكلات أمامهما .

ومن ذلك – عياذًا بالله – شتمُ الوالدين ، وذمُّهما عند الناس ، والتخلي عنهما وقت الحاجة أو الكبر ، والتبرؤُ منهما ، والحياءُ من ذكرهما والنسبة إليهما .

ومن صور العقوق الإثقالُ على الوالدين بكثرة الطلبات ، والمكثُ طويلًا خارجَ المنزل إلى ساعات متأخرة من الليل ، أو النوم خارج المنزل دون علم الوالدين بمكان الولد ، خصوصًا إذا كان صغيرًا .

ومن صور العقوق المتناهية بالقبح لعنُ الوالدين ، والتعدي عليهما بالضرب ،

---

(١) سورة الإسراء آية : ٢٤ .

(٢) البخاري مواقيت الصلاة (٥٠٤) ، مسلم الإيمان (٨٥) ، الترمذي البر والصلة (١٨٩٨) ، النسائي المواقيت (٦١٠) ، أحمد (٤٣٩/١) ، الدارمي الصلاة (١٢٢٥) .

(٣) البخاري الأيمان والنذور (٦٢٩٨) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٠٢١) ، النسائي تحريم الدم (٤٠١١) ، أحمد (٢١٤/٢) ، الدارمي الديات (٢٣٦٠) .

وإيداعُهما دورَ الملاحظة .

ومن صور العقوق هجرُ الوالدين ، والبخلُ عليهما ، وتركُ نصحهما ، والسرقةُ من أموالهما ، والأنينُ وإظهارُ التوجُّع أمامهما .

ومن أقبح صور العقوق –إن لم تكن أقبحها– تمني زوالِهما ، وقَتْلُهما ، والتخلصُ منهما ، رغبةً في الميراث ، أو رغبة في التحرُّر من أوامر الوالدين ؛ فيا لشؤم هذا ، ويا لَسوادِ وجهه ، ويا لَسوءِ سوء مصيره إن لم يتداركه الله برحمته .

هذه بعض صور العقوق ، وتلك بعض مظاهره ؛ فما أبعد الخير عن عاق والديه ، وما أقرب العقوبة منه ، وما أسرع الشر إليه .

وهذا أمر مشاهد محسوس يعرفه كثير من الناس ، ويرون بأم أعينهم ، ويسمعون قصصًا متواترة لأناس خذلوا وعوقبوا بسبب عقوقهم لوالديهم .

قال الأصمعي : أخبرني بعض العرب أن رجلًا كان في زمن عبد الملك بن مروان ، وكان له أب كبير ، وكان الشابُّ عاقًّا بأبيه ، وكان يقال للشاب منازل فقال الأب الشيخ الكبير :

جَـزَتْ رحـمٌ بـيني وبـينَ منـازلٍ ... جزاءً كمـا يسـتنجزُ الـدَّينَ طالبُـه

تَرَبَّت حـتى صـار جعـدًا شمردلًـا ... إذا قام ساوى غاربَ الفحـلِ غاربُـه

تظلَّمـني مـالي كـذا ولـوى يـدي ... لـوى يـدَه اللهُ الـذي لا يغالبُـه

وإني لـدا ع دعـوةً لـو دعوتُهـا ... على جبـل الريـان لانْهَـدَّ جانبُـه

فبلغ ذلك أميرًا كان عليهم ، فأرسل إلى الفتى ؛ ليأخذه ، فقال له أبوه الشيخ : اخْرُجْ من خلف البيت ، فسبق رُسُلَ الأمير ، ثم ابتلي الفتى بابن عقَّه في آخر حياته ، واسم الولد خليج فقال منازل فيه :

تظلمـني مـالي خلـيجٌ وعقـني ... على حين كانـت كـالحَنِيِّ عظـامي

تخيَّرتُـه وازددتـه ليزيـدني ... وما بعـضُ مـا يـزدادُ غـيرُ عـرامِ

لعمـري لقـد ربَّيتـه فرحًـا بـه ... فـلا يفـرحنْ بعـدي امـرؤٌ بغـلام

فأراد الوالي ضرب الابن ، فقال للوالي : لا تعجل هذا أبي منازل بن فرعان الذي يقول فيه أبوه :

جزاءً كما يستنجز الدَّينَ طالبُه جزت رحمٌ بيني وبينَ منازلِ

فقال الوالي : يا هذا عَقَقْتَ وعُقِقْتَ .

وقال الأصمعي : حدثني رجلٌ من الأعراب ، وقال : خرجت أطلب أعقَّ الناس ؛ فكنت أطوف بالأحياء ، حتى انتهيت إلى شيخٍ في عنقه حبلٌ يستقي بدلو لا تطيقه الإبلُ في الهاجرة والحرِّ الشديد ، وخلفه شابٌّ في يده رُشاءٌ – أي حبل – من قِدٍّ ملوي (والقِدُّ هو السوط) وهو يضرب الشيخ الكبير بالقدِّ ، وقد شقَّ ظهره بذلك الحبل ، فقلت : أما تتقي الله بهذا الشيخ الضعيف ؟ أما يكفيه ما هو فيه مِنْ مَدِّ هذا الحبل حتى تضربه ؟ .

قال : إنه مع هذا أبي ، قلت : فلا جزاك الله خيرًا .

قال : اسكت ؛ فهكذا كان يصنع بأبيه ، وكذا كان أبوه يصنع بجده ، فقلت : هذا أعقُّ الناس .

ثم جُلت حتى انتهيت إلى شاب وفي عنقه زبيلٌ فيه شيخٌ كأنه فَرْخٌ ، فكان يضعه بين يديه في كل ساعة ، فيطعمه كما يُطعَمُ الفرخ ، فقلت من هذا ؟ قال : أبي وقد خرف وأنا أكفله ، قلت : هذا أبر الناس .

أيها الصائمون : للحديث بقيةٌ غدًا – إن شاء الله تعالى – وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

## رمضان شهر البر

الحمد لله مُعِزِّ من أطاعه ، ومُذِلِّ من عصاه ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد :

فقد عَلِمنا في الحديث الماضي عِظَم حق الوالدين ، والترغيبَ في برهما ، والترهيبَ من عقوقهما .

ومر شيءٌ من مظاهر العقوق وصورِه ؛ فإذا كان الأمر كذلك فما أحرى بذي اللب أن يبر والديه ، وأن يتجنَّب عقوقهما ؛ لينال الخيرَ والبركةَ في العاجل ، وليحظى بالثواب الجزيل والعطاءِ غيرِ المجذوذ في الآجل .

أيها الصائمون : هناك آداب ينبغي لنا مراعاتها ، ويجدر بنا مع الوالدين سلوكها ؛ لعلنا نرد لهما بعض الدين ، ونقوم ببعض ما أوجب الله علينا نحوهما ؛ لنرضيَ بذلك ربنا ، وتنشرحَ صدورنا ، وتطيبَ حياتنا ، وَتُيَسَّرَ أمورُنا ، ويبارك لنا في أعمارنا ، ويبسَط لنا في أرزاقنا .

فمما يجدر بنا سلوكه مع الوالدين طاعتُهما ، واجتنابُ معصيتهما في غير مخالفة لأمر الله .

ومن ذلك الإحسانُ إليهما ، وخفضُ الجناح لهما ، والبعدُ عن زجرهما .

ومن صور البرِّ الإصغَاءُ إلى الوالدين ، وذلك بالإقبال عليهما إذا تحدثا ، وتركِ مقاطعتهما أو منازعتهما الحديث أو تكذيبهما .

ومن الآداب مع الوالدين التلطُّفُ بهما ، والفرحُ بأوامرهما ، والحذر من التأفف والتضجر منهما .

ومن ذلك – أيضًا – التودّدُ لهما ، والتحبُّب إليهما ، والجلوس أمامهما بأدب واحترام ، وتجنُّبُ المَنَّة في الخدمة أو العطية .

ومن صور البر مساعدةُ الوالدين في الأعمال ، والبعدُ عن إزعاجهما وقتَ راحتهما ، أو تكديرِ صفوهما بالجلبة ، ورفعِ الصوت ، أو بالأخبارِ المحزنة .

ومن ذلك تجنُّبُ الشجارِ ، وإثارةِ الجدل أمامهما ، وذلك بالحرص على حل جميع المشكلات مع الإخوة أو الزوجةِ أو أهل البيت عمومًا ، بعيدًا عن أعين الوالدين إلا إذا اقتضت الحكمةُ والمصلحةُ إشراكَهما في الأمر .

ومن صور البر تلبيةُ نداءِ الوالدين بسرعة ، والاستئذان عليهما حال الدخول عليهما وإصلاحُ ذات البين إذا فسدت بين الوالدين ، والحرصُ على التوفيق بينهما وبين الزوجة ، وتعويد الأولاد على برهما .

ومن صور البر تذكيرُ الوالدين بالله ، ونصحُهما بالتي هي أحسن .

ومن برهما – أيضًا – الاستئذانُ منهما ، والاستنارةُ برأيهما ، والمحافظةُ على سمعتهما ، والبعدُ عن لومهما وتقريعهما .

ومن ذلك فهمُ طبيعة الوالدين ، ومعاملتهما بمقتضى ذلك .

ومن البر بهما كثرةُ الدعاءِ والاستغفار لهما ، وصلةُ الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإنفاذ عهدهما ، والتصدُّق عنهما .

ومما يعين على بر الوالدين أن يستعينَ الإنسانُ بالله ، وأن يستحضر فضائلَ البر وعواقبَ العقوق ، وأن يستحضر فضل الوالدين ، وأن يضع نفسه موضعهما ، وأن يقرأ سير البارين بوالديهم .

أيها الصائمون : ها هو بر الوالدين ، وهذه هي الآداب التي يجدر بنا مراعاتها معهما ، وتلك أسباب تعين على البر ، فما أحرانا بمراعاة تلك الأمور ، وما أجدرنا ، بالأخذ بها ، وإليكم معاشر الصائمين بعضَ النماذجِ من قصص البر :

هذا إسماعيل بن إبراهيم – عليهما السلام – يضرب أروع أمثلة البر في تاريخ البشرية ، وذلك عندما قال له أبوه : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ﴾ [1] .

فما كان من ذلك الولد الصالح إلا أن قال : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن

(١) سورة الصافات آية : ١٠٢ .

شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [1] (الصافات : من الآية ١٠٢) .

وقد ورد أن إبراهيم – عليه السلام – لما تيقَّن مما رأى في منامه قال لابنه : يا بني خُذِ الحبلَ والمُديةَ ، وانطلق بنا إلى هذا الشعب نحتطب ، فلما خلا بهِ في شعب ثبير أخبره بما أمره الله به ، فلما أراد ذبحه قال له : يا أبت اشدد رباطي ؛ حتى لا أضطرب ، واكْفُفْ ثيابك ؛ حتى لا يصيبَها الدَّمُ فتراه أمي ، واشحذ شفرتك ، وأسرع في السكينِ على حلقي ؛ ليكون أهونَ علي ، وإذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني .

قال إبراهيم : نعم العونُ أنت يا بني ، ثم أقبل عليه ، وهما يبكيان ، ثم وضع السكينَ على حلقه ، فلم تحزَّ ، فشحذها مرتين أو ثلاثًا بالحجر فلم تقطع .

فقال الابن عند ذلك : يا أبتِ كُبَّني على وجهي ؛ فإنك إن نظرت إلى وجهي رحمتني ، وأدركتك رِقَّةٌ تحول بينك وبين أمر الله – تعالى – وأنا لا أنظر إلى الشفرة ؛ فأجزع .

ففـــعل إبراهيم ذلك ، ووضع السكين على قفاه ، فانقلب السكين ، وسلبت منها خاصيتها ، ونودي ﴿ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ ﴾ [2] (الصافات : الآية : ١٠٤) .

وإليكم أيها الصائمون صورًا مشرقة في البر من سير السلف الصالح ، تدل على شدة اهتمامهم ببر الوالدين .

فهذا أبو هريرة ﷺ كان يستخلفه مروان ، وكان يكون بذي الحليفة ، فكانت أمه في بيت وهو في بيت آخر ، فإذا أراد أن يخرج وقف على بابها وقال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فتقول : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، فيقول : رحمكِ الله كما ربيتني صغيرًا ، وتقول : ورحمك الله كما بررتني كبيرًا .

---

(١) سورة الصافات آية : ١٠٢ .

(٢) سورة الصافات آية : ١٠٤ – ١٠٥ .

وهذا ابنُ عمرَ – رضي الله عنهما – لقيه رجل من الأعراب بطريق مكة ، فسلَّم عليه عبد الله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه ، وأعطاه عمامة كانت على رأسه .

قال ابنُ دينارٍ : فقلنا له أصلحك الله إنهم الأعراب ، وهم يرضون باليسير .

فقال عبدُ اللهِ بنُ عمرَ : إن أبا هذا كان وُدًّا لعمر بن الخطاب ﷺ وإني سمعت رسول الله يقول : ﴿ إن أبرَّ البرِّ صلةُ الولدِ أهلَ ودِّ أبيه ﴾ [1] رواه مسلم وأبو داود .

وهذا أبو الحسن عليُّ بنُ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالب –وهو المسمى بزين العابدين وكان من سادات التابعين – كان كثير البر بأمه ، حتى قيل له : إنك من أبر الناس بأمك ، ولا نراك تؤاكل أُمَّك ؛ فقال : أخاف أن تسبق يدي إلى ما قد سبقت عينها إليه ، فأكون قد عققتها .

وقال هشام بنُ حسان : حدثتني حفصةُ بنتُ سيرين قالت ، كانت والدة محمد بن سيرين حجازية ، وكان يعجبها الصِّبغ ، وكان محمد إذا اشترى لها ثوبًا اشترى ألين ما يجد ، فإذا كان عيدٌ صَبَغَ لها ثيابًا ، وما رأيته رافعًا صوته عليها ، وكان إذا كلمها كالمصغي .

وعن بعض آل سيرين قال : ما رأيت محمد بن سيرين يكلم أمه قط إلا وهو يتضرع .

وعن ابن عون أن محمدًا إذا كان عند أمه لو رآه رجل ظن أن به مرضًا من خفض كلامه عندها .

وعن ابن عون قال : دخل رجل على محمد بن سيرين وهو عند أمه فقال : ما شأن محمد ؟ أيشتكي شيئًا قالوا : لا ، ولكن هكذا يكون عند أمه .

وروى جعفر بن سليمان عن محمد بن المنكدر أنه كان يضع خدَّه على الأرض ثم

---

(١) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٥٢) ، الترمذي البر والصلة (١٩٠٣) ، أبو داود الأدب (٥١٤٣) ، أحمد (٩١/٢) .

يقول لأمه : قومي ضعي قَدَمَكِ على خدي .

وعن ابن عون المزني أن أمه نادته ، فأجابها ، فعلا صوتُه صوتَها ؛ فأعتق رقبتين .

وقيل لعمرَ بن ذرٍّ : كيف كان بر ابنك بك ؟ قال ما مشيت نهارًا قط إلا مشى خلفي ، ولا ليلًا إلا مشى أمامي ، ولا رقي سطحًا وأنا تحته .

وهذا بُندارُ المحدثُ قال عنه الذهبي : جمع حديث البصرة ، ولم يرحل ؛ برًّا بأمه .

وقال عبد الله بن جعفر بن خاقان المروزي : سمعت بندارًا يقول : أردت الخروج – يعني الرحلة لطلب العلم – فمنعتني أمي ، فأطعتها ، فبورك لي فيه .

وكان طلق بن حبيب من العلماء العباد ، وكان يقبل رأس أمه ، وكان لا يمشي فوق ظهر بيت وهي تحته ؛ إجلالًا لها .

وقال عامر بن عبد الله بن الزبير : مات أبي ، فما سألت الله حولًا كاملًا إلا العفو عنه .

اللهم اجعلنا من الأتقياء الأبرار ، ومن المصطفين الأخيار إنك أنت الرحيم الكريم الغفّار .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

## رمضان شهر الصحة

الحمد لله القوي العزيز الجبَّار ، والصلاة والسلام على النبي الكريم المصطفى المختار ، وعلى آله وصحبه الأخيار الكرام الأطهار ، ومن تبعهم واقتفى أثرهم ما تعاقب الليل والنهار ، أما بعد :

فإن الصوم في الإسلام تكليفٌ إلهيٌّ ، صادرٌ عن الرب الذي له بمقتضى ربوبيته وألوهيته ، أن يكلِّف عبادَه بما شاء من التكاليف ، وأن يشرعَ لهم ما يريد من الشرائع والعبادات ؛ فهو تكليفٌ إلهيٌّ كسائر التكاليف الشرعية التي تظهر بها ربوبيةُ الرب ، وعبوديةُ العبد ؛ فيكفي في الحث على الصيام ، والدعوةِ إليه أن نقول للمسلم : إن الله يأمرك بالصيام ، دون ذكرٍ لفوائد الصيام ، أو بحثٍ في أسراره .

وليس معنى ذلك أنه لا يترتب على العبادات شيءٌ من الآثار النافعة المفيدة ، ولا شيء من الأسرار العظيمة البديعة ، كلا! فإن لها آثارًا نشهدها ونراها ، وندركها بعقولنا ؛ ولكن لا يصلح لنا أن نقطع بأنها هي الغرضُ من التشريع ، أو المقصود من التكليف ، وإنما هي آثارٌ تابعةٌ للعبادة ، يزداد بها إقبال النفوس عليها قوة إلى قوة .

والحكمة الجامعة من تشريع الصيام بيّنها الله ﷻ في كتابه فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ [1] (البقرة : ١٨٣) .

فالحكمة من تشريع الصيام – إذًا – هي التقوى .

وما برح الناسُ في كل عصرٍ يرون من فوائد التشريع ما يتَّفق مع تفكيرهم ومنطقهم ومصالحهم ، وهذا دليل على أن وراء هذا التشريع خالقًا عظيمًا ، مدبرًا حكيمًا ﴿ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ٨٨ ﴾ [2] (النمل :

---

(١) سورة البقرة آية : ١٨٣ .

(٢) سورة النمل آية : ٨٨ .

من الآية : ٨٨) .

هذا وإن من الأسرار ، والفوائد التي ينطوي عليها الصوم حصولَ الصحة العامة ؛ فإن للصوم فوائدَ لا تحصى على صحة الأبدان ، خصوصًا إذا اتَّبع الصائمُ النهجَ السليمَ في صيامه ، وذلك من ناحية الاعتدال في مطعمه ومشربه ، فللصوم تأثيرٌ عجيبٌ في حفظ الجوارح الظاهرة ، والقوى الباطنة ، وحِمْيَتِها عن التخليط الجالبِ لها الموادَّ الفاسدة ، التي إذا استولت عليها أفسدَتْها ، واستفراغُ الموادِّ الرديئة المانعةِ لها من صحتها .

ولقد أطنب الأطباء في ذكر فوائد الصوم ، ومما قالوه في هذا الصدد : إن الصوم ينفي الفضلاتِ المتعفِّنةَ من المعدة والأمعاء ، ويريحُ جهازَ الهضم بعض الوقت من عناء العمل ؛ فليس لبعض الأمراض من علاج إلا الحِمْيَةُ ، وهل الصوم إلا نوعٌ من الحمية ؟ بل فوق الحمية ؛ فالمصاب بالتهاب الأمعاء المزمنة والتهاب القولون المزمن ، يستفيد من الصوم كثيرًا .

والمصاب بقصور كبدي ، يستفيد من الصوم إذا اعتدل في إفطاره ، وفي بعض حالات التحسّس يستفيد المريض من الصيام ، ويساعده تنظيم الأغذية والاعتدال فيها على ذهاب كثير من أعراض التحسّس ؛ إذ إن إراحة الجهاز الهضمي أمرٌ أساس ، للخلاص من حالات (الحكَّة) التي تنبع من بعض الأغذية .

ثم إن للصوم فائدةً عظيمة على الجهاز العصبي .

يقول الدكتور محمد محمد أبو شوك في مقال له بعنوان (الصوم والجهاز العصبي) ، يقول : روحانيةُ الصومِ ، وما تفيضُه من صفاءِ النفس ، وتهذيب الروح ، والصبرِ على احتمال المشاق ، والعطفِ على الفقراء والمحتاجين ، والبعدِ عن التردي في الشهوات وما تجرُّه على الفرد من ويلات ، وتـــزكية النفس بالأخلاق الفاضلة من صدقٍ في المعاملة ، وأمانةٍ في تأدية العمل ، والبعد عن الغضب ، والانتقام ، ونقاءِ النفس من الحقد والحسد ، والبغضِ للناس ؛ كل هذا يُضْفي على النفس البشريةِ روحَ السلام ،

والمودة ، والمحبة ، والصفاء التي بدورها تؤثر على الجهاز العصبي للإنسان ، والذي يهدأ الجسم لهدوئه ، ويثور لثورته .

وبثورة الجهاز العصبي ، تثور باقي الأجهزة ، التي تحفظ للجسم كيانه .

فيا لها من حكمةٍ إلهيةٍ تجعل الصائم – حقًّا – مَلَكًا في صورة إنسان ؛ ليسعد بحياته ، ويسعد به الآخرون .

إلى أن يقول : فإلى من يترددون على عيادات الأطباء ؛ طلبًا لدواء يذهب عنهم التوتُّر العصبي ، والإنهاك العصبيَّ ، والأرقَ ، والكآبةَ ، وغيرَها من الأمراض ، التي تذهب بالعقول : هاكم رمضان ، لو تمسكتم بروحانيته ، وما يضفيه على نفوسكم من خير ، لما احتجتم في يوم من الأيام ، إلى ما لا نهاية له من علاج ودواء . . انتهى كلامه .

أيها الصائمون الكرام : كثيرًا ما تطالعنا الصحف ، والمجلات ، والدوريات بالمزيد من البحوث التي تكشف عن فوائد جديدةٍ للصوم على صحة الأبدان .

ومما يؤخذ من كلام الأطباء حول فوائد الصوم – زيادة على ما مضى – أن الصوم يفيد في أنواع من الأمراض ، كالسمنة ؛ فهو مفيد في تخفيف الوزن بأسرع وقت ، وأيسر طريقة .

والصومُ مفيدٌ في ارتفاع الضغط الشرياني ، وفي التهاب الكُلَى الحادِّ ، والحصواتِ البولية ، وفي أمراض الكبد ، وحويصلة الصفراء من التهابات وحصوات .

وهو مفيدٌ في أمراض القلب المزمنة التي تصحب البدانة والضغط العالي .

ومفيدٌ في اضطراباتِ المعدةِ المصحوبةِ بتخمِّر المواد الزلالية والنشوية .

وهو مفيد في علاج الاضطرابات النفسية والعاطفية .

ومفيد في زيادة النشاط ، وإبطاء السير نحو الشيخوخة .

ولقد ثبتت فوائد الصوم الصحية حتى عند غير المسلمين من الأوروبيين والأمريكان وغيرهم ؛ فألَّفوا في ذلك الكتب ، وأنشئوا المصحّات التي تعالج روادَها

بالصيام ، وظهرت لهم نتائجُ باهرةٌ تم فيها علاجُ أمراضٍ مستعصية بالصيام .

يقول بعضُ أطباءِ الإفرنج : إن صيامَ شهرٍ واحدٍ في السنة يذهب بالفضلات الميتة في البدن مدةَ سنة .

ومن أشهر المؤلفين في فوائد الصيام الصحية العالم الأمريكي ( ماك فادن ) زعيمُ الثقافةِ البدنية في أمريكا ، وهو من علماء الصحة الكبار ؛ حيث أسَّس مَصَحًّا كبيرًا مشهورًا بالولايات المتحدة سماه باسمه ، وألَّف كتاب (الصيام) بعد أن ظهرت له نتائجُ عظيمةٌ من أثر الصيام في القضاء على الأمراض المستعصية .

وقد قال ماك فادن وغيره : إن الصوم نافعٌ للجسم ، يصفِّيه من رواسب السموم ، التي تشتمل عليها الأغذية والأدوية .

أما الأمراض التي عالجها بالصيام فيقول : إنه عالج بالصيام أكثر الأمراض .

وذكر أن انتفاع المرضى بالصوم يتفاوت حسب أمراضهم ، فأكثر الأمراض تأثرًا بالصوم أمراض المعدة ، قال : إن الصوم يسارع في شفائها ، ويرى المعالِج به العجبَ العجابَ ، وتليها أمراضُ الدم ، ثم أمراضُ العروق كالروماتيزم .

وقد ذكر ماك فادن الأشخاصَ الذين عالجهم بالصوم ، وذكر أسماءهم ، وأمراضَهم ، وتواريخَ علاجهم .

ويقول هذا المؤلف – أيضًا – : إن كل إنسان يحتاج إلى أن يصوم ، وكذلك أي مريض ؛ فإن الأغذية والأدوية تجتمع في الجسم ، فتجعله كالمريض ، بحيث تثقله ، وتقلل نشاطه ، فإذا صام خفَّ وزنُه ، وتحللت هذه السموم من جسمه بعد أن كانت مجتمعة ، فتذهب عنه ، حتى يصفو تمامًا .

ولقد أطنب هذا الرجل في وصف الفوائد التي يجنيها الصائم من صومه ، وأخبر عن نفسه أنه صام مرارًا كثيرة ؛ لتجديد قواه ، ووجد لذلك فوائد ما كان ليجدها بدون الصيام ، ولذلك ينصح الناس جميعًا بالصيام ، وتؤثر عنه العبارة المشهورة : (الصوم سبب للشفاء من كل علة خابت في علاجها الوسائل الأخرى) .

ومن أساطين الطب والتربية في العصر الحديث ، الذين استخدموا الصوم الدكتور آلان كوت ، حيث استخدم الصوم في علاج السكر ، والنِّقْرس .

وكذلك الدكتور ( كارلسون ) حيث كانت وسيلته في تجديد الصحة ، والدكتور ( جيننجز ) الذي كان يصفه في الحالات المرضية التي كانت تعرض له .

وكذلك الدكتور ( روبرت بارتول ) ، وهو طبيب أمريكي من أنصار العلاج الدوائي للزهري ، حيث كتب يقول : لا شك في أن الصوم من الوسائل الفعّالة في التخلُّص من الميكروبات ، ومن بينها ميكروب الزهري ، لما يتضمنه من إتلاف الخلايا ، ثم إعادة بنائها من جديد ، وتلك نظرية التجويع في علاج الزهري .

أيها الصائمون الكرام : هذه بعض فوائد الصوم الصحية ، وتلك بعض أقوال أهل الاختصاص في ذلك حتى من غير المسلمين ، فسبحان الكبير المتعال ؛ الذي تظهر آياته في كل حين وآن ، ولا تنقضي عجائب دينه ما تعاقب الملوان ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [1] (فصلت : ٥٣) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين ، وصلى الله على نبينا محمد .

(١) سورة فصلت آية : ٥٣ .

## رمضان شهر التوبة

الحمد لله غافر الذنب ، وقابل التوب شديد العقاب ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو الكريم الوهاب ، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله والأصحاب ، أما بعد :

فإن التوبةَ وظيفةُ العمرِ ، وبدايةُ العبدِ ونهايتُه ، وأولُ منازلِ العبودية ، وأوسطها ، وآخرها .

وإنَّ حاجتَنا إلى التوبة ماسّةٌ ، بل إنَّ ضرورتنا إليها مُلِحَّة ، فنحن نذنب كثيرًا ، ونفرّط في جنب الله ليلًا ونهارًا ؛ فنحتاج إلى ما يصقل القلوبَ ، وينقّيها من رَيْن المعاصي والذنوب .

أيها الصائمون الكرام : التوبة هي : تركُ الذنبِ علمًا بقبحه ، وندمًا على فعله ، وعزمًا على ألا يعود التائبُ إليه إذا قدر ، وتداركًا لما يمكن تداركُه من الأعمال ، وأداءً لما ضيع من الفرائض ؛ إخلاصًا لله ، ورجاءً لثوابه ، وخوفًا من عقابه ، وأن يكون ذلك قبل الغرغرة ، وقبل طلوع الشمس من مغربها .

أيها الصائمون الكرام : لقد فتح الله – بمنِّه وكرمه – بابَ التوبة ؛ حيث أمر بها ، ووعد بقبولها مهما عظُمت الذنوب .

قال – تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [1] (الزمر : ٥٤) .

وقال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [2] (الشورى : ٢٥) .

وقال : ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ

(١) سورة الزمر آية : ٥٤ .

(٢) سورة الشورى آية : ٢٥ .

ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [1] (النساء : ١١٠) .

وقال في شأن النصارى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [2] (المائدة : ٧٣) .

ثم قال – جلّت قدرته – محرضًا لهم على التوبة : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [3] (المائدة : ٧٤) .

وقال في حق أصحاب الأخدود الذين حفروا الحُفَر لتعذيب المؤمنين وتحريقهم بالنار : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ [4] (البروج : ١٠) .

قال الحسن البصري رحمه الله : (انظروا إلى هذا الكرم والجود ، قتلوا أولياءه ، وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة) . ا هـ .

بل إنه ﷻ حذّر من القنوط من رحمته فقال : ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [5] (الزمر : ٥٣) .

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : (من أيّس عبادَ الله من التوبة بعد هذا ؛ فقد جحد كتاب الله ﷻ ) .

---

(١) سورة النساء آية : ١١٠ .

(٢) سورة المائدة آية : ٧٣ .

(٣) سورة المائدة آية : ٧٤ .

(٤) سورة البروج آية : ١٠ .

(٥) سورة الزمر آية : ٥٣ .

أما فضائلُ التوبةِ وأسرارُها ، وبركاتُها فمتعددةٌ ، متنوعةٌ ، متشعبةٌ ؛ فالتوبة سبب الفلاح ، وطريق السعادة ، وبالتوبة تكفّر السيئات ، وإذا حسُنت بدّل الله سيئاتِ صاحِبها حسنات .

وعبوديةُ التوبةِ من أحبِّ العبوديات إلى الله ، والله – تبارك وتعالى – يفرح بتوبة التائبين قال النبي ﷺ ﴿ للهُ أفرحُ بتوبة العبد من رجل نـــزل منـــزلًا ، وبه مهلكة ، ومعه راحلتُه عليها طعامُه وشرابُه ، فوضع رأسَهُ ، فنام نومةً ، ثم رفع رأسَهُ ، فاستيقظ وقد ذهبت راحلتُه ؛ حتى اشتد عليه الحرُّ والعطشُ ، أو ما شاء الله ، قال : أرجع إلى مكاني ، فرجع ، فنام نومةً ، ثم رفع رأسه ؛ فإذا راحلتُه عنده ﴾ [1] رواه البخاري ومسلم .

ولم يجئ هذا الفرحُ في شيء من الطاعات سوى التوبة ، ومعلوم أن لهذا الفرح تأثيرًا عظيمًا في حال التائب وقلبِه ، ومزيدُ هذا الفرح لا يعبر عنه .

ومن فضائل التوبة : أنها توجب للتائب آثارًا عجيبة من مقامات العبودية التي لا تحصل بدون التوبة ؛ فتوجب له المحبةَ ، والرقّةَ ، واللطفَ ، وشكرَ اللهِ ، وحمدَه ، والرضا عنه ، فَرُتِّب له على ذلك أنواعٌ من النعم لا يهتدي العبد إلى تفاصيلها ، بل لا يـــزال يتقلب في بركتها وآثارها ما لم ينقضْها أو يفسدْها .

ومن تلك الآثار : حصولُ الذلِ ، والانكسارِ ، والخضوعِ لله ، وهذا أحب إلى الله من كثير من الأعمال الظاهرة – وإن زادت في القدر والكمية على عبودية التوبة – فالذلُّ ، والانكسارُ روحُ العبوديةِ ، ولبُّها ، ولأجل هذا كان الله ﷻ عند المنكسرةِ قلوبُهم ، وكان أقربَ ما يكون من العبد وهو ساجد ؛ لأنه مقامُ ذلٍّ وانكسار ، ولعل هذا هو السِّرُ في استجابةِ دعوة المظلوم والمسافر والصائم ؛ للكسرة في قلب كل واحد

(١) البخاري الدعوات (٥٩٤٩) ، مسلم التوبة (٢٧٤٤) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٩٨) ، أحمد (٣٨٣/١) .

منهم ؛ فإن لوعةَ المظلومِ تُحْدِثُ عنده كسرةً في قلبه ، وكذلك المسافر يجد في غربته كسرةً في قلبه ، وكذلك الصوم ، فإنه يكسر سَوْرةَ النَّفْسِ السَّبُعية الحيوانية كما قرر ذلك ابن القيم رحمه الله .

أيها الصائمون الكرام : ومع عظم شأن التوبة وعظيم بركاتها إلا أن هناك أخطاءً يقع فيها كثير من الناس في باب التوبة ؛ وذلك ناتج عن الجهل ، أو التفريط ، وقلة المبالاة .

وإليكم نبذةً مختصرةً عن تلك الأخطاء على سبيل الإجمال ؛ إذ المقام لا يسمح بالإطالة ، وذكرِ الأدلة ، والتفصيل في الأقوال .

فمن تلك الأخطاء ما يلي :

أولًا : تأجيل التوبة : فيجب على العبد – والحالة هذه – أن يتوب من ذنبه ، وأن يتوب من تأجيل التوبة .

ثانيًا : الغفلة عن التوبة مما لا يعلمه العبد من ذنوبه : فهناك ذنوبٌ خفيةٌ ، وهناك ذنوبٌ يجهل العبد أنها ذنوبٌ ، ولا ينجي من ذلك إلا توبةٌ عامةٌ مما يعلمه من ذنوبه ومما لا يعلمه ؛ ولهذا قال النبي ﷺ ﴿ الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل فقال أبو بكر : فكيف الخلاص منه يا رسول الله ؟ قال : أن تقول : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم ﴾ رواه البخاري في الأدب المفرد .

ثالثًا : ترك التوبة مخافةَ الرجوع للذنب ، أو خوفًا من لمز الناس ، أو مخافة سقوط المنـــزلة ، وذهاب الجاه والشهرة : وهذا خطأ يجب تلافيه ؛ فعلى العبد أن يعزم على التوبة ، وإذا رجع إلى الذنب فليجدد التوبة مرة أخرى وهكذا ، وعليه أن يدرك أنه إذا تاب عوّضه الله خيرًا مما ترك .

رابعًا : التمادي في الذنوب اعتمادًا على سعة رحمة رب العالمين : وهذا خطأ عظيم ، فكما أن الله غفور رحيم فإنه شديد العقاب ، ﴿ وَلَا

يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [1] (الأنعام : من الآية ١٤٧) .

خامسًا : توبة الكذابين : الذين يهجرون الذنوب هجرًا مؤقتًا لمرض ، أو عارض ، أو مناسبة أو خوف ، أو رجاء جاه ، أو خوف سقوطه ، أو عدم تمكُّن ، فإذا أتتهم الفرصة رجعوا إلى ذنوبهم ؛ فهذه توبة الكذابين ، وليست بتوبة في الحقيقة .

ولا يدخل في ذلك من تاب ، فحدثته نفسه بالمعصية ، أو أغواه الشيطان بفعلها ثم فعلها ، فندم وتاب ؛ فهذه توبة صادقة ، كما لا يدخل في ذلك الخطَرَاتُ ما لم تكن فعلًا متحققًا .

سادسًا : الاغترار بإمهال الله للمسيئين : وهذا من الجهل ، ومما يصد عن التوبة ، قال ﷺ ﴿ إذا رأيت الله ﷻ يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب ؛ فإنما هو استدراج ﴾ [2] ثم تلا قوله – ﷻ ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [3] (الأنعام : ٤٤ – ٤٥) . أخرجه أحمد ورجاله ثقات .

قال ابن الجوزي رحمه الله : ( فكـــلُ ظالمٍ معاقبٌ في العاجل على ظلمه قبل الآجل ، وكذلك كلُّ مذنبٍ ذنبًا ، وهو معنى قوله – تعالى – : ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾ [4] (النساء : من الآية ١٢٣) . وربما رأى العاصي سلامة بدنه ، فظن أنْ لا عقوبة ، وغفلته عما عوقب به عقوبة) .

وقال : (الواجبُ على العاقل أن يحذرَ مغبةَ المعاصي ؛ فإن نارها تحت الرماد ،

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٤٧ .

(٢) أحمد (٤/١٤٥) .

(٣) سورة الأنعام آية : ٤٤ – ٤٥ .

(٤) سورة النساء آية : ١٢٣ .

وربما تأخرت العقوبةُ ، وربما جاءت مستعجلة) .

وقال : (قد تبغت العقوبات ، وقد يؤخرها الحلمُ ، والعاقلُ من إذا فعل خطيئةً بادرها بالتوبة ، فكم مغرور بإمهال العصاة لم يُمهل) .

سابعًا : من الأخطاء في التوبة ، اليأس من رحمة الله ، واليأس من التوبة : فبعض الناس إذا تمادى في الذنوب ، أو تاب مرة أو أكثر ثم رجع إلى الذنب مرة أخرى – أيس من رحمة الله ، وهذا خطأ عظيم ؛ لأنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون .

اللهم إنا نسألك التوبة النصوح ، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد .

# رمضان شهر الصلة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد :

فإن رمضان شهر البر والصلة ، وشهر التعاطف والمرحمة ، فالقلوب تلين لذكر الله ، والنفوس تستجيب لداعي الله ، فلا ترى من جَرَّاء ذلك إلا أعمالًا زاكيات ، وقربًا من ربّ الأرض والسماوات .

ولعل الحديث هاهنا يدور حول صلة الرحم ، وفضلها ، والأمور المعينة عليها ، لعل نفوسنا تنبعث إلى الصلة ، وإلى مزيد منها ، وتُقْصِر عن القطيعة ، وتنأى عن أسبابها .

أيها الصائمون الكرام : لقد تظاهرت نصوص الشرع في عظم شأن الصلة ، وفضلها ، والتحذير من قطيعتها ، قال – تبارك وتعالى – : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ [1] (النساء : من الآية ١) .

وقال ﷻ ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ۝٢٣ ﴾ [2] ( محمد : ٢٢–٢٣) .

وقال النبي ﷺ ﴿ لا يدخل الجنة قاطع ﴾ [3] رواه البخاري ومسلم ، وقال سفيان في روايته : (يعني : قاطع رحم) .

---

(١) سورة النساء آية : ١ .

(٢) سورة محمد آية : ٢٢– ٢٣ .

(٣) البخاري الأدب (٥٦٣٨) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٥٦) ، الترمذي البر والصلة (١٩٠٩) ، أبو داود الزكاة (١٦٩٦) ، أحمد (٨٣/٤) .

وقال ﷺ ﴿ من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه ﴾ [1] متفق عليه .

وقال ﷺ ﴿ إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم ، فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى : قال : فذلك لكِ ﴾ [2] رواه البخاري ومسلم .

وهكذا يتبين لنا عظمُ شأن الصلة ، وأنها شعار الإيمان بالله واليوم الآخر ، وأنها سبب في بسط الرزق وطول العمر ، وأنها تجلب صلةَ الله للواصل .

ثم إنها من أعظم أسباب دخول الجنة ، وهي من أسباب تيسير الحساب ، وتكفير الذنوب ، وتعمير الديار ، ودفعِ ميتة السوء .

وهي مما اتفقت عليه الشرائعُ السماوية ، وأقرته الفطرُ السوية ، كما أنها دليل على كرم النفس ، وسعة الأفق ، وطيب المنبت ، وحسن الوفاء .

وصلة الرحم مدعاةٌ لرفعةِ الواصل ، وسببٌ للذكر الجميل ، وموجبةٌ لشيوع المحبة ، وعزة المتواصلين .

أيها الصائمون : صلةُ الأرحامِ ضدُّ القطيعة ، وهي كنايةٌ عن الإحسان للأقربين من ذوي النسب ، والأصهارِ .

وتكون بزيارتهم ، وتَفَقُّدِ أحوالهم ، والسؤالِ عنهم ، والإهداءِ إليهم ، والتصدُّق على فقيرهم ، والتلطفِ مع وجيههم وغنيهم ، وتوقيرِ كبيرهم ، ورحمةِ صغيرهم .

وتكون باستضافتهم ، وحسن استقبالهم ، وإعزازهم ، ومشاركتهم في أفراحهم ، ومواساتهم في أتراحهم .

---

(١) البخاري البيوع (١٩٦١) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٥٧) ، أبو داود الزكاة (١٦٩٣) ، أحمد (٢٤٧/٣) .

(٢) البخاري التوحيد (٧٠٦٣) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٥٤) ، أحمد (٣٣٠/٢) .

وتكون الصلة بالدعاء للأرحام ، وسلامة الصدر لهم ، والحرص على نصحهم ، ودعوتهم إلى الخير ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، وإصلاح ذات البين إذا فسدت .

وهذه الصلة تستمر إذا كانت الرحم صالحةً مستقيمةً أو مستورةً .

أما إذا كانت الرحمُ كافرةً أو فاسقةً فتكون بالعِظَةِ والتذكير ، وبذلِ الجهد في ذلك .

فإذا أعيته الحيلة في هدايتهم كأن يرى منهم عنادًا ، أو استكبارًا ، أو أن يخاف على نفسه أن يتردى معهم ، ويهوي في حضيضهم – فَلْيناً عنهم ، وليهجرْهُمُ الهجرَ الجميل الذي لا أذى فيه بوجه من الوجوه ، وليكثرْ من الدعاء لهم بالهداية .

وإن صادف منهم غرة ، أو سنحت له لدعوتهم فرصةٌ فليُقْدِمْ ، وليُعِدْ الكرَّة بعد الكرة .

أيها الصائمون : ومع عظم شأن الصلة ، إلا أن كثيرًا من الناس مضيعون لهذا الحق ، مفرِّطون فيه ؛ فمن الناس من لا يعرف قرابَته بصِلة لا بالمال ، ولا بالجاه ، ولا بالخلق ، تمضي الشهور ، وربما الأعوام وهو ما قام بزيارتهم ، ولا تودد إليهم بصلة أو هدية ، ولا دفع عنهم حاجة أو ضرورة أو أذية ، بل ربما أساء إليهم ، وأغلظ في القول لهم .

ومن الناس من لا يشارك أقاربَه في أفراحهم ، ولا يواسيهم في أتراحهم ، ولا يتصدَّق على فقرائهم ، بل تجده يقدم عليهم الأباعدَ في الصِّلات والصدقات .

ومِنَ الناس مَنْ يصل أقارِبَهُ إن وصلوه ، ويقطعهم إن قطعوه ، وهذا – في الحقيقة – ليس بواصل ، وإنما هو مكافئٌ للمعروف بمثله ، وهو حاصل للقريب وغيره ، والواصلُ – حقيقة – هو الذي يتقي الله في أقاربه ، فيصلهم لله سواء وصلوه أو قطعوه .

ومن مظاهر القطيعة : أن تجد بعض الناس – ممن آتاه الله علمًا ودعوة – يحرص

على دعوة الأبعدين ، ويغفل أو يتغافل عن دعوة الأقربين ، وهذا لا ينبغي ؛ فالأقربون أولى بالمعروف ، قال الله ﷻ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [1] (الشعراء : ٢١٤) .

وإذا أمعنا النظر في أسباب قطيعة الأرحام وجدنا أنها تحدث لأسباب عديدة تحمل على القطيعة .

فمن تلك الأسباب : الجهلُ بعواقب القطيعة ، والجهل بفضائل الصلة .

ومنها ضعفُ التقوى ، والكبرُ ، فبعضُ الناس إذا نال منصبًا رفيعًا ، أو حاز مكانة عالية ، أو كان تاجرًا ، أو مشهورًا تكبر على أقاربه ، وأَنِفَ من زيارتهم ، والتودد إليهم .

ومن أسباب القطيعة : الانقطاعُ الطويلُ الذي يقود إلى الوحشة ، واعتياد القطيعة .

ومنها : العتابُ الشديدُ ، فبعضُ الناس إذا زاره أحدٌ من أقاربه ؛ أمطر عليه وابلًا من التقريع والعتاب على تقصيره في حقه ، وإبطائه في المجيء إليه ؛ ومن هنا تحصل النفرة من ذلك الشخص ، وتُوجَد الهيبةُ من المجيء إليه .

ومن أسباب القطيعة : التكلفُ الزائدُ ، فهناك مِنَ الناس مَنْ إذا زاره أقاربه تكلَّف لهم أكثر من اللازم ، وخسر الأموالَ الطائلةَ ، وقد يكون – مع ذلك – قليلَ ذاتِ اليد .

ومن هنا تجد أن أقاربه يُقْصِرُون عن المجيء إليه ، خوفًا من إيقاعه في الحرج .

وفي مقابل ذلك تجدُ مَنْ إذا زاره أقاربهُ لم يهتمَّ بهم ، ولم يصغ لحديثهم ، وتراه لا يفرح بمقدمهم ، ولا يستقبلهم إلا بكل تثاقل وبرود ؛ مما يقلل رغبتهم في زيارته .

ومن الأسبابِ الحاملةِ على القطيعةِ : الشحُّ والبخلُ ، فمن الناس من إذا رزقه الله

---

(١) سورة الشعراء آية : ٢١٤ .

مالًا أو جاهًا بَعُد من أقاربه ، حتى لا يرهقوه بطلباتهم المتنوعة .

ومن أعظم أسباب القطيعة : تأخيرُ قِسْمَةِ الميراث ؛ فقد يكون بين الأقارب ميراثٌ لم يقسم ، إما تكاسلًا منهم ، أو قلةَ وفاقٍ فيما بينهم ، وكلما تأخر قسم الميراث شاعت العداوة ، وكثرت المشكلات ، وزاد سوءُ الظن ، وحلَّت القطيعة .

ومن أسباب القطيعة : الشركة بين الأقارب ؛ فكثيرًا ما يشترك الإخوة أو غيرهم من الأقارب في مشروع أو شركة ما ، دون أن يتفقوا على أسس ثابتة ، ودون أن تقوم الشركة على الوضوح والصراحة ، بل تقوم على المجاملة ، والحياء ، وإحسان الظن .

فإذا زاد الإنتاج ، واتَّسعت دائرة العمل ؛ دبّ الخلافُ ، وساد البغي ، ونـــزغ الشيطان ، وحدث سوءُ الظن ، خصوصًا إذا كانوا من قليلي التقوى والإيثار ، أو كان بعضهم مستبدًّا برأيه ، أو كان أحد الأطراف أكثرَ جدية من صاحبه .

ومن هنا تسوء العلاقة ، وتحل الفرقة ، وربما وصلت بهم الحال إلى الخصومات في المحاكم ؛ فيصبحون سُبَّةً لغيرهم : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ [1] (ص : من الآية ٢٤) .

ومن أسباب القطيعة : الاشتغالُ بالدنيا ، والطلاقُ بين الأقارب إذا لم يكن بإحسان ، وبعدُ المسافة ، والتكاسلُ عن الزيارة .

وقد يكون التقاربُ في المساكن بين الأقارب مسببًا للقطيعة بسبب ما يكون من التزاحم على الحقوق ، وبسبب ما يحدث بين الأولاد من مشكلات قد تنتقل إلى الوالدين .

ومن الأسبابِ الحاملةِ على القطيعة : قلةُ التحمُّل ، وقلةُ الصبرِ على الأقارب ، ونسيانُهم في الولائم والمناسبات ، فقد يُفَسَّر هذا النسيانُ بأنه تجاهلٌ واحتقار ، فيقود

(١) سورة ص آية : ٢٤ .

**ذلك الظن إلى الصرم والهجر .**

**أيها الصائمون : هذه بعضُ الأسبابِ التي تؤدي إلى قطيعة الأرحام ، أما الحديث عن الأمور المعينة على الصلة ، فسيكون غدًا – إن شاء الله – والله المستعان ، وعليه التكلان ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .**

# رمضان شهر الصلة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد :

فقد مرّ بنا – سالفًا – حديث عن صلة الرحم وفضلها ، وعن قطيعة الرحم ، وصورها ، والأسباب الحاملة عليها .

والحديث هاهنا إكمال لما مضى ، حيث سيدور حول الأسباب المعينة على صلة الرحم ؛ فهناك آداب يجدر بنا سلوكها مع الأقارب ، وهناك أمور تعين على الصلة .

فمن ذلك : التفكرُ في الآثار المترتبة على الصلة ؛ فإن معرفَة ثمراتِ الأشياء ، واستحضارَ حُسْنِ عواقبها من أكبر الدواعي إلى فعلها ، وتَمثُّلها ، والسعي إليها .

وكذلك النظرُ في عواقب القطيعة ، وتأمُّلُ ما تجلبه من همٍّ ، وغمٍّ ، وحسرةٍ ، وندامة ، ونحوِ ذلك ، فهذا مما يعين على اجتنابها ، والبعد عنها .

ومما يعين على الصلة : الاستعانةُ بالله ، وسؤالُه التوفيقَ ، والإعانةَ على صلة الأرحام .

ومما يحسن سلوكه مع الأقارب : مقابلةُ إساءتهم بالإحسان ، فهذا مما يبقي على الود ، ويحفظ ما بين الأقارب من العهد ، ويهون على الإنسان ما يلقاه من شراسة الأقارب ؛ وقد ﴿ أتى رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن لي قرابةً أصِلُهم ويقطعونني ، وأُحْسِنُ إليهم ويسيئون إليّ ، وأَحْلُم عنهم ويجهلون عليّ . قال : (لئن كنت كما قلت ؛ فكأنما تسفهم الملّ) ﴾ [1] رواه مسلم .

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح الحديث : (وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكلَ الرماد الحار من الألم ، ولا شيء على هذا المحسن ، بل ينالهم الإثمُ العظيمُ في قطيعتهِ ، وإدخالِهم الأذى عليه .

وقيل معناه : إنك بالإحسان إليهم تخزيهم ، وتحقِّرهم في أنفسهم ؛ لكثرة

---

(١) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٥٨) ، أحمد (٢/٣٠٠) .

إحسانك ، وقبيح فعلهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم كمن يسف الملّ .

وقيل : ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كالمل يحرق أحشاءهم ؛ والله أعلم) ا هـ .

فهذا الحديث عزاءٌ لكثير من الناس ممن ابتلوا بأقارب شرسين ، يقابلون الإحسانَ بالإساءة ، وفيه تشجيعٌ للمحسنين على أن يستمروا على طريقتهم المثلى ؛ فإن الله معهم ، وهو مؤيدهم ، وناصرهم ، ومثيبهم .

ومن جميل ما قيل في هذا المعنى قولُ المقنّعِ الكنديِّ يصف حالَه مع قرابته :

وإن الـــذي بـــيني وبـــين بـــني أبي ... وبـــين بـــني عمِّـــي لَمُختلـــفٌ جِـــدّا

إذا قدحوا لي نـــارَ حـــربٍ بزنـــدهم ... قدحت لهـــم في كـــلِّ مكرمـــةٍ زنـــدا

وإن أكلوا لحمـــي وَفَـــرْتُ لحـــومَهُمْ ... وإن هدموا مجدي بنيـــتُ لهـــم مجـــدا

ولا أَحْمِـــل الحقـــدَ القـــديمَ علـــيهمُ ... وليس رئيسُ القومِ مَنْ يَحْمِلُ الحقـــدا

وأعطـــيهمُ مـــالي إذا كنـــت واجـــدًا ... وإن قـــلّ مـــالي لم أكَلّفْهـــمُ رفْـــدا

ومما يحسن فعله مع الأقارب : أن يقبل الإنسانُ أعذارَهم إذا أخطأوا واعتذروا .

ومن جميل ما يذكر في ذلك ما جرى بين يوسف – عليه السلام – وإخوته ، فلقد فعلوا به ما فعلوا ، وعندما اعتذروا قَبِلَ عُذْرَهُم ، وصَفَحَ عنهم الصفحَ الجميلَ ، فلم يقرِّعْهم ، ولم يوبِّخْهم ، بل دعا لهم ، وسأل الله المغفرة لهم .

بل يحسن بالإنسان أن يصفح عن أقاربه ، وينسى معايبهم ولو لم يعتذروا ، فهذا دليل سمو النفس ، وعلو الهمة .

ومن جميل ما يذكر في ذلك قول القائل :

وحَسْـــبُكَ مـــن ذلٍّ وســـوءِ صـــنيعةٍ ... مناواةُ ذي القـــربى وإن قيـــل قـــاطعُ

ولكـــنْ أواســـيه وأنســـى عيوبَـــه ... لِتُرْجِعَـــــهُ يومًـــــا إليَّ الرواجـــــعُ

ولا يســـتوي في الحكـــم عبـــدانِ ... واصلٌ وعبدٌ لأرحـــام القرابـــةِ قـــاطعُ

ومما يحبب الإنسان لقرابته ، ويدنيه منهم تواضُعُه ولينُ جانبه

مَنْ كان يَحْلُـــم أن يســـودَ عشـــيرةً فعليـــه بـــالتقوى ولـــينِ الجانـــب
ويغضَّ طرفًا عن مساوي مـــن أســـا منهم ويحلم عنـــد جهـــل الصـــاحب

ومما يجمل فِعْلُه مع الأقارب : بذلُ المستطاعِ لهم من الخدمة بالنفس ، أو الجاه ، أو المال ، وأن يدعَ المنةَ عليهم ، ومطالبتَهم بالمثل ، فالواصل ليس بالمكافئ ، والعاقلُ الكريمُ يوطِّن نفسَه على الرضا بالقليل من الأقارب ؛ فلا يستوفي حقه كاملًا ، بل يقنع بالعفو وباليسير ، حتى يستميلَ بذلك قلوب أقاربه ، ويُبْقي على مودتهم .

على دَخَـــن أكثـــرتَ بـــثَّ المعايـــبِ إذا أنـــت لم تســـتبق ودّ صـــحابةٍ

ثم إن الأقارب يختلفون في أحوالهم ، وطباعهم ، ومنازلهم ؛ فمنهم من يرضى بالقليل ؛ فتكفيه الزيارةُ السنوية ، والمكالمةُ الهاتفية ، ومنهم من يرضى بطلاقة الوجه ، والصلة بالقول ، ومنهم من يعفو عن حقه كاملًا ، ويلتمس المعاذير لأرحامه ، ومنهم من لا يرضى إلا بالزيارة المستمرة ، وبالملاحظة الدائمة ؛ فمعاملتهم بهذا المقتضى تعين على الصلة ، واستبقاء المودة .

ومما يغري بالصلة تركُ التكلف مع الأقارب ، ورفعُ الحرج عنهم ، وتجنبُ الشدة في عتابهم ، فإذا علموا بذلك عن شخص قريب لهم انبعثوا إلى زيارته ، وصلته .

ومن أجملِ الآدابِ التي ينبغي سلوكُها مع الأقارب تَحَمُّلُ عتابِهم ، وحَمْلُه على أحسن المحامل ، فهذا أدب الفضلاء ، ودأب النبلاء ممن تمت مروءتهم ، وكملت أخلاقهم ، وتناهى سؤددهم ، ممن وسِعوا الناس بحلمهم ، وحسن تربيتهم ، وسعة أفقهم ؛ فإذا عاتبهم أحدٌ من الأقارب ، وأغلظ عليهم ؛ لتقصيرهم في حقه – لم يثرّبوا عليه ، ولم يُجاروه في عتابه ، بل يتلطّفون به ، ويحملون عتابه على المحمل الحسن ؛ فيرون أن هذا المعاتبَ محبٌ لهم ، حريصٌ على مجيئهم ، ويشعرونه بذلك ، ويشكرونه ، ويعتذرون إليه ، حتى تَخِفَّ حِدَّتُه ، وتهدأ ثورته ؛ فبعضُ الناس يُقَدِّر ويحب ، ولكنه لا يستطيعُ التعبيرَ عن ذلك إلا بكثرة اللوم والعتاب .

والكرامُ يحسنون التعامل مع هؤلاء ، ولسانُ حالهم يقول : لو أخطأت في حُسْنِ

أسلوبك ما أخطأتَ في حسن نيتك .

ومما يَحسن سلوكُه مع الأقارب : أن يعتدل الإنسانُ في مزاحه مع أقاربه ، وأن يتجنَّب الخصامَ ، وكثرةَ الملاحاةِ ، والجدالَ العقيمَ معهم ؛ ذلك أن مجالسَ الأقاربِ كثيرةٌ ، واجتماعاتِهم عديدةٌ متكررةٌ ، واللائق بالعاقل أن يداريَهم ، وأن يبتعدَ عن كلِّ ما مِنْ شأنهِ أن يكدرَ صفو الودادِ معهم .

وإذا شَعُرَ بأن واحدًا من الأقارب قد حَمَل في نفسه مَوْجِدَةً أو موقفًا – فليبادر إلى الهدية ؛ فالهدية تجلب المودة ، وتكذِّب سوء الظن ، وتستل سخائمَ القلوب .

ومما يعين على الصلة : أن يستحضر الإنسانُ أن أقاربَه لُحْمَةٌ مِنْه ؛ فلا بد له منهم ، ولا فِكَاكَ لـــه عنهم ، فعزُّهم عزٌّ له ، وذُلُّهم ذلٌّ له ، والرابح في معاداة أقاربه خاسر ، والمنتصر مهزوم .

ومما يحسن بالإنسان أن يحرص عليه كلَّ الحرص تَذَكُّرُ قراباته في المناسبات والولائم .

ومن الطرق المجدية : أن يسجِّل أسماء أقارِبه ، وأرقامَ هواتِفهم ، ثم يحفظها عنده ؛ حتى يستحضرهم جميعًا ، ويتصلَ بهم إما مباشرة ، أو عبر الهاتف ، أو غير ذلك .

ثم إذا نسي أحدًا منهم فليذهبْ إليه ، وليعتذرْ منه ، ولْيَسْعَ في تطييب قلبه ما استطاع إلى ذلك سبيلًا .

ومما يحسن بالأقارب : أن يَسْعوا إلى إصلاح ذات البين ، إذا فسدت بين بعضهم ، وأن تكونَ لهم اجتماعاتٌ دوريةٌ سنويةً كانت أو شهريةً ، أو نحو ذلك ، وأن يكون هناك دليل خاص ، يحتوي على أرقام هواتف القرابة ، يقوم بعض الأفراد بإعداده ، وطبعه وتوزيعه ؛ فهذا الصنيع يعين على الصلة ، ويذكر المرء بأقاربه ، إذا أراد السلام عليهم ، أو دعوتهم .

ومما يحسن فعلُه في هذا الصدد ، أن يكون للقرابة صندوقٌ تُجْمَع فيه تبرعاتُ الأقارب واشتراكاتهم ، ويشْرِفُ عليه بعض الأفراد ، فإذا ما احتاج أحدٌ من الأسرة

مالًا لزواج ، أو نازلة أو غير ذلك – قاموا بدراسة حاله ، ورفدوه بما يستحق ؛ فهذا مما يولد المحبة بين الأقارب .

ومما يحسن بالأقارب إذا كان بينهم ميراثٌ أن يعجِّلوا قِسْمَتَهُ ؛ حتى يأخذ كلُّ واحدٍ نصيبَه ، لئلا تكثر المطالباتُ والخصومات ، ولأجل أن تكون العلاقةُ بين الأقارب خالصةً صافيةً من المكدرات .

وإذا كان بين بعض الأقارب شَرِكة في أمر ما ؛ فليحرصوا كلَّ الحرص على الوئام التام ، والاتفاق في كل الأمور ، وأن تسودَ بينهم روحُ المودةِ ، والإيثارِ ، والشورى ، والرحمةِ ، والصدقِ ، وأن يحبَّ كلُّ واحدٍ منهم لأخيه ما يحبه لنفسه ، وأن يعرف كلُّ طرفٍ ما له وما عليه .

كما يحسن بهم أن يناقشوا المشكلاتِ بمنتهى الوضوح ، والصراحة بعيدًا عن المجاملة والمراوغة ، والمواربة ، وأن يحرصوا على الإخلاص في العمل ، وأن يتغاضى كلٌّ منهم عن صاحبه .

ويجمل بهم أن يكتبوا ما يتفقون عليه ، فإذا كانت هذه حَالَهم أيسَ الشيطان منهم ، وسادت بينهم المودة ، ونـــزلت عليهم الرحمة ، وحلَّت عليهم بركات الشركة .

وأخيرًا : يراعى في صلة الأرحام أن تكون الصلةُ قربةً لله ، خالصة لوجهه الكريم ، وأن تكون تعاونًا على البر والتقوى ، لا يقصد بها حمية الجاهلية .

اللهم اجعلنا من الواصلين ، وأعذنا من القطيعة يا رب العالمين .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

## رمضان شهر القوة

الحمد لله القوي العزيز الجبار ، والصلاة والسلام على النبي الكريم المصطفى المختار ، وعلى آله وصحبه الأخيار الكرام الأطهار ، ومن اتبعهم واقتفى أثرهم ما تعاقب الليل والنهار ، أما بعد :

فإن الإسلامَ دينُ القوة ؛ فالمؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، والله ﷻ أمرنا بإعداد القوة ، وجاء الثناء في القرآن الكريم على القوي الأمين .

وإن من أسرار الصيام ، وآثار شهره الكريم أنه يبعث القوة في نفوس الصائمين ، وهذا ما سيتبين في ثنايا هذا الحديث إن شاء الله .

أيها الصائمون الكرام : هذه الحياةُ ميدانٌ لا يفوز فيها إلا الأقوياءُ ، ونحن في عصر يكاد يكون شعاره :

" إن لم تكن آكلًا فأنت مأكولٌ ، وكن قويًّا تُحترم " .

ثم إن القوةَ ضَربان : قوةٌ ماديةٌ ، وقوةٌ معنويةٌ ، ومن مبادئ الإسلام أن القوة المادية قد تنتصر ، ولكن انتصارها لا يكون طويلًا ، ولن يكون مفيدًا .

ولقد قص القرآن الكريم علينا فيما قص : أن أممًا كانت قويةً في مظاهر الحياةِ الماديةِ ؛ فعاثت في الأرض فسادًا ، وحاربت أنبياء الله ورسله وأولياءه ؛ فكانت عاقبة أمرها خسرًا .

وما خبرُ عادٍ وثمودَ وغيرهما من الأمم بغريب على من يقرأ القرآن ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤ ﴾ [1] .

تلك هي نهايةُ الأمم التي أخذت من القوة المادية بأعلى نصيب ، ولكنها خِلْوٌ من

---

(١) سورة الفجر آية : ٦ – ١٤ .

القوة الروحية والمعنوية .

وأما القوةُ المعنويةُ وحدها دون سند من القوة المادية –فيقرر الإسلام أنه لا سبيلَ لها إلى النصر ، ولا شأنَ لها في توجيهِ الحياة ؛ فسُنَنُ اللهِ ماضيةٌ ، لا تحابي أحدًا كائنًا من كان .

حَلَقُ الحديدِ وألسنُ النيرانِ لا خيرَ في حقٍّ إذا لم تَحْمِه

وقد رأينا أممًا وشعوبًا عاشت في التاريخ هضيمةَ الحقِّ ، كسيرةَ الجناح ، تُسام في ديارها الخسفَ والهوانَ ؛ لأنها لم تَسْلُكْ سبلَ القوة ؛ فانهزمت أمام الأقوياء .

والسبيلُ الصحيحُ إلى حياة كريمةٍ سعيدةٍ أن تتضافرَ المادةُ مع الروح ، على تقويم الإنسان ، وبناء معيشته ، وأن تُمْسِك الأمَّةُ بجناحين من قوةِ المادة ، وقوةِ الروح ، لا يطغى أحدهما على الآخر .

ومما أدبنا القرآن به أن أمرنا أن نقول : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (١) .

وكما أوجب علينا القرآن أن نُصَحِّحَ العقيدة ، ونهذِّب النفوس ، ونسموَ بالروح –أمرنا بأن نُعِدّ القوة إلى أقصى ما نستطيع ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (٢) .

وكما أمرنا بأن نقيمَ الصلاة ، ونؤتيَ الزكاة –وهما من أبرزِ دعائم القوةِ الروحيةِ المعنوية– أمرنا أن نضربَ في الأرض ، ونمشي في مناكبها ، وألا ننسى نصيبنا من الدنيا .

ومما يقرره الإسلام أن القوةَ المعنوية مع قليلٍ من القوةِ المادية تغلب القوةَ الماديةَ إذا هي فقدت الوازعَ النفسيَّ ، والباعثَ المعنوي ، قال الله ﷻ

(١) سورة البقرة آية : ٢٠١ .

(٢) سورة الأنفال آية : ٦٠ .

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ [1] .

وفي معركة بدر أروعُ مثالٍ شاهدٍ على ذلك ؛ فالمسلمون الثلاثُمائة الذين انتصروا في بدر كانوا عربًا ككفار قريش الذين بلغ عددُهم في بدر ألفًا ، وأولئك أقرباء هؤلاء ، ومن بلد واحد ، وميزات واحدة ، والسلاحُ الذي في يد الألف أكثرُ وأضر .

ولكن المسلمين كانوا يملكون من قوة العقيدة ، وقوةِ الخُلُق ، وقوةِ الروح ما لا يملكه أولئك الكفرة ؛ فانهزم الكفرةُ هزيمةً سجلها القرآن كمثلٍ رائع يدل على ما تستطيع القوة المعنوية أن تحرزه من نصر على القوة المادية ؛ إذا هي أخذت من قوة السلاح بالمستطاع ، ولو كان أدنى نصيب ؛ لأنها بذلك تستحق النصر والمدد الإلهي .

وكما ضربَ القرآنُ المثلَ بالأمة التي تجمع بين القوتين ؛ فكذلك ضرب مثلًا للفرد الذي يجمع بين القوتين فَيُفْلِحُ وينجح بموسى –عليه السلام– حين سقى للفتاتين الماء بقوة عضل وجسم ، ومشى معهما إلى أبيهما ، لا يرتفع طرفُه إليهما عن حياء وتكرم ، وخلق نبيل ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [2] .

وضرب القرآن المثل بالأمة ، التي تجمع بين القوتين ، فتسعد وتنتصر بأمة محمد ﷺ قال –تعالى– : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ [3] ، وهذا عنوان القوة المادية ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ [4] وهذا عنوان القوة المعنوية ، ﴿ تَرَىٰهُمْ سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ ﴾ [5] وهذا ثمرةُ الجمعِ بين القوتين ، وأبرزُ

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٤٩ .

(٢) سورة القصص آية : ٢٦ .

(٣) سورة الفتح آية : ٢٩ .

(٤) سورة الفتح آية : ٢٩ .

(٥) سورة الفتح آية : ٢٩ .

عناصر السعادة للأمة التي تجمع بينهما .

والصيامُ الذي فرضه الله على المسلمين ؛ يجمع بين القوتين جمعًا رائعًا متلائمًا ، يؤتي أحسنَ الثمار ؛ فهو من الناحية الصحية قوةٌ للجسم ، يدفع عنه كثيرًا من الأمراض ، ويشفيه من كثيرٍ من العلل .

وهو من الناحية المعنوية يعطي المسلم قوًى معنويةً متنوعةً ، لها أكبرُ الأثرِ في سعادة الأفراد والجماعات ، فيعطيه : قوةَ الصبرِ ، وقوةَ النظام ، وقوةَ الطاعة ، وقوةَ التحملِ ، وقوةَ الإيمانِ .

أترون أمةً من الأمم تتحلى بهذه القوى المعنوية ، ثم تجد سبيلها إلى الانهيار ؟ !

أترون جيشًا يتحلى أفراده بهذه الأخلاق القوية يجد نفسه على عتبة الهزيمة ؟ !

أترون مجتمعًا تسود فيه هذه الأخلاق ، يتطرق الفساد إلى قواعده وأُسُسِه ؟ !

أترون المسلمين يومَ بدرٍ وقد كانت في السابع عشر من رمضان أتروهم استطاعوا أن يحرزوا هذا النصر لولا أن الله قيَّض لهم هذا الصيام الذي بث فيهم القوة الروحية الكاملة ، فجعلهم يخوضون المعركة أقوياء أحرارًا ؟ !

أترون معاركَنا التي انتصرنا فيها في اليرموك ، والقادسية ، وجلولاءَ ، وحطينَ وغيرها ، هل كانت تتم بهذه الروعةِ المُعجزةِ ، التي لا تـــزال تذهل كبار الباحثين في أسرارها لولا أن أهلَها كانوا يتخلَّقون بخلق الصائمين من عفة ، وسموٍّ ، وتضحية ، وتحمّلٍ للشدائد ، وخضوعٍ لله ، واستعلاءٍ على كل ما سواه ؟ !!

هل تراهم يثبتون هذا الثباتَ ، لو أنهم خاضوا المعارك بنفوس المنهزمين ، الذين تغلبهم شهواتُهم ، وتستحوذُ عليهم شياطينُهم ، فلا يستطيعون مقاومةَ الجوع والعطش ساعات معدودة ؟ !

كلا ثم كلا!!

أيها المسلم الصائم : لا تنس وأنت تصوم رمضان ، أنهُ يراد منك أن تكون مثالَ القويِّ الأمين ؛ فحذارِ أن ينسلخ عنك رمضان وأنت الضعيفُ الخائن .

وأيها المسلمون الصائمون : لا تنسوا وأنتم تصومون رمضان ، أن الله يريد أن تكونوا بالصيام أشداءَ على الكفار رحماءَ بينكم ؛ فاحذروا أن ينسلخ الشهر عنكم وأنتم ممن ينطبق عليه قوله –تعالى– : ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [1] .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذلَّ الشرك والمشركين ، وانصر عِبادك الموحدين يا رب العالمين ، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

(١) سورة المنافقون آية : ٤ .

# شهر الصيام آثاره وأسراره

الحمدُ للهِ الْمُوفِقِ الْمُعِينِ ، إياهُ نعبدُ وإياهُ نستعينُ ، منجزِ الوعدِ بالنصرِ لعبادهِ المؤمنين ، منزلِ السكينةِ على الصابرين المخلصين ، والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والتابعين لآثارهم في نُصْرَة الدين إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإن لكل عبادة في الإسلام حِكمةً أو حِكَمًا يظهر بعضها بالنص عليه ، أو بأدنى عملٍ عقلي ، وقد يخفى بعضُها إلا على المتأملين المتعمقين في التفكر والتدبر ، والموفقين في الاستجلاء ، والاستنباط .

والحكمةُ الجامعةُ في العباداتِ كلِّها هي تزكيةُ النفوسِ ، وتطهيرُها من النقائص ، وتصفيتُها من الكُدُراتِ وإعدادُها للكمال الإنساني ، وتقريبُها للملأ الأعلى ، وتلطيفُ كثافَتِها الحيوانيةِ اللازمةِ لها من أصل الجِبلَّة ، وتغذيتُها بالمعاني السماوية الطاهرة ؛ فالإسلام ينظر للإنسان على أنه كائنٌ وسطٌ ذو قابليةٍ للصفاء الملكي ، والكدرِ الحيواني ، وذو تركيبٍ يَجْمَعُ حَمَأ الأرضِ ، وإشراقَ السماء ، وقد أوتي العقل والإرادة والتمييز ؛ ليسعد في الحياتين المنظورة والمذخورة ، أو يشقى بهما .

ولكل عبادة في الإسلام تُؤدَّى على وجهِها المشروعِ ، أو بمعناها الحقيقي آثارٌ في النفوس ، تختلف باختلاف العابدين في صدق التوجه ، واستجماع الخواطر ، واستحضار العلاقة بالمعبود .

والعباداتُ إذا لم تعطِ آثارَها في أعمالِ الإنسان الظاهرة فهي عبادة مدخولة أو جسم بلا روح .

وما قست قلوبُ المسلمين ، ولا تقاعسوا عن أداء واجبهم ، فكانوا عرضة لغزو أعدائهم في شتى الميادين إلا بسبب بعدهم عن هِدَاية دينهم ، وقلةِ تأثرهم بما يكررون قَوْلَه وفِعْلَه من أركان الإسلام ، وشعائره ، مما جعلها عند كثير منهم بمثابة العادات .

ولو أنهم تأثروا بما يقولون ويفعلون تأثرًا صحيحًا لتغير وجه الأرض ، ولملأوها

بجمال الحق بدلًا من شغب الباطل .

هذا وإن للصوم حكمًا باهرة وأسرارًا بديعة ، وآثارًا عظيمة على الفرد والجماعة .

وقد كان يكفي في الحث على الصيام ، والدعوة إليه أن يقال للمسلم : إن الله يأمرك بالصيام دون ذكرٍ لفوائد الصيام ، وآثاره ، وحكمه ، وأسراره ؛ ذلك أن الصومَ تشريعٌ ربانيٌّ إلهيٌّ ، صادرٌ عن الرب بمقتضى ربوبيته ، وألوهيته ، فله ﷻ أن يكلِّفَ عباده بما شاء ، وعليهم طاعةُ أمرِه ، واجتنابُ نهيِه .

وَلَكنَّ الحاجةَ تدعو إلى بيان بعض الأسرار ، والحِكَم ، والفوائد والآثار التي ينطوي عليها شهر الصوم ؛ ذلك أن الله ﷻ علمنا في آيات كثيرة من كتابه المبين أسرارَ تشريعه ، وفوائدَه ؛ شحذًا للأذهان أن تفكر وتعمل ، وإيماء إلى أن هذا التشريعَ الإلهيَّ الخالدَ لم يقم إلا على ما يحقق للناس مصلحة ، أو يدفع عنهم ضررًا ، وليزداد إقبال النفوس على الدين قوة إلى قوة .

انظروا إلى قوله – تعالى – حين يعلمنا آداب الاستئذان في البيوت كيف يختم ذلك بقوله : ﴿ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ ﴾ [1] .

بل إن الله – تعالى – حين أمرنا بالصيام ذَكَرَ حكمتَهُ وفائدتَه الجامعةَ بكلمة واحدة من كلامه المعجز ، فقال ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ [2] (البقرة : ١٨٣) .

فالتقوى هي الحكمة الجامعة من تشريع الصيام .

بل انظروا إلى قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم–عن آداب الصائم : ﴿ إنما الصوم جنة – أي وقاية – فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، ولا

(١) سورة النور آية : ٢٨ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٨٣ .

يجهل ﴾ [1] الحديث متفق عليه .

فقد قدم الحكمة من الصيام ثم بين آدابه ؛ ليكون أوقع في النفس ، وأعمق أثرًا .

وما دام الإسلام لا يتنكَّر للعقل ، ولا يخاطب الناس إلا بما يتفق مع التفكير السليم ، والمنطق القويم ولا يأمر من التشريع بشيء إلا إذا كانت المصلحة تحتِّم العمل به أو تركه–لم يكن علينا من حرجٍ حين ننظرُ في أسرار التشريع وبيان فوائده .

وما برح الناسُ في كل عصر يرون من فوائد التشريع ما يتفق مع تفكيرهم ، ومصالحهم .

وهذا دليل على أن وراء هذا التشريع ربًّا حكيمًا ، أحسن كل شيء خَلْقَهُ ثم هدى .

فإذا وفَّقَ الله في مثل هذه الأحاديث أن تُشرح صدور المؤمنين لفريضة الصيام ، ويُبَيَّن لهم شيء من حكم الصيام وأسراره وآثاره كان ذلك سببًا كبيرًا لأن يُؤتَى بالصيام على وجهه الأكمل .

معاشر الصائمين ينفرد الصوم من بين العبادات بأنه قمعٌ للغرائز عن الاسترسال في الشهوات ، التي هي أصل البلاء على الروح والبدن ، وفطمٌ لأمهات الجوارح عن أمهات الملذات .

ولا مؤدِّبَ للإنسان كالكبح لضراوة الغرائز فيه ، والحدِّ من سلطان الشهوات عليه .

بل هو في الحقيقة نصرٌ له على هذه العوامل التي تُدَسِّي نفسه ، وتبعده عن الكمال .

وكما يحسن في عُرْف التربية أن يؤخذ الصغيرُ بالشدة في بعض

---

(١) البخاري الصوم (١٧٩٥) ، مسلم الصيام (١١٥١) ، الترمذي الصوم (٧٦٤) ، النسائي الصيام (٢٢١٦) ، أبو داود الصوم (٢٣٦٣) ، ابن ماجه الصيام (١٦٩١) ، أحمد (٣٠٦/٢) ، مالك الصيام (٦٨٩) ، الدارمي الصوم (١٧٧١) .

الأحيان ، وأن يعاقب بالحرمان من بعض ما تمليه إليه نفسه–فإنه يجب في التربية الدينية للكبار المكلفين أن يؤخذوا بالشدة في أحيان متقاربة كمواقيت الصلاة ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [1] .

أو متباعدة كشهر رمضان ، فإنه لا يأتي إلا بعد أحد عشر شهرًا كلها انطلاق في الشهوات ، وإمعانٌ فيها ، واسترسال مع دواعيها .

وإن شهرًا في التقييد الجزئي بعد أحد عشر شهرًا من الانطلاق الكلي لقليل ، وإن جزءًا من اثني عشر جزءًا في حكم المقارنات النسبية – ليسير .

ولكنه يسر الإسلام الذي ليس بعده يسر ، وسماحته التي ما بعدها سماحة .

إن في الصوم جوعًا للبطن ، وشبعًا للروح ، وإضواءً للجسم ، وتقوية للقلب ، وهبوطًا باللذة ، وسموًّا بالنَّفْس .

في الصوم يجِدُ المؤمنُ فراغًا لمناجاة ربه ، والاتصال به ، والإقبال عليه ، والأنس بذكره ، وتلاوة كتابه .

هذه بعضُ أسرارِ الصومِ وآثارِه ، وهذا هو ما كان يفهمه السلفُ الصالحُ من معاني الصوم ، وبذلك كانوا معجزة الإسلام في الثبات على الحق ، والدعوة إليه ، والتخلق به ، فلم تر الإنسانية من يضاهيهم بسمو أنفسهم ، ونبل غاياتهم ، وبعد هممهم ، وإشراقةِ أرواحهم ، وهدايةِ قلوبهم ، وحسنِ أخلاقهم .

أفليست الإنسانية اليوم بأمسِّ الحاجة إلى مثل ذلك الجيل أو ما يقاربه ؟ بل أليست مجتمعات المسلمين بحاجة إلى مثل تلك النفوس ؟

بلى ثم بلى ثم بلى .

اللهم أفِضْ علينا من جودك وكرمك ، ولا تحرمنا بركاتِ هذا الشهرِ الكريم ، واجعل لنا منه أوفر الحظ والنصيب ، واجعلنا ممن صامه وقامه إيمانًا واحتسابًا .

---

(١) سورة البقرة آية : ٤٥ .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

# شهر الصيام آثاره وأسراره

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وأكرمنا بأن كتب علينا فريضة الصيام ، والصلاة والسلام على خير الأنام ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه السادة الكرام ، أما بعد :

فإن الإسلامَ دينُ تربيةٍ للملكات ، والفضائل والكمالات ، فهو يَعُد المسلم تلميذًا ملازمًا في مدرسة الحياة دائمًا فيها ، دائبًا عليها ، يتلقى فيها ما تقتضيه طبيعتُه من نقصٍ وكمال ، وما تقضيه طبيعتُها من خيرٍ وشر .

ومن ثَمَّ فهو يأخذهُ أخذَ المربي في مزيج من الرفق والعنف بامتحانات دورية متكررة ، لا يخرج من امتحان إلا ليدخل في امتحان آخر ، وفي هذه الامتحانات من الفوائد للمسلم ما لا يوجد عشرُه ولا مِعْشاره في الامتحانات المدرسية المعروفة .

وامتحاناتُ الإسلام تتجلى في هذه الشعائر المفروضةِ على المسلم ، تلك الشعائر التي شرعت للتربية ، والتزكية ، والتعليم ، لا ليضيَّق بها على المسلم ، ولا لِيُجْعل عليه في الدين من حرج ، ولكنَّ الإسلامَ يريد ليطهرَه بها ، وينميَ ملكاتِ الخيرِ والرحمةِ فيه ، وليقويَ إرادتَه وعزيمتَه في الإقدام على الخير ، والإقلاع عن الشر ، ويروضَه على الفضائل الشاقة كالصبر والثبات ، والحزم ، والعزم ، والنظام ، وليحرِرَه من تعبُّد الشهوات له ، ومَلكِها لعنانه .

وفي كل فريضةٍ من فرائض الإسلام امتحانٌ لإيمان المسلم ، وعقله ، وإرادته ، غيرَ أن الصيامَ أعسرُها امتحانًا ؛ لأنه مقاومة عنيفة لسلطان الشهوات الجسمية ، فعليه تروَّض النفوس المطمئنة ، وبه تروض النفوس الجامحة ، فمدتُه شهرٌ قمريٌّ متتابعٌ ، وصورتُهُ الكاملةُ فطمٌ عن شهوات البطن ، والفرج ، واللسان ، والأذن ، والعين .

وكلَّ ما نقص من أجزاء ذلك الفطام فهو نقصٌ في حقيقة الصيام ، كما جاءت بذلك الآثار عن صاحب الشريعة ، وكما تقتضيه الحكمةُ الجامعةُ من معنى الصوم .

قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه : ﴿ الصوم جنة ﴾ [1] .

أي وقاية ، ففي الصومِ وقايةٌ من المأثم ، ووقايةٌ من الوقوع في عذاب الآخرة ، ووقاية من العلل والأدواء الناشئة عن الإفراط في تناول الملذات .

ولم يَنْـــهَ قلبًـــا غاويًـــا حيـــث يممـــا إذا المـــرء لم يتـــركْ طعامًـــا يُحِبُّـــهُ

إذا ذُكِـــرَتْ أمثالهـــا تمـــلأ الفمـــــا فيوشك أن تلقـــى لـــه الـــدهرَ سُـــبَّةً

فلا يتوهم المسلمُ أن حقيقةَ الصومِ إمساكٌ عن بعض الشهوات في النهار ثم يعقبه انهماكٌ في جميع الشهوات في الليل ؛ فإن الذي نشاهده من آثار هذا الصوم إجاعةُ البطنِ ، وإظماءُ الكبدِ ، وفتورُ الأعضاءِ وانقباضُ الأساريرِ ، وبذاءةُ اللسانِ ، وسرعةُ الانفعالِ ، واتخاذُ الصومِ شفيعًا فيما لا يُحَبُّ من الجهر بالسيئ من القول ، وعذرًا فيما تَبْدُرُ به البوادرُ من اللّجاج والخصام ، والأيمان الفاجرة .

كَلا إن الصومَ لا يَكْمُل ، ولا تَتِمُّ حقيقتُه ، ولا تظهر حِكَمُهُ ، ولا آثاره – إلا بالفطام عن جميع الشهوات الموزعةِ على الجوارح ؛ فللأذن شهواتٌ في الاستماع ، وللعين شهوات من مدِّ النظر وتسريحه ، وللّسان شهواتٌ في الغيبة والنميمة ولذاتٌ في الكذب ، واللغو .

وإن شهواتِ اللسانِ لَتربو على شهوات الجوارح كلها ، وإن له لضراوةً بتلك الشهوات لا يستطيع حَبْسَهُ عنها إلا الموفقون من أهل العزائم القوية .

أيها الصائمون الكرام : صومُ رمضان محكٌّ للإرادات النفسية ، وقمعٌ للشهوات الجسمية ، ورمزٌ للتعبد من صورته العليا ، ورياضةٌ شاقةٌ على هجر اللذائذ والطيبات ، وتدريبٌ منظمٌ على تحملِ المكروه من جوع وعطش ، ونطقٍ بحقٍّ ، وسكوتٍ عن باطل .

والصومُ درسٌ مفيدٌ في سياسة المرء لنفسه ، وَتَحكُّمِهُ في أهوائه ، وضبطِه بالجد

---

(١) البخاري الصوم (١٨٠٥) ، مسلم الصيام (١١٥١) ، الترمذي الصوم (٧٦٤) ، النسائي الصيام (٢٢١٦) ، أبو داود الصوم (٢٣٦٣) ، أحمد (٢/٤٨٠) ، الدارمي الصوم (١٧٧١) .

لنوازع الهزل ، واللغو ، والعبث .

وهو تربيةٌ عمليةٌ لخُلقِ الرحمةِ بالعاجز المعدم ؛ فلولا الصيامُ لما ذاق الأغنياء الواجدون ألَمَ الجوع ، ولما تصوروا ما يفعله الجوعُ بالجائعين .

وفي الإدراكاتِ النفسيةِ جوانبُ لا يغني فيها السماعُ عن الوجدان ؛ فلو أن جائعًا ظل وبات على الطّوى خمس ليال ، ووقف خمسًا أخرى يصور للأغنياء البِطَانِ ما فعله الجوعُ بأمعائه وأعصابه ، وكان حالُه أبلغَ في التعبير من مقاله–لما بلغ في التأثير فيهم ما تبلغه جوعةٌ واحدةٌ في نفس غنيٍّ مترف .

ولذلك كان نبينا محمد –عليه الصلاة والسلام– أجودَ الناس ، وكان أجودَ ما يكون في رمضان ، حين يدارسه جبريل القرآن ، فلرسولُ الله أجودُ بالخير من الريح المرسلة .

أيها الصائمون الكرام : رمضان نفحاتٌ إلهيةٌ تَهُبُّ على العالم الأرضي في كل عام قمريٍّ مرةً ، وصفحةٌ سماويةٌ تتجلى على أهل الأرض فتجلو لهم من صفات الله عطفَه وبرَّه ، ومن لطائف الإسلام حِكمتَه وسرَّه ؛ فلينظرِ المسلمون أين حظهم من تلك النفحة ، وأين مكانُهم من تلك الصفحة .

ورمضانُ مستشفى زمانيّ يجد فيه كل مريض دواءَ دائه ، حيث يستشفي فيه مرضى البخلِ بالإحسان ، ومرضى البِطْنةِ بالجوع والعطش ، ومرضى الخصاصةِ والجوع بالكفاية والشِّبَع .

شهرُ رمضانَ عند الأَيْقاظ المُتَذَكِّرين شهرُ التجلياتِ الرحمانية على القلوب المؤمنة ، ينضحها بالرحمة ، ويفيض عليها بالرَّوح ، ويأخذها بالمواعظ ، فإذا هي كأعواد الربيع جِدَّةً ونُضْرَةً ، وطراوةً وخُضْرةً .

ولحكمةٍ ما كان شهرًا قمريًّا لا شمسيًّا ، ليكون ربيعًا للنفوس ، متنقلًا على الفصول ، فيروِّض النفوس على الشدة في الاعتدال ، وعلى الاعتدال في الشدة .

ثم إن رمضانَ يحرك النفوسَ إلى الخير ، ويسكِّنها عن الشر ، فتكون أجود بالخير

من الريح المرسلة ، وأبعد عن الشر من الطفولة البريئة .

ورمضانُ يطلق النفوسَ من أسر العادات ، ويحررُها من رق الشهوات ، ويجتث منها فسادَ الطباع ، ورعونةَ الغرائز ، ويطوفُ عليها في أيامه بمحكمات الصبر ، وَمُثبِّتات العزيمة ، وفي لياليه بأسباب الاتصال بالله ، والقرب منه .

ثم إن الصومَ ينمِّي في النفوس رعايةَ الأمانة ، والإخلاصَ في العمل ، وألا يراعى فيه غيرُ وجهِ الله –تعالى– .

وهذه فضيلةٌ عظمى تقضي على رذائل المداهنة والرياء والنفاق .

والصومُ من أكبر الحوافز لتحقيق التقوى ، وأحسنِ الطرق الموصلة إليها ؛ ولهذا السر خُتِمتْ آياتُ الصومِ بقوله –تعالى– : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [1] .

شهرُ الصيام يربي في النفوس مكارمَ الأخلاقِ ، ومحاسنَ الأعمالِ ، فيبعثها إلى بر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والإحسان إلى الأهل والجيران .

ومن أثر الصيام على النفوس حصولُ الصحة العامة بجميع معانيها ، ففيه صحةٌ بدنيةٌ حسيةٌ ، وفيه صحةٌ روحيةٌ معنويةٌ ، وفيه صحةٌ فكريةٌ ذهنية .

فالصحة البدنية تأتي من كون الصيام يقضي على المواد المترسبة في البدن ، ولا سيما أبدان أولي النَّعمة والنَّهْمة والتُّخمة وقليلي العمل والحركة ؛ فقد قال الأطباء : إن الصيام يحفظ الرطوباتِ الطارئةَ ، ويطهر الأمعاءَ من فساد السموم التي تحدثها البِطْنة ، ويحول دون كثرةِ الشحوم التي لها خطرها على القلب ، فهو كتضمير الخيل الذي يزيدها قوةً على الكر والفر .

وأما الصحةُ المعنويةُ فكما تقدم من أن الصوم من أعظم ما تصح به القلوب ، وتزكو به الأرواح .

وأما الصحة الفكرية فتأتي من أثر الصيام الصحيح ، حيث يحصل به حسنُ

(١) سورة البقرة آية : ١٨٣ .

التفكير ، وسلامةُ النظرةِ ، والتدبرُ في أمر الله ونهيه وحكمته .

وبذلك يصح للصائم تفكيرُه ، ويستنير بنور ربه ، ويستجيب لنداءاته ، ويحقق طاعته ، فيخرج من صيامه بنفس جديدة ، وفكر نيِّر ، يسلم به من وصف البهيمية ، ويصعد في مراتب السعادة والسيادة درجات .

أيها الصائمون الكرام : هذه بعض أسرار الصوم في النفوس ؛ فجدير بالصائم أن يستحضر هذه المعاني ، وأن يكون له من صيامه أوفر الحظ والنصيب ، وألا يفعل بعد إفطاره ، أو نهاية شهره ما يُخِلُّ بهذه القوة أو يوهِنُها ، فَيهدِم في ليله ما بناه في نهاره ، وفي نهاية شهره ما بناه في شهره ؛ فما أسعد الصائم ، وما أحزمه لو اغتنم شهر الصيام ، وجعله مدرسةً يتدرب فيها على هجر مألوفاته التي اعتاد عليها .

وإنْ هو عكس الأمرَ ، فصار يتأفف على ما حَرَمَهُ منه الصيامُ ، ويتلهف لساعة الإفطار ؛ ليسارع إلى تناول مألوفاته ، المضرَّةِ به ، فقد ضيع الحزمَ والعزمَ ، وبرهن على خوره ، وضعف نفسه ، وقلةِ فائدته من صيامه .

هذه صورة عامة مجملة ، وإشارات سريعة عابرة لبعض الحكم والآثار والأسرار التي ينطوي عليها شهر الصيام .

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك ، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد .

## رمضان شهر السخاء والجود

الحمد لله الكريم الوهاب ، والصلاة والسلام على من أنـــزل إليه خير كتاب ، أما بعد :

فإن رمضانَ شهرُ الجود ، وشهر السخاء ؛ فالنفوس في هذا الشهر تقترب من مولاها ، وتنبعث إلى ما يزكيها ويطهرها من شحها ، ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ ﴾ [1] (الحشر : من الآية ٩) .

ولقد جاء في الصحيحين عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال : ﴿ كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس ، وكان أجودَ ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل في كل ليلة ، فيدارسه القرآن ، فلَرسولُ الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة ﴾ [2] .

هكذا وصف حال النبي ﷺ وهكذا ينبغي للمسلم أن يكون ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [3] (الأحزاب : من الآية ٢١) .

أيها الصائمون الكرام : للصدقة والسخاء فضائلُ ، لا تُحصى كثرة ؛ فالصدقة تطفئ غضبَ الرب ، وتدفعُ ميتةَ السوء ، وتدل على الإيمان بالله ، والثقة به ، وإحسان الظن به ﷻ .

والصدقة دليل على الرحمة ، والشعور بالآخرين ، كما أنها سبب لتيسير الأمور ، وتفريج الكربات ، وإعانة الرب –جل وعلا– فالله في عون العبد ، ما كان العبد في عون أخيه .

والصدقة مدعاة لزيادة المال ، ونـــزول الخيرات ، وحلول البركات ، وهي سبب للاستظلال في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله ، كما أن لها تأثيرًا في دفع البلايا .

---

(١) سورة الحشر آية : ٩ .

(٢) البخاري بدء الوحي (٦) ، مسلم الفضائل (٢٣٠٨) ، النسائي الصيام (٢٠٩٥) ، أحمد (٣٦٣/١) .

(٣) سورة الأحزاب آية : ٢١ .

قال ابن القيم رحمه الله : (وللصدقة تأثير عجيب في دفع أنواع البلاء ، ولو كانت من فاجر ، أو ظالم ، بل من كافر ، وهذا أمر معلوم عند الناس ، وأهل الأرض مُقِرُّون بذلك) ا هـ .

والصدقة تشرح الصدر ، وتفرح النفس .

قال ابن القيم رحمه الله : (المتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه ، وانفسح لها صدره ، وقوي فرحه ، وعظم سروره . ولو لم يكن في الصدقة إلا هذه الفائدة لكان العبد حقيقًا بالاستكثار منها ، والمبادرة إليها) .

أيها الصائمون الكرام : ومن فضائل الصدقة : أنها سبب للخلف من الله ﷻ قال النبي ﷺ ﴿ ما من يوم يصبح فيه العباد ، إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكًا تلفًا ﴾ [1] متفق عليه .

ثم إن للسخاء أثرًا في صيانة الأعراض ، ونباهة الذكر ، وائتلاف القلوب ، وتأكيد رابطة الإخاء .

وللسخاء أثرٌ في القضاء على كثير من الأخلاق المرذولة ، كالحسد من الفقراء للأغنياء ، وكالكبر من الأغنياء على الفقراء .

وللسخاء أثرٌ في ستر العيوب ، قال الشافعي رحمه الله :

وإنْ كثرت عيوبُكَ في البرايا ... وَسرَّك أن يكون لها غطاءُ

تَسَتَّرْ بالسخاء فكلُّ عيب ... يُغَطِّيه كما قيل السخاءُ

ثم إن السخيَّ قريبٌ من الله ، ومن خلق الله ، ومن الجنةِ ، والبخيلُ بعكس ذلك .

والسخاءُ مُتَّصِل بفضائلَ أخرى ؛ فالسخيُّ في أغلب أحواله يأخذ بالعفو ، ويتحلّى بالحلم ، ويجري في معاملاته على الإنصاف ، ويؤدي حقوقَ الناسِ من تلقاء نفسه .

---

(١) البخاري الزكاة (١٣٧٤) ، مسلم الزكاة (١٠١٠) ، أحمد (٢/٣٤٧) .

ولتجدنّ السخيَّ بحق متواضعًا ، لا يطيش به كبر ، ولا تستخفه خيلاء ، ولتجدنَّه أقربَ الناس إلى الشجاعة وعزة النفس ؛ وإنما يخسر الإنسانُ الشجاعةَ والعزةَ بشدَّة حرصه على متاع الحياة الدنيا .

ولقد جَرَتْ سُنةُ اللهِ بأن السخيَّ بحقٍّ يفوز بالحياة الطيبة ، ولا تكون عاقبتُه إلا الرعايةَ من الله والكرامة ؛ فلما كان رحيمًا بالفقراء ، والمساكين ، والمحتاجين ، حريصًا على إسعادهم ، وإدخال السرور والبهجة على نفوسهم – كان جزاؤه من جنس عمله .

هذا ، وإن السخاء ليس مقتصرًا على بذل المال فحسب ، بل إن مفهومَه أوسعُ ، وصورَهُ أعمُّ وأشمل .

فمن صور السخاء : أن يكونَ للإنسان دَيْنٌ على آخر ؛ فيطرحَه عنه ، ويُخْلِيَ ذمته منه ، وهو يستطيع الوصول إليه ، دون عناء ولا تعب .

كان قيسُ بنُ سعدِ بنِ عبادة – رضي الله عنهما– من الأجواد المعروفين ، حتى إنه مرض مرة ، فاستبطأ إخوانه في العيادة ، فسأل عنهم فقيل له : إنهم كانوا يستحيون مما لك عليهم من الدَّيْن ، فقال : أخزى الله مالًا يمنع الإخوان من الزيارة ، ثم أمر مناديًا ينادي : من كان لقيس عليه مالٌ فهو منه في حِل ؛ فما أمسى حتى كُسِرتْ عتبةُ بابِه من كثرة من عاده .

ويدخل في قبيل الأسخياء مَنْ يستحق على عمل أجرًا ؛ فيترك الأجر من تلقاء نفسه .

ويدخل في قبيلهم مَنْ يسعى في قضاء حوائج الناس ، وتفريج كرباتهم ، فعن الحسن رحمه الله قال : (لأنْ أقضيَ حاجةَ أخٍ لي أحبُّ إلي من أن أعتكفَ سنة) .

وقيل لابن المنكدر رحمه الله : (أي الأعمال أحب إليك ؟ قال : إدخال السرور على المؤمن ، وقيل : أي الدنيا أحب إليك ؟ قال : الإفضال على الإخوان) .

وقال الشافعي رحمه الله :

وأفضلُ الناسِ ما بـــينَ الـــورى رجـــلٌ  تُقضى علـــى يـــدهِ للنـــاسِ حاجـــاتُ

ويدخل في السخاء سخاوة الإنسان بجاهه ؛ بحيث يبذله في سبيل الخير ، والشفاعات الحسنة : من إحقاق حق ، ونُصْرِة مظلوم ، وإعانة ضعيف ، ومَشْيٍ مع الرجل إلى ذي سلطان ، قال – تعالى – : ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ ﴾ [1] (النساء : من الآية ٨٥) .

وقال ﷺ ﴿ اشفعوا تؤجروا ﴾ [2] رواه البخاري ومسلم .

ومن السخاءِ سخاءُ الإنسان برياسته ؛ فيحمله سخاؤه على امتهانها ، والإيثار في قضاء حاجات الملتمس .

ومن السخاءِ سخاءُ الإنسانِ براحته ، ووقته ، ونصحه ؛ في سبيل نفع الناس .

ومن أعلى مراتبِ السخاء سخاءُ الإنسان بالعلم ؛ فذلك أشرف من السخاء بالمال .

ومن السخاءِ سخاءُ الإنسانِ بِعِرضه ؛ بحيث يعفو ويصفح عمن ناله بسوء . . مر الشعبيُّ رحمه الله بقوم يذكرونه بسوء ، فتمثَّل بقول كُثَيِّر عزةَ :

هنيئًـــا مريئًـــا غـــيرَ داءٍ مخـــامرٍ  لِعَزَّةَ مـــن أعراضـــنا مـــا اســـتحلتِ

أســـيئي بنـــا أو أحســـني لا ملومـــةً  لـــــدينا ولا مقليـــــةً إن تقلَّـــــتِ

وفي هذا السخاءِ من سلامة الصدر ، وراحة القلب ، والتخلُّص من معاداة الخلق ما فيه .

ومن السخاءِ السخاءُ بالصبر ، والاحتمال ، والإغضاء ، وهي مرتبةٌ شريفةٌ لا يقدر عليها إلا النفوسُ الكبار .

---

(١) سورة النساء آية : ٨٥ .

(٢) صحيح البخاري كتاب الزكاة (١٣٦٥) ، سنن النسائي كتاب الزكاة (٢٥٥٧) ، سنن أبي داود كتاب الأدب (٥١٣٢) ، مسند أحمد (٤/٤٠٠) .

ومن السخاءِ السخاءُ بالخلق ، والبشر ، والتبسم ، والبشاشة ، والبسطة ، ومقابلة الناس بالطلاقة ؛ فذلك فوق السخاء بالصبر ، والاحتمال ، والعفو ، وهذا هو الذي بلغ بصاحبه درجةَ الصائم القائم ، وهو أثقلُ ما يوضع في الميزان ، وفيه من أنواع المسارّ والمنافع والمصالح ما فيه .

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله :

وإني لأكسو الخلَّ حُلَّةَ سُندسٍ إذا ما كساني من ثياب مداده

ويدخل في السخاء حَضُّ الناس على الخير ، ودِلالتهم على وجوهه ، وشُكْرُ الأسخياءِ ، والدعاءُ لهم .

ومن صور السخاء الخفية المحمودة سخاء النفس بترفُّعها عن الحسد ، وحبِّ الاستئثار بخصال الحمد ، وذلك بأن يحب المرء لإخوانه ما يحبه لنفسه ، ويكره لهم ما يكرهه لنفسه ، فيفتح لهم المجالات ، ويعطيهم فرصة للإبداع ، والحديث ، والمشاركة ، ونحو ذلك ؛ فيفرح لنجاحهم ، ويحزن لإخفاقهم ؛ فهذه من الصور الخفية للسخاء ، وقلَّ من يتفطَّن لها ، ويأخذ نفسه بها .

ومن جميل السخاءِ سخاءُ المرء عما في أيدي الناس ، فلا يلتفت إليه ، ولا يستشرف له بقلبه ، ولا يتعرَّض له بحاله ولسانه .

وأروع ما في السخاء ، سخاء المرء بنفسه ، وأروع ما في ذلك ما كان في سبيل الله ﷻ .

أيها الصائمون الكرام : يتفاضل الناس بالسخاء ، على قدر هممهم ، وشرف نفوسهم .

فيتفاضلون من جهة الإنفاق ؛ فالذي ينفق في السر أكمل من الذي لا ينفق إلا في العلانية .

ويتفاضلون من جهة استصغارِ ما يُنْفَق واستعظامِه ؛ فالذي ينفق في الخير ، وينسى أو يتناسى أنه أنفق ، هو أسخى ممن ينفق ثم لا يزال يذكر ما أنفق ، ولا سيما إذا كان

في معرض الامتنان .

ويتفاضل الناس في السخاء من جهة السرعة إلى البذل ، والتباطؤ فيه ؛ فمن يبذل المال لذوي الحاجة لمجرد شعوره بحاجتهم ، يَفْضُل مَنْ لا يبذل إلا بعد أن يسألوه .

ومن يقصد بالبذل موضع الحاجة – عرفه أو لم يعرفه – يكون أسخى ممن يَخُصُّ بالنوال من يعرفهم ويعرفونه .

ومن يعطي عن ارتياحٍ ، وتلذُّذٍ بالعطاء يعد أسخى ممن يحسن وفي نفسه حرجٌ .

ومن علامات الرسوخ في السخاء ملاقاةُ السائلين بأدب وحفاوة ؛ حتى يحفظ عليهم عزهم .

وأبلغ ما يدل على أصالة الرجل ، ورسوخ قدمه في فضيلة السخاء – أن يرقَّ عطفُه ، حتى يبسط إحسانه إلى ذي الحاجة ، وإن كان من أعدائه ؛ فذلك من كِبَر النفس ، وضروب العزة ، والترفع عن العداوات .

ومن علامات الرسوخ في السخاء أن يتألَمَ المرءُ ، وأن يتأسف أشد الأسف إذا سئل شيئًا وهو غيرُ واجدٍ له ، قال الشافعي رحمه الله :

إن اعتذاري لمن قد جاء يسألني ما ليس عندي لمن إحدى المصيبات

ومن الأسخياء من تَسْمُو به الحال ، فيرى أن الفضل والمنَّة إنما هي لمن جاء يستجديه ويسأله ؛ حيث أحسن الظنَّ به ، وتكرَّم عليه ؛ فهذا من غرائب السخاء .

ينسب لابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال :

وأعْمل فكرَ الليلِ والليلُ عاكرُ إذا طارِقَاتُ الهمِّ ضَاجعت الفتى

سواي ولا مِنْ نكبة الدهرِ ناصرُ وباكرني في حاجة لم يجدْ بها

وزايله همٌّ طروقٌ مسامرُ فَرَجتُ بمالي همَّهُ من مقامه

بي الخير إني للذي ظنَّ شاكرُ وكان له فضل عليَّ بظنه

وأرفع درجات السخاء أن يكون الإنسان في حاجة ملحَّة إلى ما عنده ؛ فيدع

حاجته ، ويصرف ما عنده في وجوه الخير ؛ وذلك ما يسمى بالإيثار .

اللهم قنا شح أنفسنا ، واجعلنا من المفلحين ، وصلِّ اللهم وسلم على خاتم المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

# حقوق الجار

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد :

فإن رمضانَ شهرُ الترابط ، وشهرُ التواصي ، وشهرُ التقارب ، وشهر المودّات .

والحديث اليوم سيدور حول معنى من هذه المعاني ، ألا وهو حق الجار ؛ فلقد أوصى الإسلام بالجار ، وأعلى من قدره ؛ حيث قرن الله حق الجار بعبادته ﷻ وبالإحسان إلى الوالدين ، واليتامى ، والأرحام .

قال الله ﷻ ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [1] (النساء : من الآية ٣٦) .

أما السنَّةُ النبويةُ فقد استفاضت نصوصُها في بيان رعاية حقوقِ الجارِ ، والوصايةِ به ، وصيانةِ عرضه ، والحفاظ على شرفه ، وستر عورته ، وسدّ خلَّته ، وغضِّ البصر عن محارمه ، والبعد عن كل ما يريبه ، ويسيء إليه .

ومن أجلِّ تلك النصوص وأعظمها ما جاء في الصحيحين من حديث عائشة وابن عمر – رضي الله عنهم – أن النبي ﷺ قال : ﴿ ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه ﴾ [2] .

أي : ظننت أنه سَيَبْلُغني عن الله الأمرُ بتوريث الجارِ الجارَ .

أيها الصائم الكريم : الجار في الاصطلاح الشرعي هو من جاورك جوارًا شرعيًّا ، سواء كان مسلمًا أو كافرًا ، برًّا أو فاجرًا ، صديقًا أو عدوًّا ، محسنًا أو مسيئًا ، نافعًا أو ضارًّا ، قريبًا أو أجنبيًّا ، غريبًا أو بلديًّا .

وله مراتب بعضها أعلى من بعض ، تزيد وتنقص بحسب قربه وقرابته ، ودينه وتقواه ، ونحو ذلك ؛ فيعطى بحسب حاله وما يستحق .

---

(١) سورة النساء آية : ٣٦ .

(٢) البخاري الأدب (٥٦٦٩) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٦٢٥) ، أحمد (٢/٨٥) .

أما حدّ الجوار ؛ فقد اختلفت عباراتُ أهل العلم في حدِّ الجوار المعتبر شرعًا ، والأقـــرب – والله أعلم – أن حدَّ الجوار يُرجع فيه إلى عُرْفِ الناس ؛ فما عُلِمَ عُرْفًا أنه جارٌ فهو جار .

ولا ريب أن الجوارَ في المسكن هو أجل صور الجوار وأوضحُها ، ولكنَّ مفهوم الجار والجوار لا يقتصر على ذلك فحسب ، بل هو أعمُّ من ذلك وأشمل ؛ فالجار معتبرٌ في المتجر ، والسوق ، والمزرعة ، والمكتب ، ومقعد الدرس .

ومفهومُ الجارِ يشمل الرفيقَ في السفر ؛ فإنه مجاورٌ لصاحبه مكانًا وبدنًا ، والزوجةُ كذلك تسمى جارةً ، وكذلك مفهومُ الجوارِ يشمل الجوارَ بين المدن ، والدول ، والممالك ، فلكل منهما حق على الآخر .

أيها الصائمون الكرام : حقوق الجار على وجه التفصيل كثيرة جدًّا ، أما أصولها فتكاد ترجع إلى أربعـــة حقوق .

أولها : كف الأذى : فالأذى على كل أحد بغير حق محرم ، وأذية الجار أشد تحريمًا .

جاء في صحيح البخاري عن أبي شريح ﷺ عن النبي ﷺ قال : ﴿ والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن قيل : من يا رسول الله ؟ قال : من لا يأمـــن جاره بوائقـــه ﴾ [1] .

وجاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : ﴿ لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه ﴾ [2] .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ ﴿ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا

(١) البخاري الأدب (٥٦٧٠) ، أحمد (٣٨٥/٦) .

(٢) مسلم الإيمان (٤٦) ، أحمد (٢٨٨/٢) .

يؤذِ جاره ﴾ [1] .

وفي مسند الإمام أحمد ، والأدب المفرد للبخاري ، وعند الحاكم وصحَّحه ، ووافقه الذهبي عن أبي هريرة ﷺ قال : ﴿ قيل يا رسول الله إن فلانةً تصلي الليل ، وتصوم النهار ، وفي لسانها شيء تؤذي جيرانها سليطة ، قال : (لا خير فيها هي في النار) . وقيل له : إن فلانةً تصلي المكتوبة ، وتصوم رمضان ، وتتصدق بالأثوار(وهي القطع الكبيرة من الأقط وهو اللبن الجامد المستحجر) وليس لها شيء غيره ، ولا تؤذي جيرانـــها ، قال : (هي في الجنة) ﴾ [2] ،

ولفظ الإمام أحمد : ﴿ لا تؤذي بلسانها جيرانـــها ﴾ [3] .

بل لقد جاء الخبر بلعن من يؤذي جاره ، ففي حديث أبي جُحيفة ﷺ قال : ﴿ جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو جاره فقال له : (اطرح متاعك في الطريق) . قال : فجعل الناس يمرون به فيلعنونه ، فجاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، ما لقيتُ من الناس ؟ قال : وما لقيتَ منهم ؟ قال : يلعنوني ، قال : فقد لعنك الله قبل الناس قال : يا رسول الله فإني لا أعود ﴾ [4] .

أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، والبزار ، والحاكم ، وصححه ، ووافقه الذهبي .

قال علي بن أبي طالب للعباس – رضي الله عنهما – : (ما بقي من كرمِ إخوانك ؟ قال الإفضالُ إلى الإخوان ، وتركُ أذى الجيران) .

فانظر كيفَ عدَّ العباسُ ﷺ تركَ أذى الجيران من الكرم .

---

(١) البخاري الأدب (٥٦٧٢) ، أحمد (٢/٤٣٣) .

(٢) أحمد (٢/٤٤٠) .

(٣) أحمد (٢/٤٤٠) .

(٤) أبو داود الأدب (٥١٥٣) .

ولقد كان العرب يتمدحون بكف الأذى عن الجار ، قال هُدْبَةُ بنُ الخَشْرم :

ولا نَخْذِلُ المولى ولا نرفع العصا عليه ولا نزجي إلى الجار عقربا

وقال لبيد :

وإن هوانَ الجارِ للجار مؤلمٌ وفاقرةٌ تأوي إليها الفواقر

الثاني من حقوق الجار : حماية الجار : فمما ينبه لشرف همّة الرجل نهوضُه لإنقاذ جاره من بلاءٍ يُنال به في عرضه ، أو بدنه أو ماله ، أو نحو ذلك .

ولقد كانت حمايةُ الجار من أشهر مفاخر العرب التي ملأت أشعارهم ، قال عنترة :

وإني لأحمي الجارَ من كل ذلّة وأفرحُ بالضيف المقيم وأَبْهَجُ

وقالت الخنساءُ تمدح أخاها بحمايته جارَه :

من الضيم لا يُؤذى ولا يتذللُ وجارُكَ مَحْفُوظٌ منيعٌ بنجوة

بل لقد غالى العرب ، وبالغوا في المحاماة عن الجار ؛ إذ لم تتوقَّف محاماتُهم عن الجار الإنسان ، بل لقد تعدّوا ذلك ؛ فأجاروا ما ليس بإنسان إذا نزل حول بيوتهم حتى ولو كان لا يعقل ولا يستجير ؛ مبالغةً في الكرامة والعزَّة ، وتحديًا لأن يَخْفِرُ الجوارَ أحدٌ ، مثل ما فعل مدلجُ بنُ سويدٍ الطائيُّ ، الذي نزل الجرادُ حول خبائه ؛ فمنع أن يصيدَه أحدٌ حتى طار وبَعُدَ عنه .

وكان كليبٌ يجير الصيدَ ، فلا يَعْرِضُ له أحدٌ .

الثالثُ من حقوق الجار : الإحسانُ إليه ؛ فذلك دليل الفضل ، وبرهان الإيمان ، وعنوان الصدق .

جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ؛ فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ﴾ [1] الحديث ،

(١) البخاري الأدب (٥٦٧٢) ، أحمد (٤٣٣/٢) .

ولمسلم – أيضًا – : ﴿ فليحسن إلى جاره ﴾ [1] .

ومن ضروب الإحسان إلى الجار تعزيته عند المصيبة ، وتهنئته عند الفرح ، وعيادته عند المرض ، وبداءته بالسلام ، وطلاقة الوجه عند لقائه ، وإرشاده إلى ما ينفعه في دينه ودنياه ، ومواصلته بالمستطاع من ضروب الإحسان .

الرابع : من حقوق الجار احتمال أذاه : وذلك بأن يغضيَ عن هفواته ، ويتلقى بالصفح كثيرًا من زلاته ، ولا سيّما إساءةً صدرت من غير قصد ، أو إساءةً ندم عليها ، وجاء معتذرًا منها ؛ فاحتمالُ أذى الجارِ ومقابلةُ إساءتِه بالإحسان من أرفع الأخلاق ، وأعلى الشيم .

ولقد فقه السلف هذا المعنى ، وعملوا به ، روى المرّوذي عن الحسن : ليس حسنُ الجوارِ كفَّ الأذى ، حسنُ الجوارِ الصبرُ على الأذى .

هذه هي الأصولُ الأربعةُ التي عليها مدارُ حقوقِ الجارِ ، ومع عظم ذلك الحقِّ إلا أن هناك تقصيرًا كبيرًا في حقِّ الجار من كثيرٍ من الناس .

فمن صورِ ذلك التقصير مضايقةُ الجارِ ، وحسدُه ، واحتقارُه ، وكشفُ أسراره ، وتتبعُ عثراته ، والفرحُ بزلاته .

ومن ذلك : إيذاؤه بالجلبة ، ورفعُ الأصوات ، وتأجيرُ مَنْ لا يرغب الجيران في إسكانه .

ومن صور التقصير في حق الجار : خيانتُه ، والغدرُ به ، وقلةُ الإحسان إليه ، وتركُ النهوضِ لحمايته ، وقلةُ الحرص على التعرُّف على الجيران ، وقلةُ التفقُّد لأحوالهم .

ومن ذلك : قلّةُ التهادي بين الجيران ، والتكبُّرُ عن قبول هداياهم ، ومنعُهم ما يحتاجون إليه من الأدوات اليسيرة ، وقلةُ الاهتمام بإعادة المعار من الجيران إليهم .

ومن صور التقصير في حق الجيران : تركُ الإجابةِ لدعوتهم ، وقلّةُ المبالاة بدعوتهم

---

(١) البخاري الأدب (٥٦٧٢) ، مسلم الإيمان (٤٧) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥٠٠) ، أبو داود الأدب (٥١٥٤) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٧١) ، أحمد (٢/٤٣٣) .

إلى الولائم والمناسبات ، وقلّةُ المناصحة لهم ، وقلةُ التعاون معهم على البر والتقوى .

ومن ذلك : كثرةُ الخصومةِ معهم ، والتهاجرُ ، والتدابرُ عند أدنى سبب ، وقلةُ الحرص على إصلاح ذات البين إذا فسدت بين الجيران .

ومن صور التقصير في حق الجار : تركُ الإحسان إلى الجار الغريب ، وقلّةُ العناية باختيار الجار الصالح ، والتفريطُ به ، وقلّةُ الوفاء للجيران بعد الرحيل عنهم .

وخلاصة القول : إن انتظام رابطة الجوار أكبر شاهد على رقي المجتمع ، وسمو آدابه ، والعكس بالعكس ، وبإصلاح تلك الرابطة تطوى عند المحاكم قضايا كثيرة لا منشأ لها إلا عدم رعاية حق الجار .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

## فإنه أغض للبصر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد :

فقد جاء في صحيح البخاري عن ابن مسعود ﷺ قال : كنا مع رسول الله ﷺ فقال : ﴿ من استطاع منكم الباءة فليتزوج ؛ فإنه أغضُّ للبصر ، وأحصنُ للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم ؛ فإنه له وجاء ﴾ [1] .

قال ابن حجر في شرح الحديث : (الوجاء : رضُّ الخصيتين ، وقيل : رضُّ عُروقِهما ، ومن يُفعَل به ذلك تنقطع شهوته ، ومقتضاه أن الصومَ قامعٌ للشهوة) . انتهى كلامه .

معاشر الصائمين : في هذا الحديث إشارة إلى فائدة كبرى من فوائد الصوم ، ألا

(١) البخاري النكاح (٤٧٧٨) ، مسلم النكاح (١٤٠٠) ، الترمذي النكاح (١٠٨١) ، النسائي الصيام (٢٢٤٠) ، أبو داود النكاح (٢٠٤٦) ، ابن ماجه النكاح (١٨٤٥) ، أحمد (٣٧٨/١) ، الدارمي النكاح (٢١٦٥) .

وهي غض البصر ، وإحصان الفرج .

فالصائم ينال هذه الفضيلة ، ويسلم من معاطب إطلاق البصر وآفاته ؛ فالعين مرآةُ القلب ، وإذا أطلق الإنسان بصرَه أطلق القلبُ شهوتَه ، ومن أطلق بصرَه دامت حسرتُه ؛ فأضرُّ شيءٍ على القلب إرسالُ البصر ؛ فإنه يريد ما يشتدُّ إليه طلبُه ، ولا صبر له عنه ، ولا سبيل إلى الوصول إليه ، وذلك غايةُ ألمه وعذابه .

ثم إن النظرةَ سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس – كما جاء في الحديث – وشأنُ السهمِ أن يسريَ في القلب ؛ فيعملَ فيه عملَ السمِّ الذي يُسقاه المسموم ، فإن بادر واستفرغه وإلا قتله ولا بد .

وكذلك النظرةُ ؛ فإنها تفعل في القلب ما يفعله السهمُ في الرَّميَّة ، فإن لم تقتله جرحته .

والنظرةُ بمنزلة الشرارة تُرمى في الحشيش اليابس ، فإن لم تحرقْه كلَّه أحرقت بعضه كما قيل :

كلُّ الحوادثِ مبداها من النظر ... ومعظمُ النارِ من مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

كم نظرةٍ فتكت في قلب صاحبها ... فتكَ السهام بلا قوسٍ ولا وتر

والمرءُ ما دام ذا عينٍ يقلبها ... في أعين الغيد موقوفٌ على الخطر

يسرُّ مُقْلَتَهُ ما ضرَّ مهجتَه ... لا مرحبًا بسرور عاد بالضرر

والناظر يرمي من نظره بسهامٍ غَرضُها قلبه وهو لا يشعر ، قال المتنبي :

فَمَنِ المطالبُ والقتيلُ القاتلُ ... وأنا الذي اجتلب المنيةَ طرفُهُ

قال ابن القيم رحمه الله : (ولما كان النظرُ أقربَ الوسائلِ إلى المحرم اقتضت الشريعةُ تحريمَه ، وأباحتْه في موضع الحاجة . وهذا شأن كلِّ ما حُرِّم تحريم الوسائل ؛ فإنه يباح للمصلحة الراجحة) .

قال جرير بن عبد الله ﷺ ﴿ سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة فأمرني أن

أصرفَ بصري ﴾ [1] .

قال ابن القيم رحمه الله : (ونظرُ الفجأةِ هي النظرة الأولى ، التي تقع بغير قصد ؛ فما لم يتعمدْه القلبُ لا يعاقب عليه ، فإذا نظر الثانيةَ تَعَمُّدًا أثِم ؛ فأمره النبي ﷺ عند نظرة الفجأة أن يصرفَ بصرَه ، ولا يستديم النظر ، فإنَّ استدامته كتكريره) .

معاشر الصائمين : ما أحوجنا إلى غضِّ البصر ، وإلى ما يذكرنا به ، خصوصًا في هذه الأزمنة ، التي كثرت فيها الفتن ، وتنوعت ؛ حيث التبرجُ والسفورُ ، والمجلاتُ الهابطةُ ، والأفلام الخليعة ، والقنوات الفضائية التي تغري بالرذيلة ، وتزري بالفضيلة .

فغض البصر – بإذن الله – أمانٌ من الفتنة ، وسبيلٌ إلى الراحة والسلامة ؛ فإذا غض العبدُ بصره غضَّ القلب شهوتَه وإرادته .

قال – تعالى – : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ ﴾ [2] (النور : من الآية ٣٠) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (فجعل – سبحانه – غضَّ البصر ، وحفظَ الفرج هو أقوى تزكيةٍ للنفوس .

وزكاةُ النفوسِ تتضمن زوالَ جميعِ الشرورِ من الفواحش ، والظلم ، والشرك ، والكذب ، وغير ذلك) .

وقال ابن الجوزي رحمه الله : (والواجب على من وقع بصرُه على مُسْتَحسنٍ ، فوجد لذةَ تلك النظرةِ في قلبه أن يصرفَ بصرَه ؛ فمتى ما تَثَبَّت في تلك النظرة أو عاود وقع في اللوم شرعًا وعقلًا .

فإن قيل : فإن وقع العشقُ بأول نظرةٍ فأي لومٍ على الناظر ؟

---

(١) مسلم الآداب (٢١٥٩) ، الترمذي الأدب (٢٧٧٦) ، أبو داود النكاح (٢١٤٨) ، أحمد (٣٥٨/٤) ، الدارمي الاستئذان (٢٦٤٣) .

(٢) سورة النور آية : ٣٠ .

فالجواب : أنه إذا كانت النظرةُ لمحةً لم تَكَدْ توجبُ عِشقًا ، إنما يوجبه جمودُ العين على المنظور بقدر ما تَثْبُتُ فيه ، وذلك ممنوع منه .

ولو قَدَّرنا وجودَه باللمحة ، فأثَّر محبةً سَهُلَ قمْعُ ما حصل) .

إلى أن قال رحمه الله : (فإن قيل : فما علاج العشق إذا وقع بأول لمحة ؟

قيل : علاجهُ الإعراضُ عن النظر ؛ فإن النظرةَ مثلُ الحبةِ تُلْقَى في الأرض ؛ فإذا لم يُلتَفَتْ إليها يَبَستْ ، وإن سقيت نَبَتَتْ ؛ فكذلك النظرةُ إذا أُلحقت بمثلها) .

وقال : (فإن جرى تفريطٌ بإتْباعِ نظرةٍ لنظرةٍ فإن الثانية هي التي تُخاف وتُحذر ؛ فلا ينبغي أن تُحْقَر هذه النظرةُ ؛ فربما أورثت صبابةً ، صبَّت دمَ الصبِّ) .

وقال ابن القيم : (فعلى العاقلِ ألا يُحَكِّم على نفسه عشقَ الصور ؛ لئلا يؤدِّيَه ذلك إلى هذه المفاسد ، أو أكثرِها ، أو بعضِها ؛ فمن فعل ذلك فهو المفرِّط بنفسه ، المُضِرُّ بها ؛ فإذا هلكت فهو الذي أهلكها ؛ فلولا تكرارُه النظرَ إلى وجه معشوقه ، وطمعه في وصاله لم يتمكَّنْ عِشْقُه من قلبه) ا هـــ .

اللهم إنَّا نسألك الهدى ، والتقى ، والعفاف ، والغنى ، وللحديث صلة – إن شاء الله – وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

## فإنه أغض للبصر

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد :

فقد كان الحديث بالأمس يدور حول أثرِ الصيام في غضِّ البصر ، وذلك انطلاقًا من قوله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري : ﴿ من استطاع منكم الباءة فليتزوج ؛ فإنه أغضّ للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له

وجاء ﷺ [1] .

وقد جاء في الحديث الماضي ذكرٌ لأضرار إطلاق البصر ، والحديث هاهنا إكمال لما مضى ، وبيان لفوائد غضّ البصر .

معاشرَ الصائمين قد يقول بعض الناس : إذا نظرتُ نظرةً ، فاشتدَّ تعلقي بمن نظرتُ إليه ؛ فهل لي أن أكررَ النظرَ ، لعلي أراه دون ما في نفسي ، فَأَسْلوَ عنه ؟

والجواب : أن ذلك من تلبيس الشيطان ، ولا يجوز فعلُه لأوجهٍ عديدةٍ ذكرها ابن الجوزي ، وابن القيم – رحمهما الله – ومن تلك الأوجه ما يلي :

أولًا : أن الله – سبحانه – أمر بغضِّ البصر ، ولم يجعلْ شفاءَ القلبِ فيما حرَّمه على العبد .

الثاني : أن النبي ﷺ سُئل عن نظر الفجأة ، وقد علم أنَّه قد يؤثر في القلب ، فـــأمر بمداواته بصرف البصر ، لا بتكرار النظر .

الثالث : أنه صرح بأن الأولى له ، وليست له الثانية ، ومحالٌ أن يكون داؤه مما هو له ، ودواؤه فيما ليس له .

الرابع : أن الظاهرَ أن الأمرَ كما رآه في أول مرة ؛ فلا تَحَسُنُ المخاطرةُ بالإعادة .

الخامس : أنه ربما رأى ما هو فوق الذي في نفسه ؛ فزاد عذابُه .

السادس : أن إبليس عند قصده للنظرة الثانية ، يقوم في ركائبه ، فيزيِّن له ما ليس بحسن ؛ لتتمَّ البلية .

السابع : أنه لا يعان على مطلوبه ، إذا أعرض عن امتثال أمر الشرع ، وتداوى بما حرمه عليه ، بل هو جديرٌ أن تتخلَّف عنه المعونة .

الثامن : أن النظرةَ الأولى سهمٌ مسمومٌ من سهامِ إبليس ، ومعلومٌ أن الثانية أشدُّ

---

(١) البخاري النكاح (٤٧٧٨) ، مسلم النكاح (١٤٠٠) ، الترمذي النكاح (١٠٨١) ، النسائي الصيام (٢٢٤٠) ، أبو داود النكاح (٢٠٤٦) ، ابن ماجه النكاح (١٨٤٥) ، أحمد (٣٧٨/١) ، الدارمي النكاح (٢١٦٥) .

سُمًّا ؛ فكيف يتداوى من السم بالسم ؟ ! التاسع : أن صاحبَ هذا المقام في مقام معاملة الحق ﷻ في ترك محبوب – كما زعم – وهو يريد بالنظرة الثانية أن يتبينَ حالَ المنظور إليه ؛ فإن لم يكن مرضيًّا تَرَكَهُ ؛ فإذًا يكون تَرْكُهُ لأنه لا يلائم غرضه ، لا لله – تعالى – فأين معاملة الله – تعالى – بترك المحبوب لأجله ؟

وبهذه الأوجه وغيرها مما لم يذكر يتبينُ لنا خطورةُ إطلاقِ البصر ، وإتْبَاعُ النظرةِ النظرة .

معاشر الصائمين : لغضِّ البصر فوائدُ عظيمةٌ ، لو استحضرها العاقل لقادته إلى غض البصر ، ولمنعته من الاسترسال فيه ، ومن تلك الفوائد ما يلي :

الفائدة الأولى : تخليص القلب من ألم الحسرة .

الفائدة الثانية : أنه يورثُ القلبَ نورًا وإشراقًا ، يَظْهرُ في العين ، وفي الوجه ، وفي الجوارح .

الفائدة الثالثة : أن غضَّ البصر يورثُ صحةَ الفِرَاسَة ؛ فإنها من النور ، وثمراته ، وإذا استنار القلبُ صحَّت الفِراسةُ ؛ لأنه يصير بمنزلة المرآةِ المجلوَّةِ تظهر فيها المعلوماتُ كما هي ، والنظرُ بمنزلة التنفُّس فيها ؛ فإذا أطلق العبد نظره تنفَّست نفسُه الصُّعَداءُ في مرآة قلبه ، فطمست نورها كما قيل :

والـــنَّفسُ فيهـــا دائمًـــا تتـــنفسُ مـــرآةُ قلبِـــكَ لا تُريـــكَ صـــلاحَهُ

والله ﷻ يجازي العبدَ على عمله بما هو من جنسه ، فمن غضَّ بصرَه عن المحارم عوَّضه الله إطلاقَ بصيرتِه ؛ فلما حبس بصرَه لله أطلق اللهُ نور بصيرتِه ، ومن أطلق بصره في المحارم حبس الله عنه بصيرتَه .

الفائدة الرابعة من فوائد غض البصر : أنه يفتحُ للعبد طرقَ العلمِ ويسهلُ عليه أسبابَه ، وذلك بسب نور القلب ؛ فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائقُ المعلومات ، وانكشفتْ له بسرعة ، ونفذَ من بعضها إلى بعض .

ومن أرسلَ بصَره تكدَّر عليه قلبه ، وأظلم ، وانسدَّ عليه بابُ العلم وطرقُه .

الفائدة الخامسة : أن غضَّ البصر يورث القلبَ سرورًا ، وفرحًا ، وانشراحًا ، أعظم من اللذة والسرور الحاصلِ بالنظر ؛ وذلك لقهره عدوَّه بمخالفته ، ومخالفة نفسه ، وهواه .

ثم إنه لما كفَّ لذَّتَهُ ، وحبسَ شهوتَه لله وفيها مسرةُ نفسه الأمارةِ بالسوء أعاضه الله مَسَرَّةً ولذةً أكملَ منها ، كما قال بعضهم : والله لَلَذَّةُ العفةِ أعظمُ من لذة الذنب .

ولا ريب أن النفس إذا خالفت هواها أعقبها ذلك فرحًا ، وسرورًا ، ولذّةً أكملَ من لذّة الهوى بما لا نسبة بينهما ، وهاهنا يمتاز العقل من الهوى .

الفائدة السادسة : أن غضَّ البصر يُخَلِّص القلب من أسر الشهوة ؛ فإن الأسير هو أسيرُ شهوته وهواه .

الفائدة السابعة : أن غضَّ البصر يسد عنه بابًا من أبواب جهنم ؛ فإن النظرة باب الشهوة الحاملة على مواقعة الإثم .

الفائدة الثامنة : أن غضَّ البصر يقوي العقلَ ، ويزيده ويثبِّته ؛ فإن إطلاق البصر وإرسالَه لا يحصل إلا من خِفة العقل ، وطيشِه ، وعدمِ ملاحظته للعواقب .

الفائدة التاسعة : أنه يُخَلِّصُ القلب من سُكْرِ الشهوة ، ورقدةِ الغفلة .

وبالجملة ففوائدُ غضِّ البصر ، وآفاتُ إرسالِه أضعافُ أضعاف ما ذكر ؛ فعلى من يريد السلامة لنفسه أن يغضَّ طرفَه عما تشتهيه نفسُه من الحرام ، وليكن له في ذلك الغض نيةٌ يحتسب بها الأجرَ ، ويكتسب الفضلَ ، ويدخل في جملة مَنْ نهى النفسَ عن الهوى .

وهكذا معاشر الصائمين : يتبيَّن لنا أثرُ الصيامِ في غضِّ البصر ، ويتّضح لنا آثار إرسالِ البصر ، وثمراتُ غَضِّه .

وإذا استفاد الصائم هذا الدرس من صيامه بعثه ذلك إلى غضِّ بصره ، واستحضار مشاهدة الرب ﷻ له ؛ فينال بذلك فوائدَ غضِّ البصر ، ويدخل في زمرة المحسنين الذين يعبدون الله كـــأنهم يرونه ، فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم .

**اللهم اجعلنا ممن خافك ، واتقاك ، واتبع رضاك يا رب العالمين .**

**وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد .**

# أثر الصيام في اكتساب العزة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد :

فإن العزةَ خصلةٌ شريفةٌ ، وخَلّةٌ حميدة ، وخُلُقٌ رفيع ، وأدبٌ سامٍ ، تَعْشَقُها قلوبُ الكرام ، وتهفو إلى اكتسابها النفوسُ الكبار .

وإن الإسلام لَدِينُ العزة والكرامة ، ودينُ السموِّ والارتفاع ، ودينُ الجدِّ والاجتهاد ، فليس دينَ ذلةٍ ومَسْكنة ، ولا دينَ كسلٍ وخمولٍ ودعة .

وإن شهرَ رمضانَ لميدانٌ فسيحٌ لاكتساب العزَّة ، والتحلي بها ، وذلك من وجوه عديدةٍ متنوعة ؛ فالصائمُ – على سبيل المثال – ينال هذا الخُلقَ من جراء صيامه ، وتركِه لطعامه ، وشرابه ، وشهواته المباحةِ فضلًا عن المحرمة .

وهذا يبعثه إلى الترفع عن الدنايا ، ومحقرات الأمور ، ويطلقه من أسر العادات ، وأهواء النفوس .

وينال العزة ـــ كذلك ـــ من جراء بعده عن الجدال والمراء والجهل والرفث ، والصخب ، والإساءة إلى الناس ، امتثالًا لقوله ﷺ في الحديث المتفق عليه : ﴿ إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يصخب ﴾ [1] .

وفي رواية ﴿ ولا يجهل ﴾ [2] ، وفي رواية ﴿ ولا يجادل ﴾ .

وإذا كان الصائم كذلك حفظ على نفسه عزَّتها وكرامتها ، ورَفَعها عن مجاراة الطائفةِ التي تلذُّ المهاترةَ والإقذاع .

وينال المؤمن الصائم العزَّة في هذا الشهر من جراء صيامه ، وكثرة

---

(١) البخاري الصوم (١٨٠٥) ، مسلم الصيام (١١٥١) ، الترمذي الصوم (٧٦٤) ، النسائي الصيام (٢٢١٧) ، ابن ماجه الصيام (١٦٩١) ، أحمد (٢/٢٧٣) .

(٢) البخاري الصوم (١٧٩٥) ، مسلم الصيام (١١٥١) ، الترمذي الصوم (٧٦٤) ، النسائي الصيام (٢٢١٦) ، أبو داود الصوم (٢٣٦٣) ، ابن ماجه الصيام (١٦٩١) ، أحمد (٢/٤٦٢) ، مالك الصيام (٦٨٩) .

أعماله الصالحة ، وانقطاعه عما سوى الله ، وهذا هو سر العزة الأعظم ؛ إذ ينال بسبب ذلك عزةَ نفسٍ ، وزيادةَ إيمـــانٍ ، واتصالًا وقربًا من الرحمن ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1] (المنافقون : من الآية ٨) .

وينال المؤمنون العزَّة في هذا الشهر بسبب كثرة إنفاقهم ، وإحسانهم إلى الفقراء والمعوزين .

وفي ذلك صيانةٌ للوجوه من السؤال ، وإنقاذٌ لكثير من الناس من عوز الفقر ، وذِلَّة الحاجة اللذين قد يَنجرِفان بهم إلى فساد الأخلاق ، وضيعة الآداب .

وهكذا يتبيَّن لنا أثرُ الصيام في اكتساب العزة ، سواء للأفراد أو للأمة .

وما أحوجنا ، وما أحوج أمتنا إلى هذا الخلق العظيم ، الذي أرشدنا إليه دينُنا ، وحثنا على التحلِّي به ، ووجهنا إلى اكتسابه ، وبيَّن لنا جميعَ السبلِ الموصلةِ إليه .

ومن مظاهر تربية الإسلام للمسلمين على هذا الخلق ، أن وجَّههم إلى إفراد الله بالمسألة دقَّت أو جَلَّت ، كثرت أو قلّت .

ومن ذلك توجيه المسلمين إلى الكسب المباح ، عن طريق الكدح والعمل ، والمشي في مناكب الأرض ، حتى يُعِفَّ الإنسانُ نفسَه ، ويستغني عن غيره .

كما وجههم في المقابل إلى أن يترفعوا عن مسألة الناس ، ونفَّرهم من ذلك الخلق الذميم إلا من كان مضطرًا أو متحمِّلًا حَمَالةً ، أو من أصابته جائحة ، أو فاقةٌ ، أو نحوُ ذلك .

كما أرشدهم إلى أن اليدَ العليا خيرٌ من اليد السفلى ؛ فَمَنَعَ القادرَ على الكسب من بسط كفه ؛ للاستجداء إذا كان في استجدائه إراقة لماء وجههِ .

بل إن من أحكام الشريعة إباحةَ التيممِ للمكلَّف ، وعدمَ إلزامهِ بقبول هبةِ ثَمنِ

---

(١) سورة المنافقون آية : ٨ .

الماء ؛ لما في ذلك من المنَّة التي تُنْقِصُ حظًّا وافرًا من أطراف الهمة الشامخة .

بل ومنها عدم إلزامِ الإنسانِ باستهابة ثوبٍ يسترُ بِهِ عورتَه في الصلاة ؛ صيانة لضياء وجهه من الانكساف بسواد المطالب .

ومن الأحكام القائمة على رعاية هذا الخلق أن التبرعات لا تتقرَّر إلا بقبول المُتَبَرَّعِ له ؛ إذ قَد يَرْبأ بِهِ خُلقُ العزةِ عن قبولها ؛ كراهةَ احتمالِ مِنَّتِها ، والمَنَّةُ تصدَعُ قناةَ العزةِ ؛ فلا يحتملها ذو مروءة إلا في حال ضرورة ، ولا سيما منةً تجيء من غير ذي طبع كريم ، أو قدر رفيع .

ثم إن الشريعةَ أرشدت المسلمَ إذا أخذ المال أن يأخذه بسخاوة نفس ؛ ليبارِكَ اللهُ له فيه ، وألا يأخذه بإسرافٍ ، وهلع ، وتعرضٍ ، وذلَّةٍ ، وإشراف .

وإذا اتصف المرء بعزة النفس وَفُرت كرامتُه ، وارتفع رأسُه ، وسلم من ألم الهوان ، وتحرَّر من رقِّ الأهواء وذلِّ الطمع ، ولم يَسِرْ إلا على وَفْقِ ما يمليه عليه إيمانُه ، والحقُّ الذي يحمله .

ولهذا تجدُ أن أشدَّ الناس عزمًا ومضاءً هو أنزهُهُم نفسًا ، وأبعدهم عن الطمع وجهةً .

ثم إن عزةَ النفس تُلقي على صاحبها وقارًا ، وجلالًا ، ومكانةً في القلوب ، وذلك مما تنشرح له صدورُ العظام .

وإنما يعاب الرجل إذا جعل هذه المكانةَ غايتَه المنشودةَ ، دون أن يكون الحاملُ عليها رضا الله ، ومن ثَمَّ نفع الآخرين .

وكما أن للعزة أثرًا في الأفراد فكذلك لها آثارٌ صالحةٌ في الأمة ؛ فالأمة التي تُشْرَب في نفوسها العزةَ يشتد حرصُها على أن تكون مستقلةً بشؤونها ، غنيَّةً عن أمم غيرها ، وتبالغ في الحذر من الوقوع في يدِ مَنْ يطعن في كرامتها ، أو يهتضم حقًّا من حقوقها .

معاشر الصائمين هذا شيء من معالم العزَّة ، وأثرِ الصيام في اكتسابها .

وإليكم نبذةً من النصوص الشرعية الواردة في شأن العزة :

قال النبي ﷺ لابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ : ﴿ إذا سألت فاسألِ الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ﴾ [1] رواه أحمد والترمذي ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وقال ﷺ ﴿ لأن يأخذَ أحدُكم أَحْبُلًا ، فيأخذَ حزْمةً من حطب ؛ فيكفَّ الله به وجْهَهُ ــ خيرٌ من أن يسألَ الناسَ أعطي أو منع ﴾ [2] رواه البخاري ومسلم .

وقال ــ عليه الصلاة والسلام ــ : ﴿ من يستغنِ يغنِهِ الله ، ومن يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ الله ، ومن يتصبرْ يصبرْهُ الله ، وما أعطي أحدٌ عطاءً أو خيرًا أوسع من الصبر ﴾ [3] رواه البخاري ومسلم .

وفيهما ــ أيضًا ــ عن النبي ﷺ قال : ﴿ ما يزال الرجلُ يسأل الناسَ حتى يأتيَ يومَ القيامة ، وليس في وجهه مُزْعةُ لحمٍ ﴾ [4] .

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال : ﴿ من سأل الناس تكثرًا فإنما يسأل جمرًا ؛ فَلْيَسْتَقِلَّ أو ليستكثر ﴾ [5] .

بل لقد أوصى – عليه الصلاة والسلام – نفرًا من أصحابه ألا يسألوا الناس شيئًا ؛ ففي صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه ﴿ أنه لما بايع النبي ﷺ مع طائفة

(١) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦) ، أحمد (٣٠٨/١) .
(٢) البخاري المساقاة (٢٢٤٤) ، ابن ماجه الزكاة (١٨٣٦) ، أحمد (١٦٤/١) .
(٣) البخاري الزكاة (١٤٠٠) ، مسلم الزكاة (١٠٥٣) ، الترمذي البر والصلة (٢٠٢٤) ، النسائي الزكاة (٢٥٨٨) ، أبو داود الزكاة (١٦٤٤) ، أحمد (١٢/٣) ، مالك الجامع (١٨٨٠) ، الدارمي الزكاة (١٦٤٦) .
(٤) البخاري الزكاة (١٤٠٥) ، مسلم الزكاة (١٠٤٠) ، النسائي الزكاة (٢٥٨٥) ، أحمد (١٥/٢) .
(٥) مسلم الزكاة (١٠٤١) ، ابن ماجه الزكاة (١٨٣٨) ، أحمد (٢٣١/٢) .

من أصحابه قالوا : فعلام نبايعك ؟ قال : (على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، والصلوات الخمس ، وتطيعوا . . . ) وأسر كلمةً خفيةً : (ولا تسألوا الناس شيئًا ) . ﴾ (١)

قال عوف : فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوطُ أحدِهم ؛ فما يسأل أحدًا يناوله إياه .

وعن قَبيصةَ بنِ مخارق الهلالي ﷺ قال : ﴿ تحملت حَمَالةً ، فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها فقال : (أقم حتى تأتينَا الصدقةُ ؛ فنأمرَ لك بها) . قال : ثم قال : (يا قبيصةُ ، إن المسألة لا تَحِلُّ إلا لأحد ثلاثةٍ : رجلٍ تحمَّل حمالةً ، فحلَّت له المسألةُ ؛ حتى يصيبَها ثم يُمْسِك ، ورجلٍ أصابتْه جائحةٌ اجتاحت ماله ؛ فحلَّت له المسألةُ ، حتى يصيب قوامًا من عيش – أو قال : أو سدادًا من عيش – ورجلٍ أصابته فاقةٌ حتى يقومَ ثلاثةٌ من ذوي الحِجا من قومه : لقد أصاب فلانًا فاقةٌ ، فحلَّت له المسألةُ حتى يصيبَ قوامًا من عيش – أو سدادًا من عيش – . فما سواهن يا قبيصةُ سحتًا يأكلها سحتًا ﴾ (٢)

رواه مسلم .

معاشر الصائمين وكما تظافرت نصوصُ الشرع في الثناء على خلق العزّة ، والحثِّ عليه ، فكذلك تتابعت وصايا العلماء والحكماء .

قال وهب بن منبه رحمه الله لرجل يأتي الملوك : (ويحك تأتي من يغلق عنك بابَه ، ويظهر لك فقرَه ، ويواري عنك غناه ، وتدعُ من يفتح لك بابَه بالليل والنهار ويظهر لك غناه ، ويقول : (ادعني استجب لك)! .

وقال طاوسٌ – لعطاءٍ – رحمهما الله : (إياك أن تطلبَ حوائجك إلى من أغلق

(١) مسلم الزكاة (١٠٤٣) ، النسائي الصلاة (٤٦٠) ، أبو داود الزكاة (١٦٤٢) ، ابن ماجه الجهاد (٢٨٦٧) ، أحمد (٢٧/٦) .

(٢) مسلم الزكاة (١٠٤٤) ، النسائي الزكاة (٢٥٧٩) ، أبو داود الزكاة (١٦٤٠) ، أحمد (٤٧٧/٣) ، الدارمي الزكاة (١٦٧٨) .

دونك بابه ، ويجعل دونها حُجَّابَه ، وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة ، أمرك أن تدعوَه ، ووعدك بأن يجيبك) .

وقيل لأبي حازم رحمه الله : (ما مالُك ؟ قال : ثقتي بالله ، وإياسي من الناس) .

وكتب أمير المؤمنين إلى أبي حازم : ارفع إليّ حاجتك .

قال أبو حازم : (هيهات! رفعت حاجتي إلى من لا يَخْتَزِنُ الحوائجَ ؛ فما أعطاني قنعت ، وما أمسك عني منها رضيت) .

وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله إذا قرأ عليه الطالبُ وانتهى يقول : (اقرأ من الباب الذي يليه ولو سطرًا ؛ فإني لا أحب الوقوف على الأبواب) .

وأنشد الإمام أحمد بن يحيى ثعلب رحمه الله :

من عفّ خفّ على الصديق لقاؤه وأخو الحوائج وجهه مبذول

وأخوك مَنْ وفَّرْتَ ما في كيسه فإذا استعنت به فأنت ثقيل

ولله در الشيخِ المَكُّوديّ إذ يقول :

وقد أشكلت فيها عليَّ المقاصدُ إذا عرضت لي في زمانيَ حاجةٌ

وقلت إلهي إنني لك قاصدُ وقفت بباب الله وقفةَ ضارعٍ

يقول فتاهُ سيدي اليومَ راقدُ ولست تراني واقفًا عند باب مَنْ

معاشر الصائمين : هذه هي العزّة ، وها نحن في شهر الخير والعزّة ، أفلا نستشعر هذا المعنى من جرَّاء صيامنا ؟ وندرك أن العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين ؛ فنلتمس العزة من مظانها ، ونسعى لإدراكها ، والاتصاف بها ؛ فيكون لنا عزٌّ وسرورٌ وذكرٌ جميلٌ في العاجل ، وأجرٌ وذخرٌ وعطاءٌ غيرُ مجذوذٍ في الآجل ؟

اللهم أعزنا بطاعتك ، ولا تذلنا بمعصيتك ، وصلِّ اللهم وسلِّم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

# رمضان وتربية الأولاد

الحمد لله ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ، أما بعد :

فإن رمضان شهرُ التربية ، وشهر المحاسبة ، وشهر المراجعة .

فالمؤمن يربي نفسه في رمضان ، ويربي من تحت يده على الفضائل ، ويحاسب نفسه ، ويراجع حاله مع ربه ، ومع الأمانات التي ائتمنه الله عليها .

وإن من أهم المهمات ، وأوجب الواجبات على المؤمن رعايتَه لأولاده ، وتربيتَه لهم .

وهذا الشهر الكريم فرصةٌ سانحة يقف الإنسان فيها مع نفسه ، وينظر في حاله مع أولاده ، فإن كان محسنًا حمد الله ، وازداد إحسانًا ، وإن كان مقصرًا نزع عن تقصيره ، وتدارك ما فاته .

والحديث هاهنا سيكون حول تربية الأولاد ، ومظاهر التقصير فيها ، والسبل المعينة على تربيتهم .

أيها الصائمون الكرام : الأولاد أمانة في أعناق الوالدين ، والوالدان مسؤولان عن تلك الأمانة .

قال الله–سبحانه وتعالى– : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [1] .

وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ ﴾ [2] .

وقال النبي–صلى الله عليه وسلم– : ﴿ كلكم راع ومسؤول عن رعيته ، فالإمام

(١) سورة النساء آية : ٥٨ .

(٢) سورة التحريم آية : ٦ .

راعٍ ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهل بيته ومسؤول عن رعيته ﴾ [1] رواه البخاري .

وقال : ﴿ ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة ﴾ [2] متفق عليه .

فالبيت هو المدرسة الأولى للأولاد ؛ فالولد قبل أن تربيه المدرسة أو المجتمع يربيه البيت والأسرة .

وهو مدين لأبويه في سلوكه الاجتماعي المستقيم ، كما أن أبويه مسؤولان إلى حدٍّ كبيرٍ عن انحرافه الخُلقي .

قال ابن القيم –رحمه الله– : " وكم ممن أشقى ولده ، وفِلْذَة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله ، وتركِ تأديبه ، وإعانته على شهواته ، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه ، وأنه يرحمه وقد ظلمه ؛ ففاته انتفاعُه بولده ، وفوَّت عليه حظَّه في الدنيا والآخرة ، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قِبل الآباء " . ا هـ .

أيها الصائمون الكرام : التقصير في تربية الأولاد يأخذ صورًا شتى ، ومظاهر عديدة ؛ تتسبب في انحراف الأولاد وتمردهم ، وإذا تأملت تلك الأنماط الخاطئة في التربية رأيتها ما بين إفراط وتفريط .

فمن الأخطاء في تربية الأولاد : تنشئتُهم على الجبن والهلع والخوف والفزع ؛ فذلك يلاحظ على كثير من الناس ؛ فتجدهم يخوفون أولادهم إذا بكوا أو أزعجوا ؛ ليسكتوا ، ويهدأوا ؛ فتجد بعض الناس يخوفهم بالغول ، أو الحرامي ، أو العفريت ، أو صوت الريح أو نحو ذلك .

---

(١) البخاري الأحكام (٦٧١٩) ، مسلم الإمارة (١٨٢٩) ، الترمذي الجهاد (١٧٠٥) ، أبو داود الخراج والإمارة والفيء (٢٩٢٨) ، أحمد (١٢١/٢) .

(٢) البخاري الأحكام (٦٧٣١) ، مسلم الإيمان (١٤٢) ، أحمد (٢٧/٥) ، الدارمي الرقاق (٢٧٩٦) .

وبعض الناس يخوفهم بالأستاذ ، أو الطبيب أو المدرسة .

وإذا جرح الولد أو أصيب بأي مصيبة أخذت الأم تولول ، وَتَلطِمُ وجهها ، وتضرب صدرها ، وهكذا ينشأ الولد جبانًا رِعديدًا يَفْرَقُ من ظله ، ويخاف مما لا يخاف منه .

ومن الخطأ في التربية –أيضًا– تربيةُ الأولاد على التهور ، وسلاطةِ اللسان ، والتطاول على الآخرين ، وتسميةِ ذلك شجاعةً ، وهذا نقيض الأول ، والحق إنما هو في التوسط .

ومن الخطأ في التربية : تربية الأولاد على الميوعة ، والفوضى ، وتعويدهم على البذخ ، والترف ، والإغراق في النعيم ، وبسط اليد لهم ، وإعطائهم ما يريدون .

فمثل هذه التربية تفسد فطرتهم ، وتقضي على استقامتهم ، ومروءتهم ، وشجاعتهم .

وفي مقابل ذلك نجد من الوالدين من يأخذ أولاده بالشدة المتناهية ، فتراه يقسو عليهم أكثر من اللازم ، فيضربهم ضربًا مبرِّحًا إذا أخطأ ولو للمرة الأولى ، ويبالغ في توبيخهم عند كل صغيرة وكبيرة ، ويحرمهم من العطف والشفقة والحنان ، ويقتِّر عليهم في النفقة ؛ فلا ينفق عليهم إلا بشق الأنفس .

وهذا النمط من التربية يفسد الأولاد ، ويقضي على إنسانيتهم ، ويقودهم إلى البحث عن المال أو العطف خارج المنـــزل إما : بالسرقة ، أو بسؤال الناس ، أو الارتماء في أحضان رفقة السوء .

ومن الأخطاء في التربية : أن يقتصر اهتمام بعض الوالدين على المظاهر فحسب ؛ فيرى أن التربيةَ مقتصرةٌ على توفير الطعام الطيب ، والشراب الهنيء ، والكسوة الفخمة ، والدراسة المتفوقة ، ولا يدخل عندهم تنشئةُ الأولاد على التدين الصادق ، والخلق الكريم .

ومن الأخطاء في التربية : المبالغةُ في إحسان الظن بالأولاد ؛ فتجد من الوالدين مَن

لا يتفقَّد أولادَه ، ولا يعرف عن أحوالهم ، ولا أصحابهم شيئًا ، وتراه لا يقبل بهم عذلًا ، ولا عدلًا ، ولا صرفًا ، وذلك لفرط ثقته بأولاده ، بل ربما دافع عنهم إذا شكاهم أحدٌ إليه .

وفي مقابل ذلك تجد من يبالغ في إساءة الظن بأولاده ؛ فتراه يتهم نياتِهم ، ولا يثق بهم البتة ، ويشعرهم بأنه وراءهم في كل صغيرة وكبيرة ، دون أن يتغاضى عن شيء من هفواتهم أو زلاتهم .

ومن مظاهر الخطأ في تربية الأولاد : التفريقُ بينهم ، سواءٌ كان ذلك ماديًّا ، أو معنويًّا ؛ فهناك من يُفرِّق بين أولاده في العطايا ، والهدايا ، والهبات وهناك من يفرق بينهم بالملاطفة والمزاح ، والمحبة ، إلى غير ذلك من صور التفريق ، التي تسبب شيوع البغضاء ، وتبعث على النفور والتنافر .

ومن مظاهر الخطأ في تربية الأولاد : تركُ المبادرة في تزويج الأبناء مع الحاجة والقدرة ، وتأخيرُ تزويج البنات ، والمتاجرة بهن ، وتزويجهن بغير الأكْفَاء .

وهذا من إضاعة الأمانة ، والتسبب في شقاء الأولاد .

ومن مظاهر التقصير في حق الأولاد : تسميتهم بأسماءٍ سيئة ، أو مخالفة ، فمن الناس من لا يأبه بذلك ، فمنهم من يسمي ولده بالاسم القبيح ؛ بحجة أن جدَّه فلانًا أو جدَّته فلانة تسميا بهذا الاسم ؛ فهو يرى أن من البر أن يسمي بأسمائهم ، ولو كانت غير مناسبة .

ومن الأخطاء التي تقع في تسمية المواليد تسميتهم بالأسماء الممنوعة شرعًا ؛ كتسميتهم بأسماء الله المختصة به مثل أن يُسمي الولد : بالأحد ، أو الله ، أو الرحمن ، أو الخالق .

ومن ذلك تسميتهم بالأسماء المعبدة لغير الله مثل : عبد النبي ، أو عبد علي ، أو عبد الحسين .

وكذلك تسميتهم بالأسماء الأجنبية ، الخاصة باليهود والنصارى ؛ لأن هذا يجر ولو

على المدى البعيد إلى موالاتهم .

ومن الخطأ في التسمية تسميتهم بأسماء الجبابرة ، والطواغيت .

ومن ذلك تسميتهم بالأسماء التي يظن أنها من أسماء الله كالتسمية بـــ " عبد المقصود ، وعبد الموجود ، وعبد الستار " .

ومن ذلك تسميتهم بالأسماء المكروهة أدبًا وذوقًا ، كالأسماء التي تحمل في ألفاظها تشاؤمًا أو معانيَ تكرهها النفوس .

ومن ذلك تسميتهم بالأسماء التي تسبب الضحك والسخرية ، أو التي توحي بالتميع ، والغرام ، وخدش الحياء .

ومن صور التقصير في تربية الأولاد : مكثُ الوالدِ طويلًا خارجَ المنـــزل ؛ خصوصًا إذا كان ذلك لغير حاجة ؛ فهذا يعرِّض الأولاد للفتن ، والمصائب ، والانحراف ، ويَحْرِمُ الأولادَ من النفقة والرعاية .

ومن الخطأ في تربية الأولاد : الدعاءُ عليهم ، قال النبي–صلى الله عليه وسلم– : ﴿ لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاءً ؛ فيستجيب لكم ﴾ [1] رواه مسلم .

ومن مظاهر الخطأ في تربية الأولاد : تربيتهم على سفاسف الأمور ، وسيئ العبارات ، ومرذول الأخلاق ، ومن ذلك : فعل المنكرات أمام الأولاد ، وجلب المنكرات لهم في المنـــزل ، والعهد للخادمات والمربيات بتربية الأولاد ؛ خصوصًا إذا كُنَّ غيرَ مسلمات .

ومما يتسبب في ضياع الأولاد وانحرافهم : كثرة المشكلات بين الوالدين ، وترك البنات يذهبن للسوق بلا محرم ، وبلا حاجة ، وإهمالُ الهاتف وترك مراقبته ، والغفلةُ عما يقرؤه الأولاد ، وقلةُ الاهتمام باختيار مدارس الأولاد ، وقلةُ التعاون مع

(١) مسلم الزهد والرقائق (٣٠١٤) .

مدارسهم أو انعدامه بالكلية .

ومن الخطأ في تربية الأولاد : احتقارُهم ، وتركُ تشجيعهم ؛ فبعض الناس يَسْخَرُ كثيرًا بأولاده ، ويشنِّع عليهم إذا أخطأوا ، ويسكتهم إذا تكلموا ؛ مما يجعل الولد عديم الثقة بنفسه .

وأشـــدُّ صورِ السخرية أن يسخرَ بالولد إذا استقام على أمر الله ، فتجد من الآباء من يَسْخَرُ بابنه إذا رآه مستقيمًا ، مطبقًا للسنة ، مقبلًا على العلم ؛ فهذه السخرية قد تسبب انحراف الولد ، فيكون عالة على والده ، وسببًا لجر البلايا إليه ، وما علم ذلك الوالد أنه هو الرابح الأول من صلاح ابنه في الدنيا والآخرة .

ومن الخطأ في التربية : قلةُ العناية بتربية الأولاد على تحمل المسؤولية ، وعدم إعطائهم فرصةً للتصحيح والتغيير للأفضل .

وهكذا ينشأ الولد وهو يشعر بالنقص ، وقلة الثقة بالنفس .

هذه بعض مظاهر التقصير في تربية الأولاد ، فماذا نؤمل بعد هذا الإهمال ؟ وماذا سنحصد من جرّاء هذا التقصير ؟

ومن هنا نعلم أي جناية نجنيها على الأولاد حين نقذف بهم إلى معترك الحياة في جو هذه التربية الخاطئة!

ثم ما أسرعنا إلى الشكوى إذا رأيناهم عاقين متمردين ، ونحن قد غرسنا بأيدينا بذور الانحراف!

أيها الصائمون : للحديث بقيةٌ–إن شاء الله–حيث سيكون حول السبل المعينة على تربية الأولاد وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

# رمضان وتربية الأولاد

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد :

فقد مرّ سالفًا حديثٌ حولَ تربية الأولاد وأهميته ، وأن شهرَ رمضانَ فرصةٌ عظيمةٌ لأن يقفَ الإنسانُ مع نفسه وحالِه مع الأولاد ، ومرّ ذكرٌ لبعض مظاهر التقصير في تربية الأولاد .

والحديث في هذه الليلة–إن شاء الله–سيكون في السبل والأسباب المعينة على تربية الأولاد ، والتي تَكْفُلُ –بإذن الله– لمن أخذ بها أن يعان ، ويوفق ، وأن يجد الآثار الطيبة عاجلًا أو آجلًا .

فمن تلك السبل : العنايةُ باختيار الزوجةِ الصالحة ؛ فالزوجة أمُّ الأولاد ، ولها الأثرُ الأكبر عليهم وعلى زوجها ؛ فحري بالإنسان إذا أراد الزواج أن يستشير ، ويستخير ، ويبحثَ عن ذات الدين ، والخلق القويم .

قال أبو الأسود الدؤلي لبنيه : " قد أحسنت إليكم صغارًا وكبارًا ، وقبل أن تولدوا " .

قالوا : " وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد ؟ " قال : " اخترت لكم من الأمهات من لا تُسبُّون بها " .

وأنشد الرياشي :

فـــأول إحســـاني إلـــيكم تخيُّـــري  لماجـــدةِ الأعـــراقِ بـــادٍ عفافُهـــا

ومن السبل المعينة على تربية الأولاد سؤالُ الله الذريةَ الصالحة ، وسؤاله الإعانةَ على تربية الأولاد ، وكثرةُ الدعاء للأولاد بالصلاح ، والحذرُ كلَّ الحذر من الدعاء عليهم ، أو تركُ الدعاء لهم إذا رأى الوالد منهم تماديًا في الشر ؛ فإجابة الدعاء قد تتأخر لحكمة ، وقد يُقْصِرون عن بعض الشر بسبب الدعاء ، وقد يصلحون بعد حين ، أو بعد فراق الوالد الدنيا ، وهكذا . . .

ومن أعظم ما يعين على صلاح الأولاد ، أن يغرس الوالدُ الإيمانَ ، والعقيدةَ

الصحيحةَ في نفوس الأولاد وهم صغار ، وأن يتعاهد ذلك بالسقي والرعاية ، فيلَقِّن الوالدُ أولادَه منذ الصغر النطق بالشهادتين ، ويعلمهم بأن الله رَبُّهم ، والإسلامَ دينُهم ، ومحمدًا –صلى الله عليه وسلم–نبيهم .

وينمي في قلوبهم محبة الله ﷻ ومراقبتَه ، وأنه في السماء ، وأنه سميعٌ بصيرٌ إلى غير ذلك من أمور العقيدة المُيَسَّرة الملائمة لسن الأولاد .

ومن أعظم ما يعين على صلاحهم–أيضًا–غرسُ الأخلاق الحميدة والخلال الكريمة في نفوس الأولاد ، وتجنيبُهم الأخلاقَ الرذيلة وتقبيحُها إليهم ، فيحرصُ الوالد على تربيتهم على التقوى ، والعفة ، والحلم والصدق ، والصبر والبر ، والصلةِ ، والعلم ، والجهاد ، والدعوة ، ويكرِّه إليهم في الوقت نفسه أضرارَ تلك الأخلاق ، فيكرّه إليهم الفجورَ ، والكذبَ ، والخيانةَ ، والحسدَ ، والغِيبةَ ، والنميمةَ ، والعقوقَ ، والقطيعةَ ، والجبنَ ، والأَثَرة ، وغيرَها من سَفْساف الأخلاق ، ومرذولها .

وإذا سار بهم على هذه السُّنَّةِ شبوا متعشقين للبطولة ، محبين لمكارم الأخلاق ، نافرين عن مرذولها .

ومن ذلك تعليمُهم الأمورَ المستحسنةَ ، وتدريبُهم عليها ، كتشميت العاطس ، والأكلِ باليمين وآداب قضاء الحاجة ، وآدابِ السلام وردِّه ، وآدابِ الرد على الهاتف ، واستقبال الضيوف ، ونحو ذلك .

فإذا تدرب الولد على هذه الأخلاق منذُ الصغر أَلِفَها ، وأصبحت سجيّة له ؛ فالصغير يقبل التعليم والتوجيه ، وَيَشِبُّ على ما عُوِّد عليه كما قيل :

على ما كان عوَّده أبوه وينشأ ناشئُ الفتيانِ منا

ومما ينبغي للوالدين مراعاتُه أن يحرصا في مخاطبة الأولاد على انتقاء العبارات الحسنة المقبولة الطيبة ، وأن يربآ بأنفسهم عن السب ، والشتم واللجاج ، وغير ذلك من العبارات البذيئة المقذعة ، وبذلك تعف ألسنة الأولاد ، وتنأى عن السباب ، والفحش .

ومن أجلِّ ما يمكن أن يقوم به الوالدان تجاه الأولاد : أن يحرصا على تحفيظهم كتاب الله ﷻ لما في ذلك من الأجر العظيم وحفظ الوقت ، وحماية الأولاد من الانحراف ، وغير ذلك من الفضائل التي لا تعد ولا تحصى .

ومن المسائل المهمة في التربية : مسألةُ التربية بالقدوة ؛ فينبغي للوالدين أن يكونا قدوةً للأولاد في الصدق ، والاستقامة ، والبر ، وأن يتمثلا كل ما يقولانه ، ويأمران به .

ومن الأمور المستحسنة في ذلك : أن يقوم الوالدان أو أحدُهما ، بالصلاة أمام الأولاد ؛ حتى يتعلموا الصلاة عمليًّا من الوالدين .

ولعل هذا من أسرار مشروعية أداء السنة الراتبة في البيت ، وكونِ الصلاةِ في البيت أفضلَ من الصلاة في المسجد إلا المكتوبة .

ومما تحصل به القدوة – أيضًا – كظمُ الغيظِ ، وحسنُ استقبال الضيوف ، وبرُّ الوالدين ، والوفاءُ بالعهد والوعد .

ومما يجب على الوالد تجاه أولاده أن يحميهم من المنكرات ، وأن يطهرَ بيته منها ، حتى يحافظَ على سلامة فطرهم ، وعقائدهم وأخلاقهم .

ويجدر به – أيضًا – أن يوجدَ لهم البدائل المناسبة المباحة التي تجمع بين المتعة والفائدة ، وبذلك يجد الأولاد ما يشغلون به فراغهم .

ومما يجب على الوالدين – أيضًا – أن يجنبا أولادهم أسباب الانحراف الجنسي ، وذلك بحمايتهم من مطالعةِ القصص الغراميةِ ، والمجلاتِ الخليعةِ ، والأغاني الماجنة والكتبِ الجنسية وغيرِها ، وتجنيبهم الزينةَ الفارهةَ ، والميوعةَ القاتلة ؛ فَيُمْنَعَ الولد من الإفراط في التجمّل ، والمبالغة في التأنق والتطيب ، وينهى عن التعري ، والتكشف ؛ لأن هذه الأعمالَ تتسبب في فساد طباعهم ، وتقودهم إلى إغواء الآخرين وفتنتهم ، وتدعو إلى جرّ الأولاد إلى الرذيلة ؛ خصوصًا إذا كانوا صغارًا أو ذوي مرأًى حسن .

بل يحسن بالوالد أن يعوِّدَ أولاده على الرجولة ، والخشونة ، والجد ، وأن يجنبهم

الكسل ، والبَطالة ، والراحة ، والدعة ؛ فإن للكسل والبَطالة عواقبَ سوءٍ ، ومغبةَ ندمٍ ، وللجد والتعب عواقب حميدة ؛ فأروحُ الناسِ أتعبُ الناس ، وأتعبُ الناسِ أروحُ الناس ؛ فالسيادة في الدنيا والسعادة في العقبى لا يوصل إليها إلا على جسرٍ من التعب ؛ فالراحة تعقب الحسرة ، والتعب يعقب الراحة .

ومما يحسن في هذا الصدد أن يعوِّد الوالدُ أولاده الانتباه آخر الليل ؛ فإنه وقت الغنائم ، وتفريق الجوائز ، فمستقلٌّ ، ومستكثر ، ومحروم ؛ فمن اعتاده صغيرًا سَهُل عليه كبيرًا .

ومما يحسن بالوالد – أيضًا – أن يجنب أولاده فضولَ الكلام ، والطعام ، والمنام ، ومخالطة الأنام ؛ فإن الخسارة في هذه الفضلات ، وهي تفوِّت على العبد خيرَ دنياه وآخرته ، ولهذا قيل : من أكل كثيرًا ، شَرِب كثيرًا ، فنام كثيرًا ، فخسر كثيرًا .

ومن الأمور النافعة المجدية في التربية مراقبةُ ميول الولد ، وتنميةُ مواهبه ، وتوجيهُه لما يناسبه .

وبهذا يجد الولد في المنـــزل ما ينمِّي مواهبَه ، ويصقلُها ، ويُعِدُّها للبناء .

قال ابن القيم –رحمه الله– : " ومما ينبغي أن يعتمد حال الصبي ، وما هو مستعد له من الأعمال ، ومهيأٌ له منها ، فيعلمَ أنه مخلوقٌ له ، فلا يَحْمِله على غير ما كان مأذونًا فيه شرعًا ؛ فإنه إنْ حَمَلَه على غير ما هو مستعد له لم يفلحْ فيه ، وفاته ما هو مهيأٌ له ؛ فإذا رآه حسنَ الفهمِ جيدَ الحفظ واعيًا ؛ فهذه علامات قبوله ، وتَهيُّئه للعلم ؛ لينقشه على لوح قلبه ما دام خاليًا ، وإن رآه ميالًا للتجارة والبيع والشراء ، أو لأي صنعةٍ مباحةٍ فليمكِّنْه منها ؛ فكلٌّ ميسر لما خلق له " ا هـــ .

ومن الأمور النافعة في التربية : إشباعُ عواطف الأولاد ، وإشعارُهم بالعطف والرحمةِ ، والنفقةُ عليهم بالمعروف ، والعدلُ بينهم ، والقيامُ على حوائجهم ، وإشاعةُ روحِ الإيثار بينهم ؛ فذلك مما يشعرهم بالمحبة ، ويقضي على كثير من المشكلات .

ومن أسس التربية الناجحة : أن يكون التفاهمُ قائمًا بين الزوجين ؛ فعليهما أن

يحرصا كل الحرص على تجنّب الوسائل المفضية للشقاق أمام الأولاد وأن يبتعدا عن العتاب أمامهم ؛ حتى يسود الهدوء البيت ، وتشيع الألفة فيه ، فيجد الأولاد فيه الراحة والسكن ، والأنس والسرور .

ومما يحسن بالوالدين إذا لم يُقَدَّر بينهما وفاقٌ ، وحصل الطلاق أن يتقيا الله ﷻ وأن يكون التسريح بإحسان ، وألا يجعلا الأولاد ضحية لعنادهما ، وشقاقهما ، وألا يغري كل واحد منهما بالآخر .

بل عليهما أن يعينا الأولاد على البر ، وأن يوصي كلٌّ واحدٍ منهما الأولاد ببر الآخر بدلًا من التحريش ، وإيغار الصدور ، وتبادل التهم ، وتأليب الأولاد ؛ فإن اتقيا الله في حال الطلاق لم يعرضا الأولاد للاضطراب والتمرد ، وإن كانت الأخرى فإن الوالدين هما الخاسر الأول ، وإن الأولاد سيعقّون الوالدين .

ومما يحسن التنبيه عليه في تربية البنات–على وجه الخصوص–أن يعلمهن ما يَحْتَجْن إليه من أمور دينهن ودنياهن ، فكم من الناس من فرط في هذا الحق ، وكم من النساء من يجهلن –على سبيل المثال– أحكامَ الحيض والنفاس ومسائل الدماء عمومًا بالرغم من أنه يتعلق بها ركنان من أركان الإسلام وهما الصلاة والصيام ، بل والحج .

وكم من النساء من تجهل إقامة الصلاة على الوجه المطلوب ، وهكذا . . .

فينبغي للوالد – أبًا أو أمًّا – أن يُعنى بتعليم بناته أمور دينهن ، كما ينبغي حَمْلُهن على الحشْمة ، والعفاف والستر ، وأن يعلِّمهن–أيضا –أمور حياتهن الخاصة من كيٍّ وغسيلٍ ، وطبخٍ ، وخياطةٍ ، وتدبيرٍ للمنـــزل وغير ذلك ؛ حتى يكُنَّ على أتم استعداد للحياة الزوجية .

ومما يجب على الوالد تجاه أولاده : أن يمنع البنين من التشبه بالبنات ، وأن يمنع البناتِ من التشبه بالبنين ، وأن يمنع الأولادَ من التشبه بالكفار والكافرات ، وأن يمنع البنات من الخروج من المنـــزل وحدهن ، سواء للسوق أو الطبيب ، أو غير ذلك ، بل لا بد من وجود المحرم معهن ، وألا يخرجن إلا للحاجة الملحة .

كما عليه أن يمنع البنين من الاختلاط بالنساء ، ويمنعَ البناتِ من الاختلاط بالرجال ، كما عليه أن يحرص كلَّ الحرص على تزويج أبنائه إذا بلغوا سن الرشد عند المقدرة والحاجة ، وأن يحرص على تـــزويج بناته إذا تقدم لهن من يرضى دينه وخلقه .

ومما يحسن بالوالدين أن يرعياه أن يعتنيا بصحة الأولاد خصوصًا وهم صغار ؛ لأن كثيرًا من العاهات تبدأ مع الأولاد في ذلك السن ؛ فإذا أهمل علاجها لازمت الأولاد طيلة أعمارهم .

كما يحسن بالوالدين أن يقوما بشؤون الأولاد إذا أصيبوا بعاهات مزمنة ، أو إذا ولدوا معاقين أو مصابين ببعض التشوهات الخِلقية ، أو ما شاكل ذلك ؛ فحريٌّ بالوالدين أن يقوما برعاية الأولاد ، وأن يحسنا تربيتهم ، وأن يشعروهم بمكانتهم ، كما يحسن بهما أن يحتسبا الأجر ، وأن يحذرا من التسخط ، بل عليهم أن يحمدا الله ، وأن يتحرَّيا الخيرة ؛ فربما كان الخير في ذلك البلاء ، وربما رحم الله الأسرة جميعها ، وأدرَّ عليهم الأرزاق ، ودفع عنهم صنوف البلاء ، بسبب هؤلاء المساكين .

معاشر الصائمين : للحديث صلة في الليلة القادمة –إن شاء الله تعالى– وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

## رمضان وتربية الأولاد

الحمد لله ، والصلاة والسلام على النبي رسول الله ، أما بعد :

فقد كان الحديث سالفًا يدور حول السبل المعينة على تربية الأولاد ، والحديث هاهنا إكمال لما مضى .

فمما يعين على تربية الأولاد ونُضجهم : أن ينمي الوالد الشجاعةَ الأدبيةَ في نفس الولد ؛ وذلك بإشعاره بقيمته ، وزرع الثقة في نفسه ، حتى يعيش كريمًا شجاعًا صريحًا جريئًا في إبداء آرائه في حدود الأدب واللياقة ؛ بعيدًا عن الإسفاف والصفاقة ؛ فهذا النمطُ من التربيةِ يشعره بالطمأنينة ، ويكسبه القوةَ والاعتبارَ ، ويزيل عنه التردد ، والخوفَ ، والهوانَ ، والصَّغارَ .

ومما يحسن بالوالد في هذا الصدد : أن يستشير أولادَه في بعض الأمور ؛ كأن يستشيرَهم فيما يتعلقُ بالمنـــزل ، أو لونِ السيارة التي سيشتريها ، أو أن يأخذ رأيهم في مكان الرحلة أو زمانها ، ثم يوازن بين آرائهم ، ويستخرج ما لديهم من أفكار ، ويطلب من كل واحد منهم أن يبدي مسوغاته ، وأسباب اختياره لهذا الرأي وهكذا ؛ فكم في مثل هذا العمل من زرع للثقة في نفوس الأولاد ، وإشعار لهم بقيمتهم ، وكم فيه من تدريب لهم على تحريك أذهانهم ، وشحذ قرائحهم ، وكم فيه من تعويد لهم على التعبير عن آرائهم .

ومن الأساليب الطيبة في التربية : تعويد الولد على القيام ببعض المسؤوليات ؛ كالإشراف على المنـــزل في حال غياب ولي الأمر ، وكالتعويد على الصرف والاستقلالية المالية ، وذلك بمنحه مصروفًا ماليًّا كل شهر أو أسبوع ؛ ليقوم بالصرف على نفسه ، وعلى حاجات المنـــزل ، وكمنحه الثقة في استقبال الضيوف ، وإعداد اللازم لهم ، وكتعويده على المشاركة الاجتماعية إما بالدعوة إلى الله ، أو إغاثة الملهوفين ، أومساعدة الفقراء والمحتاجين ، أو التعاونِ مع جمعيات البر ، أو غيرها .

ومن الأساليبِ النافعةِ في التربية : تدريبُ الأولادِ على اتخاذ القرار ؛ كأن يَعْمَدَ

الوالدُ إلى وضع الولد في مواضع التنفيذ ، وفي المواقف المحرجة التي تحتاج إلى حسم الأمر ، والمبادرةِ في اتخاذ القرار ، وتَحَمُّل ما يترتب عليه ؛ فإن أصاب شجَّعه ، وشد على يده ، وإن أخطأ قوَّمه ، وسدَّده بلطف ؛ فهذا مما يعوِّده على مواجهة الحياة ، والتعامل مع المواقف المحرجة .

ومما يحسن بالوالد : أن يُقَدِّر مراحل العمر التي يمر بها الأولاد ؛ فالولد يَكْبُرُ ، ويَكْبُرُ معه تفكيرُه ؛ فلا بد أن تكونَ معاملتُه ملائمةً لسنه وتفكيره ، واستعدادِه ، وألا يُعامل دائمًا على أنه صغير .

كما يحسن بالوالد : أن يتلافى مواجهةَ الأولادِ مباشرةً قدر المستطاع ، خصوصًا في مرحلة المراهقة ؛ بل يحسن به إذا لاحظ منهم خطأً أن يُعرِّض لهم ، وأن يقودهم بزمام الحجة ، والإقناع ، والمناقشة الحرة .

ومما ينبغي للأب– مهما كان له من شغل– أن يخصص وقتًا يجلس فيه مع الأولاد ، يؤنسهم فيه ، ويعلمهم ما يحتاجون إليه ، ويقصُّ عليهم القصصَ الهادفةَ ؛ لأن اقترابَ الوالدِ من أولاده ضروريٌّ جدًّا ، وله آثارهُ الواضحةُ ، حيث تستقر أحوالُ الأولاد ، وتهدأ نفوسُهم ، وتستقيم طباعهم .

ومما يجدر بالوالد إذا تحدث إليه ولدُه–خصوصًا الصغير–أن يصغي له تمامًا ، وأن يبدي اهتمامَه بحديثه ، كأن تظهرَ عليه علاماتُ التعجبِ ، أو أن يبدي بعضَ الأصواتِ التي تدل على الإصغاء والاهتمام والإعجاب ، كأن يقول : رائع ، حسن ، صحيح ، أو أن يقومَ بالهمهمة ، وتحريك الرأس ، وتصويبه ، وتصعيده ، أو أن يجيبَ على أسئلته ، أو غير ذلك .

فمثل هذا العملِ له آثار إيجابيةٌ كثيرةٌ ؛ فهو يعلِّم الولدَ الطلاقةَ في الكلام ، ويساعدُه على ترتيب أفكاره وتسلسلها ، ويدربه على الإصغاء ، وفهمِ ما يسمعه من الآخرين ، كما أنه ينمي شخصيةَ الولد ، ويصقلُها ، ويقوي ذاكرتَه ، ويعينُه على استرجاع ما مضى ، ويزيدُه قربًا من والده .

ومما يحسن بالوالد : أن يتفقد أحوالَ أولاده ، وأن يراقبهم من بعد ؛ فيلاحظهم في أداء الشعائر التعبدية من صلاة ، ووضوء ، ونحوه ، ويراقب الهاتف المنـــزلي أحيانًا ، وينظر في جيوبهم وأدراجهم من حيث لا يشعرون ؛ كأن ينظر فيها إذا ناموا ، أو أن ينظر في أدراجهم إذا ذهبوا للمدرسة ، وإذا رأى ما لا يرضى تصرف بما يراه مناسبًا .

هذا إذا كان يرى الأولاد على حالة لا تُرضى ، أما إذا كانوا صُلحاء ؛ فلا يلزم أن يقوم بمثل هذا العمل .

ومما يحسن بالأب : أن يربطَ ولده بالصحبة الطيبة ، وأن يكرم أصحاب ولده الطيبين الصالحين ، وأن يحثَّه على ملازمتهم ، وأن يُحْسِنَ الوالدُ استقبالَ أصحابِ ولده إذا زاروا الولد ؛ بل يَحْسُنُ به أن يحثَّ ولدَه على استزارتهم .

وإذا زاروا الولد فإنه يجدر بالأب أن يفرحَ بذلك ، وأن ييسر لهم ما يستطيع ، وأن يقابلهم بالبشر ، ولا بأس أن يجلس معهم ولو قليلًا ، ويتجاذب معهم أطراف الحديث ، ويسألهم عن أحوالهم ، وأحوال ذويهم ؛ فهذا الصنيع يشعر الولد بقيمته ، ويحفزه على طاعة والديه ، والتمسك بصحبته .

أما النفور من الصحبة الصالحة للولد ، والجفاء في معاملتهم فلا يليق بالأب ؛ لأنه يشعرُ الولدَ بعدم قبولهم ، فيسعى لمقاطعتهم ، أو التخفي في علاقته بهم ، أو أن يتركهم ؛ فيقع فريسة لأصحاب السوء .

وإذا بُلي الولد بصحبة سيئة فعلى الوالد أن يراعيَ الحكمةَ في إنقاذه منهم ، فلا يبادرَ إلى استعمال العنف منذ البداية ، ولا يسارعَ إلى إهانتهم أمام ولده ، أو طردهم إذا زاروه أول مرة ، لأن الولد متعلق بهم ، ومقتنع بصحبتهم .

بل ينبغي للوالد أن يتدرج في ذلك ؛ فيبدأ بإقناع ولده بسوء صحبته ، وأن عليه أن يفارقهم ، وأن يبحثَ عن أصحاب خيرٍ منهم ، ثم يقومَ بعد ذلك بتهديده ، وإشعاره بأنه ساعٍ لتخليصه منهم ، وأنه سيذهب إلى أولياء أمورهم ، كي يبعدوا أولادهم عنه ؛ فإذا حَذَّر الولدَ ، وسلك معه ما يستطيع ، وأعيته الحيلة ، ورأى أن

بقاءه معهم ضررٌ محققٌ فهناك يسعى إلى تخليصه منهم بما يراه مناسبًا .

ومما ينبغي للوالدين أن لا يضخموا أخطاء الأولاد ، بل عليهم أن ينـــزلوها منازلها ، وأن يدركوا أنه لا يخلو بيت من الأخطاء ، فمقل ومستكثر .

أيها الصائمون الكرام : ومن الأمور المعينة في التربية اصطناعُ المرونة ، فإذا اشتدت الأم على الولد لانَ الأب ، وإذا عنَّف الأب لانَت الأم ؛ فمثلًا قد يقع الولد في خطأ ما ، فيؤنِّبه والده تأنيبًا يجعله يتوارى عن الأعين ؛ خوفًا من العقاب ، فتأتي الأم ، وتطيِّبُ نفسَ الولد ، وتوضِّح له خطأَه برفق ؛ عندئذ يشعر الولد بأنهما على صواب ، وأنه على خطأ ، فيقبل من أبيه تأنيبَه ، ويحفظُ لأمهِ معروفَها ، والنتيجة أنه سيتجنب الخطأ مرة أخرى .

ومن السبل النافعةِ في التربية : التربيةُ بالعقوبة ؛ فالأصل أن يأخذَ الإنسان باللين والرفق في معاملته لأولاده ؛ إلا أن العقوبة قد يحتاج إليها بشرط ألا تكون ناشئة عن سورة جهل ، أو ثورة غضب ، وألا يَلجأ إليها إلا في أضيق الحدود ، وألا يؤدب الولدَ على خطأ ارتكبه مرة واحدة ، وألا يؤدبه على خطأ أحدث له ألمًا ، وألا يكون أمام الآخرين .

ولا يفهم من ذلك أن العقوبةَ قاصرةٌ على الألم البدني فحسب ، بل هناك أنواع أخرى كالعقاب النفسي ؛ كقطع المديح عنه ، أو إشعاره بعدم الرضا أو توبيخه ، أو حرمانه من الجائزة ، وهكذا . . .

ومن أنواع العقوبة العقاب البدني الذي يؤلمه ، ولا يضره .

ومما ينبغي للوالد مراعاته في التربية : أن يعطي أولادهَ فرصةً للتصحيح إذا أخطأوا ، وألا يأخذ موقفًا واحدًا من أحد أولاده فيجعلَه ذريعةً لوَصْمِهِ ، وعيبه ؛ كأن يسرق مرة ، أو يكذب فيناديه باسم السارق أو الكذاب .

ومما يجدي كثيرًا في عملية التربية : أن يكون للوالد مكتبةٌ منـــزلية ميسرة تحتوي على كتب ، وأشرطة ملائمة لسنهم ومداركهم ، وأن يقيم الوالد الحلقات العلمية

داخل المنـــزل ، وأن يجري المسابقات الثقافية بين أولاده .

ومما يجدي –أيضًا– أن يصطحب أولاده معه لمجالس الذكر ، ودروس العلم .

ومن الأمور المستحسنة في التربية الرحلةُ مع الأولاد ، إما إلى مكة المكرمة ، أو المدينة النبوية أو غيرهما من الأماكن المباحة ؛ فبذلك يُجمُّهُم ، ويشرح صدورهم ، ويكسبهم معارفَ جديدةً ، إلى غير ذلك من فوائد السفر التي لا تخفى .

ومن أنفع السبل المعينة على تربية الأولاد أن يربطهم بالسلف الصالح ، حتى يسيروا على خطاهم ، ويجدوا فيهم القدوة الحسنة .

ومما ينبغي مراعاته في عملية التربية عدم استعجال النتائج ؛ بل على الوالد أن يبذل مُستطاعَه ، ويستمر في تربيته ودعائه ؛ فلربما استجاب الولد بعد حين ، وادّكر بعد أمَّة .

وإذا رأى الوالدُ من ولده نفورًا أو تماديًا ؛ فعليه ألا ييأس من صلاحهم واستقامتهم ، فالنصحُ والتربيةُ النافعة يؤتيان أكلَهما بإذن الله ، فهما بمثابة البذر الذي يوضع في الأرض ، والله ﷻ يتولى رعايته ونماءه ، ﴿ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [1] .

فبسبب التربية الحسنة ، يستقيم الأولاد ، ويُقْصِرون عن التمادي في الباطل ، ويُعْذِرُ الإنسان إلى الله .

وكما أن برَّ الوالدين واجب بكلِّ حال فإن على الوالدين أن يعينا الأولاد على البر ، وأن يشجعاهم ، ويشكراهم ، بل على الوالدين أن يغضّا الطرف عن بعض ما يصدر من الأولاد ، وعليهما أن يتنازلا عن بعض حقوقهما ، خصوصا إذا رأيا من الولد إقبالًا على العلم ، وجِدًّا في الطلب ، ومصاحبةً للأخيار خصوصًا في بداية عمره ، فعلى الوالدين أن يشجعاه ، وأن يعذراه على بعض التقصير .

تقول أم سفيان الثوري لابنها سفيان : " يا بني ، اطلب العلم وأنا أكفيك

(١) سورة الواقعة آية : ٦٤ .

بمغزلي " .

فكانت تغزل وتبيع وتصرف على سفيان ، وتُفَرِّغه لطلَب العلم ، فأصبح الإمامَ المتبوعَ ، وأمير المؤمنين في الحديث مع أنه نشأ يتيمًا .

ومن الأمور المعينة على التربية استشارةُ من لديه خبرة بالتربية ، وقراءة الكتب المفيدة في التربية ، واستحضار فضلِ التربية في الدنيا والآخرة ، واستحضار عواقب الإهمال والتفريط .

وخلاصة القول في تربية الأولاد : أن يسعى الوالدُ في جلب ما ينفع الأولاد ، ودفع ما يضرُّهم في دينهم ودنياهم .

﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤ ﴾ [1] .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

(١) سورة الفرقان آية : ٧٣ – ٧٤ .

# ليلة القدر

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد :

فإن ليلةَ القدرِ ليلةٌ كثيرةُ الخيرِ ، شريفةُ القدرِ ، عميمةُ الفضلِ ، متنوِّعةُ البركات .

فمن بركاتها أنها أفضل من ألف شهر ، قال الله ﷻ ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾ [1] (القدر : ٣) .

أي أفضل من ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر .

ومن بركاتها أن القرآن العظيم أنزل فيها قال ﷻ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [2] (الدخان : ٣) .

ومن بركاتها أن من قامها إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدَّم من ذنبه ، كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

هذه بعضُ بركاتِ تلك الليلة ، وهي غيض من فيض من البركات التي خصَّ الله بها هذه الأمة ، فهي أمةٌ مباركةٌ ، وكتابُها كتابٌ مباركٌ ، ونبيها نبيٌّ مبارك .

والبركات التي أفاضها الله على هذه الأمة ببركة نبيها لا تعد ولا تحصى .

ومن ذلك أنه قد بورك لهذه الأمة في بكورها ، وبورك لها في أعمالها ، وعلومها ؛ فهي خير الأمم ، وأكرمها على الله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (فكل من استقرأ أحوال العالم وجد المسلمين أحدَّ وأسدَّ عقلًا ، وأنهم ينالون في المدة اليسيرة من حقائق العلوم والأعمال أضعافَ ما يناله غيرهم في قرون وأجيال) .

وقال في موضع آخر : (فهدى الله الناس ببركة نبوَّة محمد ﷺ وبما جاء به من

---

(١) سورة القدر آية : ٣ .

(٢) سورة الدخان آية : ٣ .

البيِّنات والهدى هدايةً جلَّت عن وصف الواصفين ، وفاقت معرفة العارفين ، حتى حصل لأمته –المؤمنين عمومًا ، ولأهل العلم منهم خصوصًا– من العلم النافع ، والعمل الصالح ، والأخلاق العظيمة ، والسنن المستقيمة ما لو جُمِعَتْ حكمةُ سائرِ الأمم علمًا وعملًا ، الخالصةُ من كلِّ شوبٍ إلى الحكمة التي بعث بها – لتَفَاوَتا تَفَاوُتًا يمنع معرفةَ قَدْرِ النسبة بينهما ؛ فلله الحمد كما يحب ربنا ويرضى ، ودلائل هذا وشواهده ليس هذا موضعها) انتهى كلامه .

والدرس المستفاد – معاشر الصائمين – من هذا المعنى أن نتعرَّض لتلك النفحات ، وأن نلتمس تلك البركات ، وذلك بالإيمان ، والعمل الصالح ، والإخلاص ، واتباع السنَّة ، واحتساب الأجر ، والبعد عن المعاصي .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

## سر الاعتكاف ومقصوده وآدابه

سر الاعتكاف ومقصوده وآدابه

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد :

فقد جاء في الصحيحين عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : ﴿ كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان ﴾ [1] .

ففي هذا الحديث دليلٌ على مشروعية الاعتكافِ ، وهو لزومُ مسجدٍ على وجهِ القربةِ من شخص مخصوص بصفة مخصوصة .

والاعتكافُ ليس بواجب ، وإنما هو نافلةٌ من النوافل .

قال ابنُ القيم رحمه الله مبينًا المقصود من الاعتكاف : (وشرع لهم الاعتكافُ الذي مقصودهُ وروحهُ عكوفُ القلبِ على الله – تعالى – وجَمْعِيَّتُهُ عليه ، والخلوةُ به عن

(١) البخاري الاعتكاف (١٩٢٨) ، مسلم الاعتكاف (١١٧٣) ، النسائي المساجد (٧٠٩) ، أبو داود الصوم (٢٤٦٤) ، ابن ماجه الصيام (١٧٧١) ، أحمد (٦/٨٤) .

الاشتغال بالخلق ، والاشتغَالُ به وحده سبحانه ؛ بحيث يصير ذكرُه ، وحبُّه ، والإقبالُ عليه في محلِّ هموم القلب ، وخطراتهِ ؛ فيستولي عليه بدلَها ، ويصير الهمُّ كلُّه به ، والخطراتُ كلُّها بذكره ، والتفكرُ في تحصيل مراضيه ، وما يُقرِّب منه ؛ فيصير أُنْسُهُ بالله بدلًا عن أنسه بالخلق ؛ فَيُعِدُّهُ بذلك لأُنسه به يومَ الوحشةِ في القبور حين لا أنيسَ لَه ، ولا ما يَفْرَحُ به سواه ؛ فهذا مقصودُ الاعتكافِ الأعظم) انتهى كلامه – رحمه الله – .

آداب الاعتكاف :

وهذه جملةٌ من الآداب يحسن بالمعتكفين مراعاتُها ، والأخذُ بها ؛ ليكون اعتكافُهم كاملًا مقبولًا بإذن الله .

أولًا : استحضارُ النيَّةِ الصالحةِ ، واحتسابُ الأجر على الله ﷻ .

ثانيًا : استشعارُ الحكمةِ من الاعتكاف ، وهي الانقطاع للعبادة ، وجَمْعِيَّةُ القلب على الله ﷻ .

ثالثًا : ألا يخرج المعتكفُ إلاَّ لحاجته التي لا بد منها .

رابعًا : المحافظةُ على أعمال اليوم والليلة من سنن وأذكار مطلقة ومقيَّدة ، كالسنن الرواتب ، وسنَّة الضحى ، وصلاة القيام ، وسنَّة الوضوء ، وأذكار طرفي النهار ، وأذكار أدبار الصلوات ، وإجابة المؤذن ، ونحو ذلك من الأمور التي يحسن بالمعتكف ألا يفوته شيء منها .

خامسًا : الحرصُ على الاستِيقاظ من النوم قبل الصلاة بوقتٍ كاف ، سواء كانت فريضة ، أو قيامًا ؛ لأجل أن يتهيأ المعتكف للصلاة ، ويأتِيَها بسكينة ووقار ، وخشوع .

سادسًا : الإكثار من النوافل عمومًا ، والانتقالُ من نوع إلى نوع آخر من العبادة ؛ لأجل ألا يدبَّ الفتور والملل إلى المعتكف ؛ فَيُمْضِيَ وقته بالصلاة تارة ، وبقراءة القرآن تارة ، وبالتسبيح تارة ، وبالتهليل تارة ، وبالتحميد تارة ، وبالتكبير تارة ، وبالدعاء تارة ، وبالاستغفار تارة ، وبالصلاة على النبي ﷺ تارة ، وبـــ : لا حول ولا قوة إلا بالله تارة ، وبالتدبُّر تارة ، وبالتفكُّر تارة ، وهكذا . . . .

سابعًا : اصطحاب بعض كتب أهل العلم ، وخصوصًا التفسير ؛ حتى يستعانَ به على تدبُّر القرآن .

ثامنًا : الإقلال من الطعام ، والكلام ، والمنام ؛ فذلك أدعى لرقَّة القلب ، وخشوع النفس ، وحفظ الوقت ، والبعد عن الإثم .

تاسعًا : الحرص على الطهارة طيلة وقت الاعتكاف .

عاشرًا : يحسن بالمعتكفين أن يتواصوا بالحق ، وبالصبر ، وبالنصيحة ، والتذكير ، وأن يتعاونوا على البر والتقوى ، والإيقاظ من النوم ، وأن يَقْبَل بعضُهم من بعض .

وبالجملة فليحرص المعتكف على تطبيق السنَّة ، والحرص على كل قربة ، والبعد عن كل ما يفسد اعتكافه ، أو ينقص ثوابه .

ملحوظات حول الاعتكاف :

أولًا : كثرةُ الزياراتِ وإطالتُها من قبل بعض الناس لبعض المعتكفين ، وينتجُ عن ذلك كثرةُ حديثٍ ، وإضاعةُ أوقات . ثانيًا : كثرةُ الاتِّصالات والمراسلات عبرَ الجوال بلا حاجة .

ثالثًا : المبالغةُ في إحضار الأطعمة ؛ وذلك يفضي إلى ثِقَلِ العبادة ، وإيذاءِ المصلين برائحة الطعام ؛ فالأولى للمعتكف أن يقتصد في ذلك .

رابعًا : كثرةُ النومِ ، والتثاقلُ عند الإيقاظ ، والإساءةُ لمن يوقِظُ من قبل بعض المعتكفين ، بدلًا من شكره ، والدعاء له .

خامسًا : إضاعةُ الفرصِ ؛ فبعضُ المعتكفين لا يبالي بما يفوته من الخير ، فتراه لا يتحرى أوقات إجابة الدعَاء ، ولا يحرص على اغتنام الأوقات ، بل ربما فاته بسبب النوم أو التكاسل بعضُ الركعاتِ أو الصلوات .

سادسًا : أن بعض الناس يشجع أولاده الصغار على الاعتكاف ، وهذا أمرٌ حسن ، ولكنْ قد يكون الأولادُ غيرَ متأدبين بأدب الاعتكاف ، فيحصل منهم أذية ، وإزعاج ، وجلبةٌ وكثرةُ مزاح وكلام ، وخروج من المسجد ، ونحو ذلك .

فإذا كان الأمر كذلك فبيوتهم أولى لهم .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم . . .

# رمضان شهر الحرية

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين المكين ، نبي الحريَّة ، وعدو العبوديَّة ، ومطهر العقول من أدران الوثنية ، وسائق ركب الإنسانية إلى السعادة الأبدية ، وعلى آله وصحبه أحلاف السيوف ، وقادة الزحوف ، وأئمة الصفوف ، وعلى التابعين لآثارهم في نصرة الدين إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإن رمضانَ شهرُ الحريَّةِ الحقَّة ، ومدرسةُ الأحرارِ الشرفاءِ بالمعنى الصحيح .

والحديث هاهنا سيدور حول هذا المعنى العظيم .

أيها الصائمون الكرام ، ليست الحريةُ كما توهمها أكثرُ الناسِ ، مقصورةً على حق الإنسان بالتصرُّف كيـــفما أراد ، وليست الحرية بالانطلاق وراء الشهوات ، وسائر الرغبات ؛ فتلك الفوضى أولًا ، والعبوديةُ الذليلةُ أخيرًا .

أما إنها فوضى ؛ فلأنه ليس في الدنيا حريَّةٌ مطلقةٌ غيرُ مقيّدةٍ بنظام ، بل كلُّ شيء في الدنيا له نظامٌ يُسيّره ، وحريةُ الفردِ لا تصان إلا إذا قُيّدت ببعض القيود ؛ لتسلم حرياتُ الآخريـــن .

وإنما تمامُ الحرية – لا كمالُها – قد يكون بالمنع أحيانًا ؛ فالمريضُ حين يُمنع عن الطعام الذي يضره هو حرٌّ لم يُنْتَقَصْ من حريته فتيلٌ ولا قطميرٌ ؛ فذلك المنع إنما هو منعٌ مؤقتٌ ؛ لتسلم له بعد ذلك حريتُه في تناول ما يشاء من الأغذية .

والمجرمُ تُحَدُّ حريتُه مؤقتًا ؛ ليعرف كيف يستعمل حريته بعد ذلك في إطار كريم ، لا يؤذي نفسه ، ولا يؤذي الآخرين .

ثم إن الإنسانَ مدنيٌّ بطبعه ؛ فلا يعيش وحده ، وإنما يعيش في مجتمعٍ متماسك يؤذيه كلُّه ما يؤذي بعضَه ، ومن هنا كانت الحريّةُ المطلقةُ فوضى .

أما كونُها عبوديةً ذليلةً فلأن تمامَ الحريةِ ألا يستعبدك أحدٌ ممن يساويك في الإنسانية ، أو يكون دونك فيها .

وفي الفوضى التي يعبر عنها الناسُ بالحرية الشخصية عبوديةٌ ذليلةٌ لمن هو مثلُك ، أو دونك من قيم الحياة المادية ؛ فحين تستولي على الإنسان عادةُ الانطلاق وراء كلِّ لذةٍ ، والانفلاتِ من كلِّ قيد يكون قد استعبدته اللذةُ على أوسع مدى ، فيصبح أسيرًا لها مُكَبَّلًا في أغلالها ، لا يجري في الحياة إلا لأجلها ، ولا يعمل إلا وَفْقَ ما تريد ؛ فهذه الحريةُ التي تنقلب إلى عبودية أهونُ ما في الحياة من قيمة ومعنى .

ولئن كانت قيمةُ الإنسان بمقدار ما يناله من لذائذه ، فإن الحيوانَ أكثرُ منه قيمة ، وأعلى قدرًا .

وحين ينطلق الإنسانُ وراء فتاةٍ يهواها ، أو وراءَ الغانيات يشبع بهن لذائذَه ، أيستطيع أن يزعم أنه حرٌّ من سلطانهن ؟ !! أو تراه أسيرَ اللحظات ، رهنَ الإشارةِ ، شاردَ اللبِّ ، مُعَنّى القلبِ أقصى أمانيه في الحياة بسمة من حبيبٍ هاجرٍ ، أو وصال من جسم ممتنع ؟ !

أيةُ عبوديةٍ أذلُّ من هذه العبودية ، وهو لا يملك زِمامَ نفسِه ، ولا حريّةَ قلبِه ؛ فلا يتحكَّم في حبه ولا بغضه ، ولا رضاه ، ولا غضبه ؟ !

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (فإنَّ أسْرَ القلبِ أعظمُ من أسر البدن ، واستعبادَ القلب أعظمُ من استعباد البدن ؛ فإن من استُعْبِد بدنُه ، واستُرِقّ وأُسِر لا يبالي إذا كانَ قلبُه مستريحًا من ذلك مطمئنًّا ، بل يمكنه الاحتيالُ في الخلاص ؛ وأما إذا كان القلب – الذي هو مَلِك الجسم – رقيقًا مستعبدًا متيَّمًا لغير الله ؛ فهذا هو الذلُّ ، والأسرُ المَحْضُ ، والعبوديةُ الذليلة لما استعْبَدَ القلبَ .

وعبوديةُ القلب ، وأسرُه هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب ؛ فإن المسلمَ لو أسره كافرٌ أو استرقّه فاجرٌ بغير حق ؛ لم يضرَّه ذلك إذا كان قائمًا بما يقدر عليه من الواجبات ، ومن استُعْبِد بحق إذا أدّى حقَّ الله وحقَّ مواليه فله أجران ، ولو أُكره على التكلّم بالكفر وقلبه مطمئن بالإيمان لم يضرَّه ذلك .

وأما من استُعْبِد قلبُه ، فصار عبدًا لغير الله ، فهذا يضره ، ذلك ولو كان في

الظاهر ملكَ الناس ؛ فالحريةُ حريةُ القلب ، والعبوديةُ عبودية القلب ، كما أن الغنى غنى النفس .

قال النبي ﷺ ﴿ ليس الغنى عن كثرة العرض ؛ وإنما الغنى غنى القلب ﴾ [1] . ا هـ .

أيها الصائمون الكرام! وحين يسترسل الإنسان في تناول المسكرات والمخدرات يعبُّ منها ما تناله يده ؛ حتى تتلف أعصابه وصحته ، وتسلبه عقلَه وكرامتَه ، أيزعم بعد ذلك أنه حر ؟ ! أيوجد أبشعَ من هذه العبودية لشراب قاتل ، وسموم فتاكة ؟ !

وقل مثل ذلك في التهالك على المال والجاه ، إن ذلك حين يستولي على قلب الإنسان ونفسه ينقلب إلى عبودية ذليلة ، وكلُّ هوًى يتمكَّن من النفس حتى تكون له السيطرة على الأعمال والسلوك يفضي بصاحبه إلى عبودية ذليلة مقيتة لا نهاية لقبحها .

ومن أعجب أساليب القرآن تعبيرُه عن مثل هذه الحالة بقوله : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [2] (الجاثـــية : من الآية ٢٣) . فليست العبودية الذليلة – إذًا – قيدًا ولا سجنًا فحسب ، فهذه أيسرُ أنواع العبودية ، وأسرعُها زوالًا .

ولكن العبوديةَ الذليلةَ عادةٌ سيئةٌ تتحكم ، وشهوة عارمة تستعلي ، ولذةٌ محرمةٌ تُطاع .

وليست الحريةُ هي القدرة على الانتقال من بلد إلى بلد آخر ، فتلك أيسرُ أنواعِ الحرية ، وأقلُّها ثمنًا ؛ ولكن الحريةَ الحقَّة : أن تستطيعَ السيطرةَ على أهوائـــك ونوازع الشر في نفسك ، والحريّة الحقَّة ألا تستعبدَك عادةٌ ، ولا تَستذِلَّك شهوةٌ .

---

(١) البخاري الرقاق (٦٠٨١) ، مسلم الزكاة (١٠٥١) ، الترمذي الزهد (٢٣٧٣) ، ابن ماجه الزهد (٤١٣٧) ، أحمد (٢/٥٣٩) .

(٢) سورة الجاثية آية : ٢٣ .

وبهذا المعنى كان المؤمنون – حقًّا – هم أهلُ الحرية الحقَّة ؛ فعبوديتهم لله ، تحررهم من كل عبودية ، وإخلاصُهم لله ، يَصْرِفُ عنهم كلَّ ذِلَّةٍ وتبعيَّة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (من أراد السعادة الأبدية ؛ فليلزم عتبةُ العبودية) .

وقال رحمه الله : (وإذا كان العبدُ مخلصًا لله اجتباه ربه ، فأحيا قلبه ، واجتذبه إليـــه ، فينصرف عنه السوء والفحشاء ، ويخاف من ضد ذلك ، بخلاف القلب الذي لم يخلصْ لله ، فإن فيه طلبًا ، وإرادةً ، وحبًّا مطلقًا ، فيهوى كلَّ ما يسنح له ، ويتشبث بما يهواه ؛ كالغصن أيُّ نسيم مرَّ به عَطَفه وأماله ؛ فتارة تجتذبه الصورُ المحرمةُ ؛ فيبقى أسيرًا عبدًا لمن لو اتخذهُ هو عبدًا لكان ذلك عيبًا ، ونقصًا ، وذمًّا .

وتارة يجتذبه الشرفُ ، والرئاسةُ ، فترضيه الكلمةُ ، وتغضبه الكلمةُ ، ويستعبده مَنْ يثني عليه ولو بالباطل ، ويعادي مَنْ يذمه ولو بالحق .

وتارة يستعبده الدرهمُ والدينارُ ، وأمثالُ ذلك من الأمور التي تستعبد القلوبَ ، والقلوبُ تهواها ؛ فيتخذُ إلهَه هواه ، ويتبعُه بغير هدى من الله .

ومن لم يكن خالصًا لله عبدًا له ، قد صار قلبُه مُعَبَّدًا لربه وحده لا شريك له ، بحيث يكون هو أحبَّ إليه مما سواه ، ويكون ذليلًا له ، خاضعًا ، وإلا استعبدته الكائناتُ ، واستولت على قلبه الشياطينُ ، وصار فيه من السوء ، والفحشاء ما لا يعلمه إلا اللهُ ، وهذا أمرٌ ضروريٌّ لا حيلةَ فيه) . ا هـــ .

وهكذا يتبيَّن لنا أن المؤمنين الذين يخضعون لأمر الله ونهيه هم أكملُ الناس ، وأعقلُهم ، وأسعدُهم ، وهم في الوقت نفسه أكثر الناس حريَّة ؛ فخضوعهم لله حرَّرهم حتى من أنفسهـــم .

أيها الصائمون الكرام ، بهذا المعنى الدقيق نستقبل رمضان على أنه شهر الحرية ، وعلى أن الصيام مدرسةٌ لتخريج الأحرار بالمعنى العلمي الصحيح .

في رمضانَ جوعٌ وعطشٌ ، وفيه قيدٌ وحرمانٌ ، ولكنه يمنحنا الصحةَ ، ويحررنا من

العبوديـــة ؛ يحررنا من عبودية الطعام ، والشراب ، وعبودية العادة ، والحياة المملة .

في رمضانَ امتناعٌ عن اللذة اختيارًا ، وهذه هي الحريةُ ؛ فحرية الإرادة أن تعمل وفق ما يمليه عليك دينُك ، ووازع عقلك ، لا ما تمليه عليك عاطفتك وشهوتك ؛ فأنت – إذًا – قوي الإرادة ، ضعيفُ الهوى ، تضبط ميولَك بإحكام عقلك .

ومن اتَّصف بهذا كان جديرًا بالنصر في كل معركة يخوضهـــا ، وما قصة طالوت لما فصـــل بالجنـــود عنا ببعيـــد ، قـــال – تعالى – ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ ۚ ﴾ [1] (البقرة : من الآية ٢٤٩) .

فانظر كيف هزموا عدوهم بعد أن هزموا شهواتهم!! .

أيها الصائمون الكرام ، في رمضان عبودية كاملة ، وهذه هي الحريَّة الكاملة ؛ فأكثر الناس حريَّة أشدهم لله عبوديـــة .

في رمضان امتناع عن كل خلق رذيل ، وقول ذميم ، ومقالة ذميمة ؛ فما أحلى هذه الحريـــة ؛ فأنت في الخلق الكريم حرٌّ فلا تهان ، ولا تُنْتَقَصُ في قدر ولا جاه ، وأنت في القول الكريم حُرٌّ فلا تُضْطَرُّ إلى اعتذار ، ولا تتعرضُ لملامة ، ولا يملأ نفسَك ندمٌ .

وأنت في المعاملة الكريمة حرٌّ ؛ فلا تلوكك الألسنُ ، ولا تتحدث عن خيانتك المجالسُ ، ولا تعلّق بذمتك الشهواتُ .

أيها الصائم الكريم هذا هو رمضان ؛ يعلمنا الحرية بأجمل معانيها في جوعه ، وعطشه ، وقيوده ، وحرمانه ، أفلست تعشق هذه الحرية التي تنطلق من الجوع والحرمان ؟ ! .

لا إخالك إلا كذلك ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٤٩ .

## رمضان شهر الحرية

الحمد لله ، الذي شرح صدور المؤمنين للإيمان ، وحرَّرهم من عبودية الأصنام والأوثان ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ما تعاقب الملَوَان ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان ، أما بعد :

فقد كان الحديث بالأمس عن الحرية الحقّة ، وعن أثر الصيام في بثها في نفوس الصائمين ، ومرَّ بنا كيف تكون حال الإنسان إذا هو أطلق لنفسه باب الحرية ، واستعبدته الشهوات ، وسائر الرغبات .

وإذا أردت أيها الصائمُ الكريمُ مثالًا يثبِّتُ فؤادَك ، ويدُلُّك على أن الحرية المطلقة شؤمٌ وبلاءٌ على أصحابها – فانظر إلى حال المجتمعات الكافرة المعاصرة ؛ فها هي قد فتحت أبواب الحرية على مصاريعها ، فلم يَعُدْ يردَعُها دينٌ ، أو يزمُّها ورعٌ ، أو يحميها حياءٌ ؛ فمن كفرٍ وإلحادٍ ، إلى مجون وخلاعة وإباحية مطلقة ، ومن خمور ومخدرات إلى زنا ولواط وشذوذ بكافة أنواعه ، مما يخطر بالبال ومما لا يخطر ؛ فكيف تعيش تلك الأمم ، وهل وصلت للسعادة المنشودة ؟ !

والجواب : لا ؛ فما زادهم ذلك إلا شقاءً وحسرةً ؛ فسنة الله ﷻ في الأمم هي سنته في الأفراد ؛ فمتى أعرضت عن دينه القويم ، وتنكبت صراطه المستقيم أصابها ما أصابها بقدر بعدها وإعراضها .

ولهذا تعيش تلك الأمم حياةً شقيةً تعيسةً صعبةً معقَّدةً ؛ حيث يشيع فيها القلق والاضطراب ، والتفكُّك ، والقتل ، والسرقة ، والشذوذ ، والاغتصاب ، والمخدرات ، وأمراض الجنس ، وتُفقد فيها الطمأنينةُ ، والراحةُ ، والمحبةُ ، والصلةُ ، والتعاطفُ ، والتكافلُ إلى غير ذلك من المعاني الجميلة .

قال الله – تعالى – : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ

ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [1] (طـــه : ١٢٤) .

كيف تسعد تلك الأمم وفي داخل كلِّ إنسانٍ منها أسئلةٌ محيرة ؟ مَنْ خَلَق الحياةَ ؟ وما بدايتُها ؟ وما نهايتُها ؟ وما سرُّ تلك الروح التي لو خرجت لأصبح الإنسان جمادًا ؟ !

إن هذه الأسئلة قد تهدأُ في بعض الأحيان ؛ بسبب مشاغل الحياة ، ولكنها لا تلبثُ أ ن تعودَ مرةً أخرى .

وكيف تسعدُ تلك الأممُ وهي تعيشُ بلا دينٍ يزكي نفوسَها ، ويضبط عواطفَها ، ويَرْدَعُها عن التمادي في باطلها ، ويسدُّ جوعتَها بالتوجه إلى فاطرها ؟ !

إن الكنيسة بتعاليمها المحرفةِ لا تستطيع أن تجيب عن الأسئلة الماضية بدقة ووضوح ، ولا تملك منهجًا يزكي النفوس ، ويقنع العقول ، وتسير عليه أمور الناس بانتظام .

ولقد زاد هذا الأمرُ ضراوةً بعد أن تراجعت الكنيسةُ أمام ضربات الإلحاد ؛ فما أغنت تلك الحريةُ المزعومةُ ، والإباحيةُ المطلقةُ عن تلك المجتمعات فتيلًا ، أو قطميرًا ، ولا جلبت لها السعادة الحقّةَ ، ولا الحياة الكريمةَ ؛ ولهذا فإن الناس هناك يبحثون عمّا يريحهم من هذا العناء والشقاء ؛ فمنهم من يلجأ إلى المخدرات والمهدئات التي تضاعف البلاء ، وتزيد في الشقاء .

ومنهم من يروي غليلَه بالشذوذ الجنسي ؛ حتى يفقد إنسانيته ، ويلتحق بالأنعام في حياتها السافلةِ ، ويفقد مع ذلك صحته وسعادته ، ويكون عرضةً للإصابة بأمراض الشذوذ المتنوِّعـــة ، وما يصاحبها من ضيق وتكدُّر .

ومنهم من يروي غُلَّته بالسطو ، والسرقة ، حتى إن الناس هناك لا يكادون يأمنون على أموالهم وممتلكاتهم ، بل لقد أصبحت السرقة تعتمد على الدراسة ،

---

(١) سورة طه آية : ١٢٤ .

والتكنولوجيـــا الحديثـــة المجهزةِ بأحدث الوسائل والأساليب القائمة على أحدث المبتكرات ، والتخطيط لكل عملية سطو .

وبعضُ أولئك يسلك طريقَ القتل ؛ ليتشفّى من المجتمع ، ويطفئَ نار الحقد المتَّقِدَةَ في صدره ، فتراه يتحيَّن الفرص ، وينتهز الغِرّة ، ليهجم على ضحية يفقدها الحياة ، ثم يبحث عن ضحية أخرى .

بل لقد أصبح القتل عند بعضهم متعةً ، ونوعًا من اللذة ، وكثيرًا ما يكون لأتفه الأسباب ، حتى إن الواحد قد يقتل أقرب الأقربين إليه .

ومنهم مَنْ يبلغ به الشقاءُ والهمُّ غايتَه ؛ فلا يجد ما يسعده ، أو يريحه من همومه ، وغمومه ، ولا يرى ما ينفِّس به كربتَه ، أو يعينه على تحمل أعباء حياته ؛ فيلجأ حينئذ إلى الانتحار ، رغبة في التخلُّص من الحياة بالكُلِّيَّة .

ولقد أصبح الانتحار سمةً بارزةً في تلك المجتمعات ، وصارت نسبته تتزايد ، وتهدد الحضارة الغربية بأكملها .

ولقد أقلق كثرةُ الانتحار علماءَ الاجتماع في تلك البلاد ؛ حيث أصبح عددُ المنتحرين يفوق عددَ القتلى في الحروب ، وفي حوادث السيارات .

أما طرق الانتحار : فتأخذ أساليبَ متنوعةً ، فهذا ينتحر بالغَرَق ، وذاك بالحَرْق ، وهذا بابتلاع السموم ، وذاك بالشنق ، وهذا بإطلاق الرصاص على نفسه ، وذاك بالتردِّي من شاهق ، وهكذا . . .

أما أسباب الانتحار : فمعظمُها تافهةٌ حقيرةٌ ، لا تستدعي سوى التغافل ، وغض الطّرف عنها ؛ فهذا ينتحر بسبب الإخفاق في امتحان الدراسة أو الوظيفة ، وذاك بسبب وفاة المطرب الذي يحبه ، أو هزيمة الفريق الذي يميل إليه ، وهـــذا ينتحر بسبب وفـــاة عشيقتـــه ، وهذه تنتحر بسبب تخلي عشيقها عنها ، بل ومنهم من انتحر بسبب وفاة كلبـــه!!

بل ومنهم من ينتحر بلا سبب ظاهر ، ويبقى السبب الأول للانتحار ؛ وهو الكفر

بالله ، وما يستَتْبِعُه من الضَّنْك ، والشدّة ، وقلة التفكير في المصير .

والغريب في الأمر أن نسبةً كبيرةً من المنتحرين ليسوا من الفقراء حتى يقال : إنهم انتحروا لقلة ذات اليد ؛ وإنما هم من الطبقات المُغْرِقة في النعيم ، البعيدة الصيت والشهرة ، الرفيعة في الجاه والمنصب ؛ بل وينتشر الانتحار في طبقات الأطباء ، والمثقفين ، ومما يلفت النظر أن أشدَّ هذه البلاد تحلُّلًا وإباحية هي أكثرها انتحارًا .

ومن الأشياء التي استحدثوها للتّخفيف من الانتحارات المتزايدة – إنشاء مركز يتلقى مكالمات المُقْدِمين على الانتحار ، أو من لديهم مشكلة عاطفية ، أو الذين يعانون من ضيق الصدر .

والعجيب في الأمر أن يكون للانتحار مؤيدون وأنصار ؛ حيث تكوَّنت في بريطانيا جمعيةٌ للمنتحرين ، وأصدرت كُتيّبًا ، وأَخَذَتْ توزِّعه على أعضائها الذين يحبذون ، ويؤيدون حقَّ المرضى بالانتحار عندما يتألمون ، وعندما يقرر الطبيب أن حالتهم ميؤوس منها!! .

وقد نصّ الكُتَيِّبُ على الوسائل السريعة وغير المؤلمة التي يمكن أن تساعد السّاعين إلى الانتحار على تنفيذ رغبتهم!

فلماذا ينتحر هؤلاء ؟ ولماذا يستبدُّ بهم الألم ، ويذهب بهم كل مذهب مع أن أبواب الحرية مفتوحة لهم على مصاريعها ؟

والجواب : أنهم فقدوا ينبوعَ السعادة ، وسببَها الأعظمَ ؛ ألا وهو الإيمان بالله ﷻ فلم تُغْنِ عنهم حريتُهم شيئًا ، ولم يجدوا ما يطفئ لَفْح الحياة ، وهجيرَها ، وصخبَها ، فلا يكادون يحتملون أدنى مصيبة تنـــزل بهم .

تُرَى! لو كانت قلوبُ أولئك مطمئنةً بالإيمان أتكون حالهم هكذا ؟ ولو كانوا مسلمين يؤدون الصيام على الوجه المطلوب أتكون نفوسهم ضعيفة إلى هذا الحد ؟

أيها الصائمون الكرام ، هذه هي حال الأمم إذا هي أبعدت عن هداية الإسلام ، وأطلقت لنفسها الحرية المطلقة .

ومع ذلك تراهم يصدِّرون إليها تعاستهم ، وشقاءهم ؛ فهل اطلع على تلك الحال المزرية مَنْ يريدون أن تكون بلاد الإسلام كتلك البلاد تهتكًا ، وتوقُّحًا ، ودعارة وفسادًا ؟ !

وهل يريدون أن يكون مصير بلاد الإسلام كذلك المصير ؟ !

إن كانوا لم يطلعوا ؛ فتلك مصيبة ، وإن كانوا مطلعين فالمصيبة أعظم .

وهكذا يتبيَّن لنا أثرُ الصيام في منح الحرية الحقّة .

اللهم إننا نسألك حبك ، وحبَّ من يحبك ، وحبَّ العمل الذي يقربنا إلى حبك ، اللهم زدنا عبودية لك ، وحرية مما سواك ، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد .

# في السحور بركة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على خير خلق الله ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد :

فقد جاء في الحديث المتَّفقِ عليه أن النبي ﷺ قال : ﴿ تسحروا ؛ فإن في السحور بركة ﴾ [1] .

ففي هذا الحديث أمرٌ بالتسحر ، وهو الأكل والشرب وقت السحر ؛ استعدادًا للصيام ، وذكرٌ للحكمة من ذلك وهي حلولُ البركة .

والبركة – معاشر الصائمين – هي نزولُ الخيرِ الإلهي في الشيء ، وثبوتُه فيه .

والبركة كذلك تعني الزيادة في الخير والأجر ، وكلِّ ما يحتاجه العبد من منافع الدنيا والآخرة .

والبركةُ إنما تكون من الله ، ولا تنال إلا بطاعته ﷻ .

ومما يلحظ على بعض الصائمين أنه لا يأبه بوجبة السحور ، ولا بتأخيرها ؛ فربما تركها البتّة ، وربما تناول الطعام في منتصف الليل ، أو قبل أن ينام ، إما لخوفه من عدم القيام ، أو لرغبته في النوم فترة أطول ، أو لقلة مبالاته بالسحور وبركاته ، أو لجهله بذلك .

وهذا خلل ينبغي للصائم تلافيه ؛ لما فيه من مخالفة السنة ، وحرمان بركات السحور .

فَحَرِيٌّ بالصائم أن يتسحَّر ، وأن يؤخر سحوره إلى ما قبيل الفجر ، ولو كان السحور قليلًا ؛ لما في ذلك من الخيرات والبركات العظيمة .

من بركات السحور :

---

(١) البخاري الصوم (١٨٢٣) ، مسلم الصيام (١٠٩٥) ، الترمذي الصوم (٧٠٨) ، النسائي الصيام (٢١٤٦) ، ابن ماجه الصيام (١٦٩٢) ، أحمد (٣/٩٩) ، الدارمي الصوم (١٦٩٦) .

من ذلك أنه استجابة لأمر الرسول ﷺ حيث قال في الحديث المتَّفق عليه : ﴿ تسحروا ؛ فإن في السحور بركة ﴾ [1] .

وكفى بذلك فضلًا وشرفًا ، قال الله – تعالى – : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾ [2] (النساء : من الآية ٨٠) .

وقال : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [3] (الأحزاب : من الآية ٧١) .

ومن بركاته أنه شعار المسلمين ، وأن فيه مخالفةً لأهل الكتاب ، قال النبي ﷺ فيما رواه مسلم ﴿ فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلةُ السحر ﴾ [4] .

ومن ذلك حصولُ الخيريةِ ، والمحافظةُ عليها ؛ فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ﴿ لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور ﴾ [5] رواه البخاري ومسلم .

ومن بركات السحور أن فيه تقويةً على الطاعة ، وإعانةً على العبادة ، وزيادةً في النشاط والعمل ؛ ذلكم أن الجائعَ الظامئَ يعتريه الفتور ، ويَدِبُّ إليه الكسل .

ومن بركات السحور حصولُ الصلاةِ من الله وملائكته على المتسحِّرين ، فعن ابن عمر – رضي الله عنهما – مرفوعًا : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على

---

(١) البخاري الصوم (١٨٢٣) ، مسلم الصيام (١٠٩٥) ، الترمذي الصوم (٧٠٨) ، النسائي الصيام (٢١٤٦) ، ابن ماجه الصيام (١٦٩٢) ، أحمد (٩٩/٣) ، الدارمي الصوم (١٦٩٦) .

(٢) سورة النساء آية : ٨٠ .

(٣) سورة الأحزاب آية : ٧١ .

(٤) مسلم الصيام (١٠٩٦) ، الترمذي الصوم (٧٠٩) ، النسائي الصيام (٢١٦٦) ، أبو داود الصوم (٢٣٤٣) ، أحمد (٢٠٢/٤) ، الدارمي الصوم (١٦٩٧) .

(٥) البخاري الصوم (١٨٥٦) ، مسلم الصيام (١٠٩٨) ، الترمذي الصوم (٦٩٩) ، ابن ماجه الصيام (١٦٩٧) ، أحمد (٣٣٧/٥) ، مالك الصيام (٦٣٨) ، الدارمي الصوم (١٦٩٩) .

المتسحِّرين ﴾ [1] رواه ابن حبان ، والطبراني في الأوسط ، وحسنه الألباني . ومن بركات السحور أن فيه مدافعةً لسوء الخلق الذي قد ينشأ عن الجوع .

ومن بركاته أن وقت السحور وقت مبارك ؛ فهو وقت النزول الإلهي – كما يليق بجلال الله وعظمته – قال النبي ﷺ ﴿ ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الآخر ؛ فيقول : من يدعوني فأستجيبَ له ، من يسألني فأعطيَه ، من يستغفرُني فأغفرَ له ﴾ [2] رواه البخاري .

ومن ذلك أن وقتَ السحرِ من أفضل أوقات الاستغفار إن لم يكن أفضلَها ، كيف وقد أثنى الله ﷻ على المستغفرين في ذلك الوقت بقوله : ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [3] (آل عمران : من الآية ١٧) . وقوله : ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [4] (الذاريات : ١٨) .

فالقيام للسحور سببٌ لإدراك هذه الفضيلة ، ونيلِ بركات الاستغفار المتعدِّدة .

ومن بركات السحور أنه أضمن لإجابة المؤذن بصلاة الفجر ؛ ولا يخفى ما في ذلك من الأجر ، وأنه أضمن لإدراك صلاة الفجر في وقتها مع الجماعة .

ومن بركات السحور أن تناولَه – في حد ذاته – عبادةٌ إذا نَوَى بها التَّقَوِّيَ على طاعة الله ، والمتابعةَ للرسول ﷺ .

ومن ذلك أن الصائم إذا تسحَّر لا يملُّ إعادة الصيام ، بل يشتاق إليه ، خلافًا لمن

---

(١) أحمد (٣/١٢) .

(٢) البخاري التوحيد (٧٠٥٦) ، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٥٨) ، الترمذي الصلاة (٤٤٦) ، أبو داود الصلاة (١٣١٥) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٦٦) ، أحمد (٢/٢٦٧) ، مالك النداء للصلاة (٤٩٦) ، الدارمي الصلاة (١٤٧٨) .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٧ .

(٤) سورة الذاريات آية : ١٨ .

لا يتسحَّر ؛ فإنه يجد حرجًا ومشقةً يُثْقِلان عليه العودة إليه .

ومن بركات السحور أن الله – سبحانه – يطرحُ الخيرَ في عمل المتسحِّر ؛ فحريٌّ به أن يوفَّق لأعمال صالحة في ذلك اليوم ؛ فيجد انبعاثًا لأداء الفرائض ، والنوافل ، والإتيان بالأذكار ، والقيام بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ونحو ذلك .

بخلاف ما إذا ترك السحور ؛ فإن الصيام قد يثقله عن الأعمال الصالحة .

وبالجملة فإن بركاتِ السحورِ كثيرةٌ ، ولا يمكن الإتيانُ عليها أو حصرُها ؛ فلله في شرعه حكمٌ وأسرار تحار فيها العقول ، وقد لا تحيط منها إلا بأقل القليل ؛ فحريٌّ بنا أن نستحضر هذه المعاني العظيمة ، وأن نُذَكِّرَ إخواننا بها ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

## رمضان شهر الدعاء

الحمد لله مجيب الدعوات وكاشف الكربات ، والصلاة والسلام على أزكى البريات ، أما بعد :

فإن شأنَ الدعاء عظيم ، ونفْعَهُ عميم ، ومكانتَه عاليةٌ في الدين ، فما استُجْلِبت النعمُ بمثله ولا استُدْفِعت النِّقَمُ بمثله ، ذلك أنه يتضمَّن توحيد الله ، وإفراده بالعبادة دون من سواه ، وهذا رأس الأمر ، وأصل الدين .

وإن شهرَ رمضانَ لفرصةٌ سانحة ، ومناسبة كريمة مباركة يتقرَّب فيها العبد إلى ربه بسائر القربات ، وعلى رأسها الدعاء ؛ ذلكم أن مواطن الدعاء ، ومظانَّ الإجابة تكثر في هذا الشهر ؛ فلا غَرْوَ أن يُكْثِر المسلمون فيه من الدعاء .

ولعل هذا هو السر في ختم آيات الصيام بالحثّ على الدعاء ، حيث يقـــول ربنـــا ﷻ

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى

وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [1] (البقرة : ١٨٦) .

وإليكم – معاشر الصائمين – هذه الوقفات اليسيرة مع مفهوم الدعاء ، وفضله .

أيها الصائمون : الدعاء هو أن يطلبَ الداعي ما ينفعُه وما يكشف ضُرَّه ؛ وحقيقته إظهار الافتقار إلى الله ، والتبرؤ من الحول والقوة ، وهو سمةُ العبوديةِ ، واستشعارُ الذلةِ البشرية ، وفيه معنى الثناءِ على الله ﷻ وإضافةِ الجود والكرم إليه .

أما فضائلُ الدعاءِ ، وثمراتُه ، وأسرارُه – فلا تكاد تحصر ، فالدعاءُ طاعةٌ لله ، وامتثال لأمره قال الله ﷻ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [2] (غافر : من الآية ٦٠) .

والدعاء عبادة ، قال النبي ﷺ ﴿ الدعاء هو العبادة ﴾ [3] .

رواه الترمذي وقال : حسن صحيح ، ورواه ابن ماجه ، وصححه الألباني .

والدعاء سلامة من الكبر : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [4] (غافر : ٦٠) .

والدعاءُ أكرمُ شيءٍ على الله ، قال النبي ﷺ ﴿ ليس شيءٌ أكرم على الله ﷻ من الدعـــاء ﴾ [5] .

رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد ، وابن ماجه ، والترمذي والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي .

والدعاء سبب لدفع غضب الله ، قال النبي ﷺ ﴿ من لم يسألِ اللهَ يَغْضَبْ

---

(١) سورة البقرة آية : ١٨٦ .

(٢) سورة غافر آية : ٦٠ .

(٣) الترمذي تفسير القرآن (٢٩٦٩) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٢٨) .

(٤) سورة غافر آية : ٦٠ .

(٥) الترمذي الدعوات (٣٣٧٠) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٢٩) .

عليه ﴾ [1] .

أخرجه أحمدُ ، والترمذيُّ ، وابن ماجه ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي ، وحسنه الألباني .

والدعاء سبب لانشراح الصدر ، وتفريج الهم ، وزوال الغم ، وتيسير الأمور ، ولقد أحسن من قال :

علـــيَّ فمـــا ينفـــك أن يتفرّجـــا وإني لأدعـــو اللهَ والأمـــرُ ضـــيّقٌ

أصـــاب لـــه في دعـــوة اللهِ مَخْرَجـــا وربَّ فتًـــى ضـــاقتْ عليـــه وجوهُـــهُ

والدعاء دليل على التوكُّل على الله ، فسرُّ التوكلِ وحقيقتُه هو اعتمادُ القلبِ على الله ، وفعلُ الأسباب المأذون بها ، وأعظمُ ما يتجلَّى هذا المعنى حالَ الدعاء ؛ ذلك أن الداعيَ مستعينٌ بالله ، مفوضٌ أمرَهُ إليه وحده .

والدعاء وسيلة لكِبَرِ النفس ، وعلو الهمة ؛ ذلك أن الداعيَ يأوي إلى ركن شديدٍ ينـــزل به حاجاتِه ، ويستعين به في كافّة أموره ؛ وبهذا يتخلص مـــن أَسْر الخلق ، ورقِّهم ، ومنَّتِهم ، ويقطعُ الطمعَ عما في أيديهم ، وهذا هو عين عِزِّهِ ، وفلاحِه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (وكلّما قوي طمع العبد في فضل الله ، ورحمته ، لقضاء حاجته ودفع ضرورته ؛ قويت عبوديتُه له ، وحريته مما سواه ؛ فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديتَه له فَيأْسُهُ منه يوجب غنى قلبه) ا هـــ .

والدعاء سلامة من العجز ، ودليل على الكَياسة ، قال النبي ﷺ ﴿ أعجز الناس من عجز من الدعاء ، وأبخل الناس من بخل بالسلام ﴾ . رواه ابن حبان ، وصححه الألباني .

ومن فضائل الدعاء : أن ثمرته مضمونة – بإذن الله – قال النبي ﷺ ﴿ ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل ، أو كفّ عنه من سوء مثلَه ؛ ما لم يدع بإثم أو قطيعة

(١) الترمذي الدعوات (٣٣٧٣) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٢٧) .

رحم ﴾ [1] . رواه أحمد والترمذي ، وحسنه الألباني .

وقال ﷺ ﴿ ما من مؤمنٍ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لله يسأله مسألةً إلا أعطاه الله إياها ، إما عجّلها له في الدنيا ، وإما ذخرها له في الآخرة ، ما لم يعجل) قالوا : يا رسول الله وما عَجَلَتُه ؟ قال : (يقـــول : دعوت ودعوت ولا أراه يُستجاب لي ﴾ [2] . أخرجه أحمد ، والبخاري في الأدب المفرد ، وصححه الألباني .

ففي الحديثين السابقين وما في معناهما ؛ دليل على أن دعاء المسلم لا يُهمل ، بل يُعطى ما سأله إما مُعجلًا ، وإما مُؤجلًا .

قال ابن حجر رحمه الله : (كلُّ داعٍ يُستجاب له ، لكن تتنوع الإجابة ؛ فتارةً تقع بعين ما دعا به ، وتارةً بعِوَضِه) . ا هـــ .

قال بعضهم في وصف دعوة :

وربَّ ظلـــومٍ قـــد كُفِيـــتُ بحربـــهِ ... فَأَوقعَـــــه المقـــــدورُ أيَّ وقـــــوعِ
فَمـــا كـــان لي الإســـلامُ إلا تَعَبُّـــدًا ... وأدعـــــيةً لا تُتَّقـــى بـــــدروعِ
وحسبك أن ينجـــو الظلـــومُ وَخَلْفَـــهُ ... ســـهامُ دعـــاءٍ مـــن قِسِـــيِّ ركـــوعِ
مُرَيَّشـــةً بالهـــدب مـــن كـــل ســـاهر ... ومنهلـــــةً أطرافهـــــا بـــــدموع

ويقول :

ومـــا تـــدري بمـــا صـــنع الـــدعاءُ ... أهَـــــزأُ بالـــــدعاء وتزدريـــــه
لهـــا أَمَـــدٌ وللأمـــدِ انقضـــاءُ ... ســـهامُ الليـــل لا تخطـــي ولكـــن

شروط الدعاء :

أيها الصائمون الكرام : للدعاء شروطٌ عديدةٌ لا بد من توافرها ؛ كي يكون

---

(١) الترمذي الدعوات (٣٣٨١) ، أحمد (٣/٣٦٠) .

(٢) البخاري الدعوات (٥٩٨١) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٣٥) ، الترمذي الدعوات (٣٩٦٩) ، أبو داود الصلاة (١٤٨٤) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٥٣) ، أحمد (٢/٣٩٦) ، مالك النداء للصلاة (٤٩٥) .

الدعاء مستجابًا مقبولًا عند الله .

فمن أهم تلك الشروط : أن يكون الداعي عالمًا بأن الله وحده هو القادر على إجابة الدعاء ، وألا يدعو إلا الله وحده ؛ لأن دعاء غير الله شرك ، وأن يتوسّل إلى الله بأحد أنواع التوسُّل المشروعة كالتوسُّل إلى الله باسم من أسمائه ، أو صفة من صفاته ، أو أن يتوسَّل بصالح الأعمال ، أو بدعاء رجل صالح حيٍّ حاضر قادر .

ومن شروط الدعاء : تجنبُ الاستعجال ، والدعاءُ بالخير ، وحسنُ الظنِّ بالله ، وحضورُ القلب ، وإطابةُ المأكل ، وتجنُّبُ الاعتداءِ ، هذه هي شروط الدعاء على سبيل الإيجاز .

آداب الدعاء :

وهناك آداب يحسن توافرها : كي يكون الدعاء كاملًا ، ومنها الثناءُ على الله قبل الدعـــاء ، والصلاةُ على النبي ﷺ والإقرارُ بالذنب ، والاعترافُ بالخطيئة ، والتضرعُ ، والخشوعُ ، والرغبةُ ، والرهبةُ ، والجزمُ في الدعاءِ ، والعزمُ في المسألة ، والإلحاحُ بالدعاء ، والدعاءُ في كل الأحوال ، والدعاءُ ثلاثًا ، واستقبالُ القبلة ، ورفعُ الأيدي ، والسواكُ ، والوضوءُ ، واختيارُ الاسم المناسبِ أو الصفةِ المناسبةِ كأن يقول : يا رحمن ارحمني ، برحمتك أستغيث .

ومن آداب الدعاء : خفضُ الصوتِ ، وأن يتخيَّر الداعي جوامعَ الدعاء ، ومحاسنَ الكلامِ ، وأن يتجنَّب التكلُّفَ ، والسَجْعَ ، وأن يبدأ الداعي بنفسه ، وأن يدعو لإخوانه المسلمين .

هذه بعض آداب الدعاء على سبيل الإجمال ، والأدلة على ذلك مبسوطة في الكتاب والسنة ، والمجال لا يتَّسع للتفصيل ؛ فالإتيان بشروط الدعاء وآدابه من أعظم الأسباب الجالبة لإجابة الدعاء .

ومن الأسباب – أيضًا – : الإخلاص لله حالَ الدعاء ، وقُوةُ الرجاء ، وشدَّةُ التحرّي ، وانتظارُ الفَرَجِ ، والتوبةُ ، وردُّ المظالمِ ، والسلامةُ من الغفلة ، وكثرةُ

الأعمالِ الصالحةِ ، والأمرُ بالمعروفِ ، والنهيُ عن المنكر ، والتقرُّبُ إلى الله بالنوافل بعد الفرائض ، وبِرُّ الوالدين ، واغتنامُ الفُرصِ ، وذلك بتحري أوقات الإجابة ، واغتنامُ الأحوال ، والأوضاع ، والأماكن التي هي مظانُّ إجابة الدعاء .

مسألة تأَخّر الإجابة ، والحِكَم من وراء ذلك :

أيها الصائمون الكرام : إن من البلاء على المؤمن أن يدعو فلا يُجاب ؛ فيكرّر الدعاء ، ويلحَّ فيه ، وتطولَ المدة فلا يرى أثرًا للإجابة .

ومن هنا يجد الشيطان فرصته ؛ فيبدأ بالوسوسة للمؤمن ، وإيقاعه في الاعتراض على حكم الله ، وإساءته الظن به ﷻ .

فعلى من وقعت له تلك الحال ألا يلتفت إلى ما يلقيه الشيطان ؛ ذلك أن تأخر الإجابة مع المبالغة في الدعاء يحمل في طيّاته حِكَمًا باهرةً ، وأسرارًا بديعةً ، وفوائدَ جمةً ، لو تدبرها الداعي لما دار في خَلَدِه تضجُّر من تأخر الإجابة .

ومن تلك الحِكَم والأسرار والفوائد التي يحسن بالداعي أن يتدبرها ، ويجمل به أن يستحضرها ما يلي :

أولًا : أن تأخر الإجابة من البلاء ، كما أن سرعة الإجابة من البلاء – أيضًا – قــال ﷻ

﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [1] (الأنبياء : من الآية ٣٥) .

فالابتلاء بالخير يحتاجُ إلى شكر ، والابتلاءُ بالشر يحتاج إلى صبر ؛ فإياك أن تستطيل البلاء ، وَتَضْجَرَ من كثرة الدعاء ؛ فإنك ممتحنٌ بالبلاء متعبَّدٌ بالصبر والدعاء ؛ فلا تيأسنّ من رَوْح الله وإن طال البلاء .

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : (أصبحت وما لي سرورٌ إلا في انتظارِ مواقعِ القدرِ ، إن تكنِ السراءُ فعندي الشكرُ ، وإن تكن الضراءُ فعندي الصبرُ) .

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٣٥ .

ثانيًا : من حكم تأخر إجابة الدعاء : أن يستحضر الإنسان أن الله هو مالك الملك ، فله التصرُّف المطلق ، بالعطاء والمنع ؛ فلا رادّ لفضله ، ولا مُعقّب لحكمه ، ولا اعتراض على عطائه ومنعه ، إن أعطى فبفضل ، وإن منع فبعدل ؛ فلا حقّ – إذًا – للمخلوق المربوب على الخالق الرب ﷻ .

ثالثًا : أن الله ﷻ له الحكمة البالغة ؛ فلا يعطي إلا لحكمة ، ولا يمنع إلا لحكمة ، وقد يرى الإنسان أن في ذلك الشيء مصلحةً ظاهرةً ؛ ولكن الحكمةَ لا تقتضيه ، فقد يخفى في الحكمة فيما يفعله الطبيب من أشياء تؤذي في الظاهر ويُقْصَد بها المصلحة ، فلعل هذا من ذاك ، بل أعظم ؛ فقد يكون تأخرُ الإجابة ، أو منعُها هو عين المصلحة .

رابعًا : قد يكون في تحقُّق المطلوب زيادةٌ في الشر ، فربما تحقق للداعي مطلوبُه ، وأجيب له سؤلُه ؛ فكان ذلك سببًا في زيادةِ إثمٍ ، أو تأخيرٍ عن مرتبةٍ ، أو كان ذلك حاملا على الأشَر والبَطر ، فكان التأخير أو المنع أصلح .

وقد روي عن بعض السلف أنه كان يسأل الغزو ؛ فهتف به هاتف : إنك إن غزوت أُسرت ، وإن أُسرت تنصّرت .

قال ابن القيم رحمه الله : (فقضاؤه لعبده المؤمن عطاءٌ ، وإن كان في صورة المنع ، ونِعْمَةٌ وإن كان في صورة محنة ، وبلاؤه عافية ، وإن كان في صورة بلية .

وَلَكنْ لجهل العبدِ ، وظلمِه لا يَعُدُّ العطاءَ والنعمةَ والعافيةَ إلا ما التذّ به في العاجل ، وكان ملائمًا لطبعه .

ولو رزق من المعرفة حظًّا وافرًا ؛ لعد المنعَ نعمةً والبلاءَ رَحمةً ، وتلذّذ بالبلاء أكثرَ من لذته بالعافية ، وتلذّذ بالفقر أكثرَ من لذته بالغنى ، وكان في حال القِلّةِ أعظمَ شكرًا من حال الكثرة . ) ا هـ .

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله : (ولهذا من لطف الله ﷻ لعبده أنه ربما طمحت نفسُه لسبب من الأسباب الدنيوية التي يظُن بها إدراكَ بُغْيتِهِ ، فيعلم أنها تضرّه ، وتصدّه عما ينفعه ؛ فيحول بينه وبينها ، فيظل العبد كارهًا ، ولم يَدْرِ أن ربه

قد لَطَفَ به ؛ حيث أبقى له الأمر النافع ، وصرف عنه الأمر الضار) .

خامسًا : الدخول في زمرة المحبوبين لله ﷻ فالذين يدعون ربهم ، ويُبْتَلَون بتأخر الإجابة عنهم – يدخلون في زمرة المحبوبين المشرَّفين بمحبة الله ؛ فهو ﷻ إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم ، قال النبي ﷺ ﴿ إن عِظمَ الجزاءِ مع عِظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السَّخط ﴾ [1] أخرجه الترمذي وابن ماجه ، وحسنه الترمذي والألباني .

سادسًا : أن اختيارَ اللهِ للعبد خيرٌ من اختيار العبد لنفسه ، وهذا سر بديع يحسن بالعبد أن يتفطَّن له حال دعائه لربه ؛ فهذا يريحه من الأفكار المتعبة في أنواع الاختيارات ، ويُفْرِغُ قَلْبَهُ من التقديرات والتدبيرات التي يصعد منها في عَقَبَة وينـــزل في أخرى .

وإذا فوّض العبد أمره إلى ربه ، ورضي بما يختاره له – أمدّه الله بالقوة ، والعزيمة ، والصبـــر ، وصرف عنه الآفات التي هي عرضةُ اختيارِ العبدِ لنفسه ، وأراه من حسن العاقبة ما لم يكن ليصلَ إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه .

سابعًا : أن المكروه قد يأتي بالمحبوب ، والعكس بالعكس ؛ بل إن عامةَ مصالحِ النفوس في مكروهاتها ، كما أن عامَّةَ مضارِّها وأسباب هلكتها في محبوباتها قال ﷻ – : ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩ ﴾ [2] (النساء : من الآية ١٩) .

قال سفيان بن عيينة رحمه الله : (ما يكرهُ العبدُ خيرٌ له مما يحب ؛ لأن ما يكرهه يُهَيِّجُه للدعاء ، وما يحبه يلهيه) .

ثامنًا : أن تأخر الإجابة سببٌ لِتَفَقُّدِ العبد لنفسه ؛ فقد يكون امتناعُ الإجابة أو

---

(١) الترمذي الزهد (٢٣٩٦) .

(٢) سورة النساء آية : ١٩ .

تأخرها لآفة في الداعي ؛ فربما كان في مطعومه شبهةٌ ، أو كان في قلبه وقتَ الدعاء غفلةٌ ، أو كان متلبسًا بذنوب مانعةٍ ؛ وبهذا ينبعث إلى المحاسبة ، والتوبة ، ولو عُجِّلَت له الإجابةُ لفاتته هذه الفائدة .

تاسعًا : قد تكون الدعوةُ مستجابةً دون علم الداعي ؛ لأن ثمرة الدعاء مضمونة – بإذن الله – قال النبي ﷺ ﴿ ما من مسلم يدعو ليس بإثم ولا بقطيعة رحم ؛ إلا أعطاه الله إحدى ثلاث : إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها) قيل : يا رسول الله ﷺ إذًا نكثر ؟ قال : (الله أكثر) ﴾ [1]

أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، وصححه الألباني .

إذا تقرر هذا ؛ فكيف يستبطئ الداعي الإجابة طالما أن الثمرةَ مضمونةٌ ، ولماذا لا يحسنُ العبدُ ظنَّه بربه ويقول : لعله استُجِيب لي ، وآتاني ربي إحدى هذه الثلاثِ من حيثُ لا أعلم ؟ ! .

عاشرًا : التمتُّع بطول المناجاة ، فكلما تأخرت الإجابة طالت المناجاة ، وحصلت اللذة ، وزاد القرب ، ولو عجلت الإجابة لربما فاتت تلك الثمرة .

قال سفيان الثوري رحمه الله : (لقد أنعم الله على عبد في حاجة أكثرَ من تضرعه إليه فيها) .

حاديَ عَشَرَ : تكميلُ مراتب العبودية ؛ فالله ﷻ يحب أولياءه ، ويريد أن يكمل لهم مراتب العبودية ؛ فيبتليهم بأنواع من البلاء ، ومنها تأخر إجابة الدعاء ؛ كي يترقّوا في مدارج الكمال ، ومراتب العبودية .

ومن تلك العبوديات العظيمة التي تحصل من جرّاء تأخر إجابة الدعاء – انتظار الفرج ، وقوةُ الرجاء ، وحصولُ الاضطرار ، والافتقارُ إلى الله ، والانكسارُ بين يدي جبار السماوات والأرض ، ومجاهدةُ الشيطان ومراغمتُه .

---

(١) الترمذي الدعوات (٣٥٧٣) ، أحمد (٣٢٩/٥) .

أيها الصائمون : هذه بعض الوقفات اليسيرة مع مفهوم الدعاء ، وفضله ، وثمراته ، وأسراره ، وبعض الحكمِ والأسرار والفوائدِ المتلمَّسةِ من جرّاء تأخر إجابة الدعاء ؛ فحريٌّ بالعبد أن يكثر من دعاء الله ، وبعد ذلك يدعُ التقديراتِ ، والتدبيراتِ للعليم الحكيم .

اللهم يسرنا لليسرى ، وجنبنا العسرى ، اللهم اختم بالصالحات أعمالنا ، واقرن بالعافية غدوَّنا وآصالنا ، اللهم انصر المجاهدين ، وفرِّج هم المهمومين ، ونفِّسْ كربَ المكروبين من المسلمين ، واقض الدَّين عن المدينين ، واشف مرضانا ومرضى المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلِّ اللهم وسلّم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

# رمضان شهر الذكر

الحمد لله الذي أمر بذكره ، ووعد الذاكرين بثوابه وجزيل فضله ، والصلاة والسلام على إمام الذاكرين ، وقدوة الناس أجمعين ، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فإن رمضانَ موسمُ الخيرات ، وميدان التنافس في القربات .

وإن ذكر الله ﷻ لمن أعظم ما يُتقرب به ، وأجلِّ ما يسابق ويتنافس عليه ؛ إذ هو المقصود الأعظم في مشروعية العبادات ؛ فما شرعت الصلاة إلا لإقامة ذكر الله ﴿ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾ [1] (طـــه : من الآية ١٤) .

ولا شُرِعَ الطوافُ بالبيت العتيق ، ولا رميُ الجمار ، ولا السعي بين الصفا والمروة ، إلا لإقامة ذكر الله ﷻ وهكذا بقية الأعمال الصالحة .

ونصوص الشرع متضافرةٌ متظاهرةٌ على فضل الذكر ، وعموم نفعه ، والثناء على أهله ، والحث على الإكثار منه .

قال – تبارك وتعالى – : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٤٢﴾ ﴾ [2] (الأحزاب : ٤١ –٤٢) . قال : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ [3] (آل عمران : من الآية ١٩١) .

وقال : ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [4] (الجمعة : من الآية ١٠) .

وقال : ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ

---

(١) سورة طه آية : ١٤ .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٤١ – ٤٢ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٩١ .

(٤) سورة الجمعة آية : ١٠ .

وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [1] (الأحزاب : من الآية ٣٥) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (مما هو كالإجماع بين العلماء بالله ، وأمره أن ملازمة ذكر الله دائمًا هو أفضل ما شغل به العبدُ نفْسَه في الجملة .

وعلى ذلك دلَّ حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم ﴿ (سبق المفَرِّدون) . قالوا : يا رسول الله ، ومن المفردون ؟ قال : (الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات) . ﴾ [2]

وفيما رواه أبو داود عن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ، ومن أن تلقوا عدوكم ، فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ؟ ) قالوا : بلى يا رسول الله . قال : (ذِكرُ الله) ﴾ [3]

والدلائل القرآنية ، والإيمانية بصرًا ، وخبرًا ، ونظرًا على ذلك كثيرة .

وأقل ذلك أن يلزم الإنسانُ الأذكارَ المأثورةَ عن معلم الخير ، وإمام المتقين ﷺ كالأذكار المؤقتة في أول النهار ، وآخره ، وعند أخذ المضجع ، وعند الاستيقاظ في المنام ، وأدبار الصلوات ، ودخول المنزل ، والمسجد ، والخلاء ، والخروج من ذلك ، وعند المطر ، والرعد وغير ذلك .

وقد صنفت له الكتب المسمَّاة بعمل اليوم والليلة .

ثم ملازمة الذكر مطلقًا ، وأفضله : (لا إله إلا الله) .

وقد تعرض أحوال يكون بقية الذكر مثل : (سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله أفضل منه) انتهى كلامه رحمه الله .

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٥ .

(٢) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٧٦) ، أحمد (٢/٤١١) .

(٣) الترمذي الدعوات (٣٣٧٧) ، ابن ماجه الأدب (٣٧٩٠) ، أحمد (٥/١٩٥) ، مالك النداء للصلاة (٤٩٠) .

معاشر الصائمين : فوائد الذكر لا تكاد تحصى لكثرتها ، وتنوع بركتها ، وإليكم نبذةً عن تلكم الفوائد على سبيل الإجمال .

الذكر يرضي الرحمنَ ، ويطرد الشيطانَ ، ويزيل الهمَّ والغم ، ويجلب البسطَ والسرور .

والذكر يجلب الرزق ، ويحيي القلب ، ويورث محبةَ الله للعبد ، ومحبة العبد لله ، ومراقَبتهُ ﷻ ومعرفتَه ، والرجوعَ إليه ، والقربَ منه .

والذكر يَحُطُّ السيئاتِ ، وينفع صاحبَه عند الشدائد ، ويزيل الوحشةَ ما بين العبد وربه .

ومن فوائد الذكر أنه يؤمِّن من الحسرة يوم القيامة ، وأن فيه شُغْلًا عن الغيبة ، والنميمة ، والفحش من القول ، وأنَّه مع البكاء من خشية الله سببٌ لإظلال الله للعبد يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله .

معاشر الصائمين : الذكر أمانٌ من النفاق ، أمانٌ من نسيان الله .

ومن فوائده أنه غراس الجنة ، وأنه أيسر العبادات ، وأقلُّها مشقَّة ، ومع ذلك فهو يعدل عتق الرقاب ، ويُرَتَّبُ عليه من الجزاء ما لا يرتب على غيره .

والذكر يغني القلب ، ويسدُّ حاجته ، ويجمعُ على القلب ما تفرق من إراداته وعزومه ، ويفرق عليه ما اجتمع من الهموم والغموم والأحزان ، والأنكاد ، والحسرات .

ويفرق عليه – أيضًا – ما اجتمع على حربه من شياطين الإنس والجن .

والذكر يقرِّب من الآخرة ، ويباعد من الدنيا ، ويعطي الذاكرَ قوةً ، حتى إنه لَيفعلُ مع الذكر ما لا يُظن فعلُه بدون الذكر .

ومن فوائده أنه رأس الشكر ؛ فما شكر الله من لم يذكره ، وأن أكرم الخلق على الله من لا يزال لسانه رطبًا من ذكر الله .

وبالذِّكر تَسْهُل الصعاب ، وتَخِفُّ المشاق ، وتُيَسَّر الأمور ، وتذوب قسوة

القلب ، وتُسْتَجْلَب بركة الوقت .

والذكر يوجب صلاةَ الله ، وملائكتِه ، ومباهاةَ الله ﷻ بالذاكرين ملائكتَه .

وللذكر تأثير عجيب في حصول الأمن ، ودفع الخوف ، ورفعه ؛ فليس للخائف الذي اشتدّ خوفه أنفعُ من الذكر .

ثم إن الجبال والقفار تباهي وتبشر بمن يذكر الله عليها .

ودوام الذكر في الطريق ، والبيت ، والحضر والسفر ، والبقاع – تكثير لشهود العبد يوم القيامة .

وللذكر من بين الأعمال لذَّة لا تُعَادِلُها لذَّة .

وبالجملة فإن ثمرات الذكر وفوائده ، تحصل بكثرته ، وباستحضار ما يقال فيه ، وبالمداومة على الأذكار المطلقة ، والمقيدة ، وبالحذر من الابتداع فيه ، ومخالفة المشروع .

معاشر الصائمين : هناك أذكارٌ مطلقةٌ عظيمةٌ ، وقد جاء في فضلها نصوصٌ كثيرة .

وأعظم هذه الأذكار : (سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله اكبر) .

وقد جاء في فضلها أحاديث كثيرة ، منها ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ ﴿ لأن أقول سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ﴾ [1] .

ومن الأذكار العظيمة (لا حول ولا قوة إلا بالله) .

ومعناها : لا تحوُّل للعبد من حال إلى حال ، ولا قوّة له على ذلك إلا بالله .

وقد جاء في فضلها أحاديثُ كثيرةٌ ، منها ما جاء في سنن الترمذي عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ ﴿ ما على الأرض أحدٌ يقول :

(١) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٥) .

لا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا كُفِّرتْ خطاياه ، ولو كانت مثل زبد البحر ﴾ [1] .

قال الترمذي : (وهذا حديث حسن غريب) .

وجاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ ﴿ يا أبا موسى ، أو يا عبد الله بن قيس ، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنَّة) . قلت : بلى . قال : (لا حول ولا قوة إلا بالله) . ﴾ [2]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (لا حول ولا قوة إلا بالله تُحمل بها الأثقال ، وتُكابد الأهوال ، ويُنال رفيعُ الأحوال) .

وقال ابن القيم رحمه الله : (وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يذكر أثرًا في هذا الباب ، ويقول : إن الملائكة لما أمروا بحمل العرش قالوا : يا ربنا ، كيف نحمل عرشَك وعليه عظمتُك وجلالك ؟

فقال : قولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله ؛ فلما قالوها حملوه) .

وقال ابن القيم – أيضًا – : (وهذه الكلمة – يعني لا حول ولا قوة إلا بالله – لها تأثيرٌ عجيبٌ في معاناة الأشغال الصعبة ، وتَحملِ المشاقِّ ، والدخولِ على الملوك ، ومَنْ يُخاف ، وركوب الأهوال ، ولها – أيضًا – تأثيرٌ في دفع الفقر) .

قال : (وكان حبيبُ بنُ مسلمةَ يَستَحب إذا لقيَ عدوا ، أو ناهض حصنًا ، أن يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وأنه ناهض يومًا حصنًا للروم فانهزم ، فقالها المسلمون ، وكبروا ، فانهدم الحصن) .

معاشر الصائمين : ومن الأذكار المطلقة العظيمة (سبحان الله وبحمده) .

---

(١) البخاري الدعوات (٦٠٤٢) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩١) ، الترمذي الدعوات (٣٤٦٦) ، ابن ماجه الأدب (٣٨١٢) ، أحمد (٣٧٥/٢) ، مالك النداء للصلاة (٤٨٧) .

(٢) البخاري المغازي (٣٩٦٨) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٤) ، الترمذي الدعوات (٣٣٧٤) ، أبو داود الصلاة (١٥٢٦) ، ابن ماجه الأدب (٣٨٢٤) ، أحمد (٤١٩/٤) .

ولقد جاء في فضلها أحاديثُ كثيرةٌ ، منها ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطَّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر ﴾ [1] .

ومن الأذكار العظيمة – كذلك – : ( سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ) .

فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال : ﴿ كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ﴾ [2] .

ومن الأذكار العظيمة الاستغفار ، والصلاة على النبي ﷺ .

وقد ورد في فضلهما آثارٌ كثيرةٌ ، وألف في ذلك كتبٌ عديدةٌ ، والمقام لا يتَّسع للتفصيل .

معاشر الصائمين : الناس في الذكر على أربع طبقات ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (إحداها : الذكر بالقلب ، واللسان ، وهو المأمور به .

الثاني : الذكر بالقلب فقط ، فإن كان مع عجز اللسان فحسنٌ ، وإن كان مع قدرته فتركٌ للأفضل .

الثالث : الذكر باللسان فقط ، وهو كون اللسان رطبًا بذكر الله ، ويقول الله – تعالى – في الحديث القدسي : ﴿ أنا مع عبدي ما ذكرني ، وتحركت بي

---

(١) البخاري الدعوات (٦٠٤٢) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩١) ، ابن ماجه الأدب (٣٨١٢) ، أحمد (٢/٥١٥) ، مالك النداء للصلاة (٤٨٧) .

(٢) البخاري الدعوات (٦٠٤٣) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٤) ، الترمذي الدعوات (٣٤٦٧) ، ابن ماجه الأدب (٣٨٠٦) ، أحمد (٢/٢٣٢) .

شفتاه ﷺ [1] .

الرابع : عدم الأمرين ، وهو حال الأخسرين) .

أيها الصائمون : للذكر مفهومٌ خاصٌّ ، وهو ما مضى الحديث عنه ، وله مفهوم عامٌّ شاملٌ ، وهو كل ما تكلَّم به اللسان ، وتصوَّره القلب ، مما يقرب إلى الله ، من تعلُّم علمٍ ، وتعليمه ، وأمرٍ بالمعروف ، ونهيٍ عن المنكر – فهو ذكرٌ لله .

ولهذا من اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض ، أو جلس مجلسًا يتفقه أو يفقه فيه الفقهَ الذي سماه الله ورسوله فقهًا ، فهذا – أيضًا – من ذكر الله .

وكذلك من قام بقلبه محبّةُ الله ، وخوفُه ، ورجاؤه ، ونحو ذلك فهو من ذكر الله .

كما يدخل في الذكر تلاوةُ القرآن ، والدعاءُ ، والصلاةُ ، وإفشاءُ السلام ، وإصلاحُ ذات البين ، ومخاطبة الناس بالحسنى .

ويدخل في ذلك الصدقةُ ، ونشرُ الكتب ، والدعوةُ إلى الله ، فكلٌّ ذلك وغيره ، داخلٌ في عموم مفهوم الذكر .

اللهم أعنّا على ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك ، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد .

---

(١) ابن ماجه الأدب (٣٧٩٢) ، أحمد (٢/٥٤٠) .

## من فضائل الحلم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد :

فلا ريب أن للصوم أثرًا في اكتساب الحلم ، ولا ريب أن للحلم فضائلَ عديدةً ، والحديث هاهنا تبيان لبعض فضائل الحلم .

معاشر الصائمين : من فضائل الحلم أنك ترى الناسَ في جانب الحليم متى كان خصمُه أو مناظره ينحدر في جهالة ، ولا يندى جبينه أن يقول سوءًا .

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ (حلمُك على السفيه يكثر أنصارَك عليه) .

قال الحكيم العربي :

والحلـــمُ أعظـــمُ ناصـــرٍ تَدْعُونـــه فالزمْـــهُ يَكْفِـــكَ قلـــةَ الأنصـــار

ومن فضل الحلم أن رئاسةَ الناسِ –صغيرةً كانت أم كبيرة– لا ينتظم أمرُها إلا أن يكون الرئيس راسخًا في خلق الحلم .

قال معاوية ﷺ لعرابةَ الأوسيِّ : بم سُدْتَ قومك حتى قال فيك الشماخ :

رأيـــت عرابـــةَ الأوســـيَّ يســـمو إلى الخـــيرات منقطـــعَ القـــرينِ

إذا مـــا رايـــةٌ رُفعـــت لِمَجـــدٍ تلقَّاهـــا عرابـــةُ بـــاليمينِ

قال عرابةُ : غيري أولى مني بذلك يا أمير المؤمنين .

قال معاوية : عزمتُ عليك لَتُخبرَنِّي .

قال عرابة : يا أمير المؤمنين ، كنت أحلِم على جاهلهم ، وأعطي سائلهم ، وأسعى في قضاء حوائجهم .

وما ذلك – أيها الصائمون – إلا أن الناس يكرهون جافي الطبع ، ولا يجتمعون حولَ مَنْ يأخذه الغضبُ لأدنى هفوة ، إلا أن يساقوا إليه سوقًا .

والرئيس بحق هو مَنْ يملك القلوب قبل أن يبسط سلطانه على الرقاب .

ولقد امتن ربنا –جل وعلا– على نبينا محمد ﷺ بأن جبله على هذه السيرة

الحميدة ، وأنْ جَنَّبه الغلظةَ والفظاظة ، فقال ﷻ ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ ﴾ (١) (آل عمران : من الآية ١٥٩) .

ولقد كانت سيرةُ نبينا محمد ﷺ حافلةً بهذا الخلق الكريم ؛ فلقد كان يلاقي الإساءة بالإحسان ، ويدفع بالحسنة السيئة ، ويقابل الغِلظَ بالرفق ؛ فهذه السيرةُ ترشدُ رئيسَ القومِ ، والداعيةَ ، والعالَمَ ، والمعلمَ أن يوسِّع صدرَه لمن يناقشه أو يجادله ولو صاغ أقواله في غلظة وجفاء ؛ فسيرته – عليه الصلاة والسلام – هي التي علَّمت معاوية رضي الله عنه أن يقول : (والله لا أحْمِلُ سيفي على مَنْ لا سيفَ له ؛ فإن لم يكن لأحدكم سوى كلمةٍ يقولها ليستشفيَ بها فإني أجعل لها ذلك دبر أذني ، وتحت قدمي) .

ويقول رضي الله عنه (لا أحمل سيفي ما كفاني سوطي ، ولا أحمل سوطي ما كفاني مقولي) .

وإليكم – معاشر الصائمين – هذه القصةَ العجيبةَ من سيرة معاوية رضي الله عنه .

قال رجل من قريش : ما أظن معاويةُ أغضبه شيءٌ قطُّ .

فقال بعضهم : إذا ذُكرَت أُمُّه غضب .

فقال مالك بن أسماء المنى القرشي : أنا أغضبه إن جعلتم لي جعلًا ، ففعلوا ، فأتاه في الموسم ، فقال له : يا أمير المؤمنين إن عينيكَ لتشبهانِ عيني أمِّك .

قال معاوية : نعم كانتا عينين طالما أعجبتا أبا سفيان ! ثم دعا مولاه شقران فقال له : أَعْدِدْ لأسماء المنى ديةَ ابنها ؛ فإني قد قتلته وهو لا يدري .

فرجع مالكُ بنُ أسماءِ المنى وأخذ الجعلَ ، فقيل له : إن أتيت عمر بن الزبير فقلت له مثل ما قلت لمعاوية أعطيناك كذا وكذا .

فأتاه فقال له ذلك ، فأمر بضربه حتى مات .

فبلغ ذلك معاوية ، فقال : أنا والله قتلته ، وبعث إلى أمه بديته ، وأنشأ يقول :

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٥٩ .

فـــإني لَعَمْـــرُ الله أهلكـــت مالكـــا ألا قـــل لأسمـــاء المـــنى أمِّ مالـــكِ

قال ابن الأثير رحمه الله متحدثًا عن صلاح الدين الأيوبي : (وكان – رحمه الله – حليمًا ، حسن الأخلاق ، صبورًا على ما يكره ، كثير التغاضي عن ذنوب أصحابه ، يسمع من أحدهم ما يكره ، ولا يُعلِمُهُ بذلك ، ولا يتغير عليه .

وبلغني أنه كان جالسًا وعنده جماعة ، فرمى بعض المماليك بعضًا بسر موزة – أي بنعل – فأخطأته ، ووصلت إلى صلاح الدين ، فأخطأته ووقعت بالقرب منه ، فالتفت إلى الجهة الأخرى يكلم جليسه ؛ ليتغافل عنها) .

معاشر الصائمين : قد يقطع الحلم شَرًّا عظيمًا لو لم يقابل بالحلم لتمادى وعظم .

قال أيوب : (حلمُ ساعةٍ يدفع شرًّا كبيرًا) .

وقال الأحنف : (ربَّ غيظٍ تَجَرَّعْتُه ، مخافةَ ما هو شرٌّ منه) .

بل قد يضع الحلمُ مكان الضغينة مودة ؛ ذلكم أن الفضيلةَ محبوبةٌ في نفسها ، وتدعو إلى إجلال مَنْ يتمسَّك بها .

وكثيرًا ما يكون الصفح عن المسيء دواءً لسوء خلقه ، وتقويمًا لعوجه ، فيعود الجفاء إلى ألفة ، والمناوأة إلى مسالمة .

أما التسرُّع في دفع السيئة بمثلها أو أشدَّ دونما نظرٍ إلى الأثر السيئ – فذلك دليلُ ضيقِ الصدرِ ، والعجزِ عن كبح جماح الغضب .

وإنما يتفاضـــل الناس في السيادة على قدر تدبُّرهم للعواقب ، وإسكاتهم للغضب إذا طغى . ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾ ﴾ [1] (فصلت : ٣٤–٣٥)

أيها الصائمون الكرام ، ومن فوائد الحلم : السلامة من تشوش القلب ، ومرض

(١) سورة فصلت آية : ٣٤ – ٣٥ .

البدن ، وسائر المشكلات الناجمة عن الغضب .

أما أعظم فوائده فهي الفوزُ برضا الخالق –جل وعلا– فإنه قد دعا إليه في آيات كثيرة ، قال – تعالى – : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [1] (آل عمران : ١٣٤) .

وأثنى على عباده المؤمنين بقوله : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [2] (الفرقان : من الآية ٦٣) .

أيها الصائم الكريم ، تذكَّر أنك تتفيَّأُ في ظلال دين قويم ، وتعيش في أيام شهر مبارك كريم ؛ فإذا سابَّك أحدٌ أو شاتمك فقل : ﴿ إني امرؤ صائم ﴾ [3] .

وبذلك ترضي ربك ، وتحافظ على صومك ، وتسلم من سماع ما يسوؤك .

وإذا لزمت هذه السيرة الرضية في شهرك هذا ، كان ذلك دافعًا لك أن تلزم الحلم في بقية عمرك ، (وإنما الحلم بالتحلُّم ، وإنما العلم بالتعلُّم ، ومن يتحر الخير يعطه ، ومن يتوق الشر يوقه) .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٣٤ .

(٢) سورة الفرقان آية : ٦٣ .

(٣) البخاري الصوم (١٨٠٥) ، مسلم الصيام (١١٥١) ، الترمذي الصوم (٧٦٤) ، النسائي الصيام (٢٢١٧) ، أبو داود الصوم (٢٣٦٣) ، ابن ماجه الصيام (١٦٩١) ، أحمد (٢٧٣/٢) ، مالك الصيام (٦٨٩) .

## رمضان شهر العفة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد :

فإن رمضانَ شهرُ العفَّة ، وشهرُ شرفِ النفس وزكائها ؛ ذلكم أن الصائم يدع طعامَه ، وشرابَه ، وشهوتَه لله ﷻ ويداومُ على هذا الصنيع شهرًا كاملًا ؛ فيحصل له بذلك حبسُ النفس عن شهواتها ، وفطامها عن مألوفاتها ، وتعديلُ قوَّتِها الشهوانيةِ ؛ لتستعدَّ لطلب ما فيه سعادتُها ، ونعيمُها ، وقبولُ ما تزكو به في حياتِها الأبدية ؛ فالصيامُ لجامُ المتقين ، وجُنَّةُ المحاربين ، ورياضة الأبرار والمقربين .

والصيامُ يقوي الإرادةَ ، ويدرِّب الصائمَ على أن يمتنع باختياره عن شهواته ، ولذةِ حيوانيته ؛ فَيصِل بذلك إلى حالةٍ نفسية بالغةِ السُّمُو ، ويروِّض نفسه رياضةً عمليةً على معالي الأمور ، ومكارم الأخلاق .

وما أشدَّ حاجةَ النفوس إلى أن تروَّض على خلق العفة ، ومِنَ العِفَّة ألا يكون الإنسان عبدًا لشهواته ، مسترسلًا مع كافة رغباته ؛ فالنفس طلعة لا تقف عند حد .

كمن يُطْعِمُ النارَ جزلَ الحطبْ ومَنْ يطعمُ النفسَ ما تشتهي

ولا يكون من وراء اتباع كافة الشهوات إلا إذلالُ النفس ، وموتُ الشرف ، والضعة والتسفّل .

وإن من عجائب حكمة الله أن جعل مع الفضيلة ثوابَها من الصحة ، والنشاط ، وحُسن الأحدوثة .

وجعل مع الرذيلة عقابَها من المرض ، والحِطَّة ، وسوء السمعة .

ولو لم يأتِ من فضائل العفة ، إلا أن يسلمَ الإنسانُ من شرور الفواحش ، وينأى بنفسه عن أضرارها المتنوعة ، كيف وقد قال الله ﷻ ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ [1] .

ولا ريب أن أعظمَ الفواحش فاحشتا اللواط والزنا ، قال ابن القيم –رحمه الله–

(١) سورة الأنعام آية : ١٥١ .

متحدثًا عن تلك الفاحشتين : " فليس في الذنوب أفسدُ للقلب والدين ، من هاتين الفاحشتين ، ولهما خاصِّيَّةٌ في تبعيد القلب من الله ؛ فإنهما من أعظم الخبائث ، فإذا انصبغ القلبُ بهما بَعُد ممن هو طيب ، لا يصعدُ إليه إلا طيب ، وكلما ازداد خبثًا ازداد من الله بعدًا " .

وقال – رحمه الله – مبينًا أضرار اللواط : " فإنه يحدث الهمَّ ، والغمَّ ، والنفرةَ ، عن الفاعل والمفعول .

وأيضا ؛ فإنه يسوّد الوجه ، ويظلم الصدرَ ، ويطمس نورَ القلب ، ويكسو الوجه وحشةً تصير كالسيماء ، يعرفها من له أدنى فِراسة .

وأيضًا ؛ فإنه يوجب النُّفْرةَ ، والتباغضَ الشديدَ ، والتقاطع بين الفاعل والمفعول ولا بد .

وأيضًا ؛ فإنه يفسد حالَ الفاعلِ والمفعولِ فسادًا لا يكاد يُرجى بعده صلاح ؛ إلا أن يشاء الله بالتوبة النصوح .

وأيضاً ؛ فإنه يَذْهَبُ بالمحاسن منهما ، ويكسوهما ضدَّها ، كما يذهب بالمودة بينهما ، ويبدلُهما بها تباغضًا ، وتلاعنًا .

وأيضًا ؛ فإنه من أكبر أسباب زوال النعم ، وحلول النِّقم ؛ فإنه يوجب اللعن ، والمقت من الله ، وإعراضَه عن فاعله ، وعدمَ نظره إليه ؛ فأيُّ خيرٍ يرجوه بعد هذا ؟ وأي شرٍّ يأمنه ؟ وكيف حياةُ عبدٍ حلَّت عليه لعنةُ اللهِ ومقتُه ؟ وأعرض عنه بوجهه ، ولم ينظر إليه ؟ ! .

وأيضًا ؛ فإنه يذهب بالحياء جملةً ، والحياءُ هو حياةُ القلوبِ ؛ فإن فَقَدها القلبُ استحسن القبيحَ ، واستقبح الحسنَ ، وحينئذٍ فقد استحكم فساده " .

إلى أن قال –رحمه الله– متحدثًا عن أضرار اللواط :

" وأيضًا ؛ فإنه يورث من الوقاحة ، والجرأة ، ما لا يورثه سواه .

وأيضًا فإنه يورث من المهانة ، والسَّفال والحقارةِ ما لا يورثه غيره .

وأيضًا فإنه يكسو العبدَ حُلَّةَ المقت ، والبغضاءِ ، وازدراءِ الناس ، واحتقارِهم إياه ، واستصغارهم له ما هو مشاهد بالحس " . ا هـــ .

ولقد أثبتت الدراساتُ الطبية الحديثة ؛ أن لهذه الفعلة أضرارًا كبيرة ، على نفوس مرتكبيها ، وعقولهم ، وأبدانهم .

فمن أضرارها : التأثير على الأعصاب ، والمخ ، وأعضاء التناسل ، والدوسنتاريا ، والتهابُ الكبد الفيروسي ، بل كثيرًا ما يؤدي إلى أمراض الشذوذ الخطيرة : كالزهري ، والسيلان ، والهربس ، والإيدز .

بل إنه على رأس الأسباب المؤدية لتلك الأمراض .

وأكثر هذه الأضرار ، يشترك فيها الزنا مع اللواط ، ثم إن الزنا يجمع خلال الشر كلَّها ، من قلة الدين ، وذهاب الورع ، وفساد المروءة ، وقلة الغيرة ، ووأد الفضيلة ؛ فالزنا سبب للفقر ، ولذهاب حرمة فاعله وسقوطه من عين الله ، وأعين عباده ، والزنا يسلب صاحبَه اسمَ البَرِّ ، والعفيفِ ، والعدلِ ، ويعطيه اسمَ الفاجرِ ، والفاسق ، والزاني ، والخائن .

ومن أضرار الزنا : الوحشةُ التي تُوضع في قلب الزاني ، وهي نظيرُ الوحشةِ التي تعلو وجهَه ؛ فالعفيفُ على وجهه حلاوةٌ ، وفي قلبه أنسٌ ، ومَنْ جالسه استأنس به ، والزاني بالعكس من ذلك تماما .

ولو علم الفاجر ما في العفاف من اللذة ، والسرور ، وانشراح الصدر ، وطيب العيش لرأى أن ما فاته أضعافُ أضعافِ ما حصل له .

والزنا يجرئ على قطيعة الرحم ، وعقوق الوالدين ، وكسبِ الحرام ، وظلمِ الخلق ، وإضاعةِ المال ، والأهل ، والعيال .

والزنا يَذْهَبُ بكرامة الفتاة ، ويكسوها عارًا لا يقف عندها ، بل يتعداها إلى أسرتها ؛ حيث تدخل العار على أهلها ، وزوجها ، وأقاربها ، وتنكِّس به رؤوسهم بين الخلائق .

وإذا حملت المرأةُ من الزنا ، فقتلت ولدَها جمعت بين الزنا والقتل ، وإذا حملته على الزوج أدخلت على أهلها وأهله أجنبيًّا ليس منهم ، فورثهم ورآهم ، وخلا بهم ، وانتسب إليهم .

والزنا جنايةٌ على الولد ، فإن الزاني يَبْذِرُ نطفته على وجه يجعل النسمةَ المخلَّقةَ منها مقطوعةَ النسبِ إلى الآباء ، فكان الزنا سببًا لوجود الولد عاريًا من الروابط التي تربطه بأدنى قربى يأخذون بساعده إذا زلَّت به نَعْلُه .

وفي الزنا جنايةٌ على الولد ، وتعريضٌ له لأن يعيش وضيعًا بين الأمة ، مدحورًا من كل جانب ، فما ذنب هذا المسكين ، وأي قلب يحتمل ذلك المصير .

أيها الصوام : هذا نزرٌ يسير من أضرار الفواحش ، ومن خلال ذلك يتبين لنا مدى ما يصل إليه الإنسان إذا هو فارق العفةَ ، واتبع هواه بغير هدى من الله ، وهكذا يتبين لنا أثر الصوم في تنمية خلق العفة .

اللهم إنا نسألك الهدى ، والتقى ، والعفاف ، والغنى .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

## من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد :

فإن للشهوات سلطانًا على النفوس ، واستيلاءً وتمكنًا في القلوب ؛ فتركُها عزيزٌ ، والخلاص منها عسير .

ولكنْ مَن اتقى اللهَ كفاه ، ومن استعان به أعانه ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (١) .

وإنما يجدُ المشقةَ في ترك المألوفات والعوائدِ من تركها لغير الله .

أما من تركها مخلصًا لله فإنه لا يجد في تركها مشقة إلا أول وهلةٍ ؛ ليمتحن أصادق هو في تركها أم كاذب ؛ فإن صبر على تلك المشقة قليلًا تحولت لذة .

وكلما ازدادتِ الرغبةُ في المحرم ، وتاقتِ النفسُ إلى فعله ، وكثرت الدواعي إلى الوقوع فيه –عظمُ الأجرُ في تركه ، وتضاعفت المثوبةُ في مجاهدة النفس على الخلاص منه .

ولا ينافي التقوى ميلُ الإنسانِ بطبعه إلى بعض الشهوات المحرمة إذا كان لا يغشاها ، وكان يجاهد نفسَه على بغضها .

بل إن ذلك من الجهاد ، ومن صميم التقوى ؛ فالنار حفت بالشهوات ، والجنة حفت بالمكاره .

ولقد جرت سنةُ الله بأنّ مَنْ ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه .

والعِوضُ من الله أنواع مختلفة ، وأجلُّ ذلك العوض : الأنسُ بالله ، ومحبتُه ، وطمأنينةُ القلبِ بذكره ، وقوَّتُه ، ونشاطُه ، ورضاه عن ربه ، مع ما يلقاه العبد من جزاء في هذه الدنيا ، ومع ما ينتظره من الجزاء الأوفى في العقبى .

---

(١) سورة الطلاق آية : ٣ .

ولقد تظاهرت نصوصُ الشرع في هذا المعنى العظيم الذي يعد من أدْعى الأسباب لمخالفة الهوى ، ولزوم التقوى ؛ إذ فيه نظرٌ للعواقب ، وإيثارٌ للآجل على العاجل .

هذا وإن الصيام لمن أعظم ما يؤكد هذا المعنى ، ويبعث عليه .

ولو استعرض الإنسانُ نصوصَ الشرعِ في الصيام لتجلى له هذا المعنى غاية التجلي .

ومن تلك النصوص ما جاء في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : ﴿ قال الله : كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي ﴾ (١) الحديث .

وجاء فيهما –أيضًا– : ﴿ للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربَّه فرح بصومه ﴾ (٢) .

وبوب الإمام البخاري –رحمه الله– في صحيحه في كتاب الصيام بابًا سماه : " باب الريان للصائمين "

ثم ساق بسنده الحديث عن سهل بن سعد ﷺ عن النبي ﷺ قال : ﴿ إن في الجنة بابًا يقال له : الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال : أيها الصائمون ، فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم ؛ فإذا دخلوا أغلق فلم

(١) البخاري الصوم (١٨٠٥) ، مسلم الصيام (١١٥١) ، الترمذي الصوم (٧٦٤) ، النسائي الصيام (٢٢١٥) ، ابن ماجه الصيام (١٦٣٨) ، أحمد (٢/٢٧٣) .

(٢) البخاري الصوم (١٨٠٥) ، مسلم الصيام (١١٥١) ، النسائي الصيام (٢٢١٦) ، ابن ماجه الصيام (١٦٣٨) ، أحمد (٢/٢٧٣) .

يدخل منه أحد ﴾ [1] .

قال ابن حجر –رحمه الله– في شرح الحديث : " الرَّيَّان بفتح الراء ، وتشديد التحتانية وزن فعلان من الرِّي : اسمُ علمٍ على باب من أبواب الجنة يختص بدخول الصائمين منه .

وهو مما وقعت المناسبة فيه بين لفظه ومعناه ؛ لأنه مشتق من الرِّي ، وهو مناسب لحال الصائمين ، وسيأتي أن من دخله لا يظمأ .

قال القرطبي : اكتُفي بذكر الري عن الشبع ؛ لأنه يدل عليه من حيث إنه يستلزمه .

قلت : أو لكونه أشقَّ على الصائم من الجوع " ا هـــ .

وهكذا –أيها الصائمون– يتبين لنا أن الجزاءَ من جنس العمل ، وأن من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه ؛ فالصائم لما ترك شهوته ، وطعامه ، وشرابه من أجل الله جازاه الله على عمله ، وعوضه خيرًا مما ترك ؛ حيث اختص الصيام من بين سائر الأعمال بأنه له ، وأنه يتولى جزاءه .

والصائم لما ترك شهواتِه المجبولَ عليها من شراب ، وطعام ، ومنكح ، وفي ذلك منع له مما يشتهي ، عوضه الله خيرًا مما ترك ، ألا وهو الفرح عند الفطر ، والفرح عند لقاء الرب وهو فرحٌ لا يقارن بفرح التمتع بالشهوات وسائر الملذات .

وكذلك الحال بالنسبة للحديث الثالث ؛ فالصائمون لما صبروا على ألم العطش حال صيامهم ، وفي ذلك قهر للنفس ، وقمع لها ؛ ابتغاء مرضاة الله عوَّضهم الله خيرًا مما تركوا ، فجعل لهم بابًا في الجنة لا يدخل منه غيرهم .

وهكذا يتجلى لنا هذا المعنى في الصيام، والعبرة المأخوذة ، والدروس المستفادة من هذا أن يستحضر الصائم هذا المعنى العظيم في جميع ما يأتي وما يذر ، وأن يعلم أن

---

(١) البخاري الصوم (١٧٩٧) ، مسلم الصيام (١١٥٢) ، الترمذي الصوم (٧٦٥) ، النسائي الصيام (٢٢٣٦) ، ابن ماجه الصيام (١٦٤٠) ، أحمد (٣٣٥/٥) .

الله ﷻ كريم شكور ، وأن مقتضى ذلك أن يجازي الإنسان بالحسنة خيرًا منها تفضلًا وتكرمًا . والجزاء ليس في الآخرة فحسب ، بل الغالب أنه في الدنيا والآخرة معًا، ولو قام هذا المعنى في القلوب لانبعثت إلى فعل الطاعات ، ولأقصرت عن كثير من الشرور والمعاصي .

هذا وللحديث صلة في الدرس القادم –بإذن الله– حيث سيذكر فيها نماذج لأمور من تركها لله عوضه الله خيرًا منها .

اللهم إنا نسألك حبك ، وحبَّ من يحبك ، وحب العمل الذي يقربنا إلى حبك ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

## من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فقد كان الحديث في الدرس الماضي يدور حول معنى : " من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه " وكيف كان الصيام دالًّا على هذا المعنى ، ومرشدًا إليه .

والحديث هاهنا إكمال لما مضى ، وسيدور حول ذكرٍ لأمور من تركها لله عوضه الله خيرًا منها ؛ لعل النفوس تنبعث إلى فعل الخير ، والإقصار عن الشر .

فمن ترك مسألَة الناس ، ورجاءَهم ، وإراقةَ ماءِ الوجه أمامهم ، وعلَّق رجاءه بالله دون سواه –عَوّضَه خيرًا مما ترك ، فرزقه حريةَ القلب ، وعزةَ النفس ، والاستغناء عن الخلق ﴿ ومن يتصبرْ يصبرْه الله ، ومن يستعففْ يُعِفَّهُ الله ﴾ [1] .

ومن ترك الاعتراض على قدر الله ، فسلم لربه في جميع أمره رزقه الله الرضا واليقين ، وأراه من حسن العاقبة ما لا يخطر له ببال .

ومن ترك الذهابَ إلى العرافين والسحرة رزقه الله الصبرَ ، وصِدْقَ التوكل ، وتَحقُّقَ التوحيد .

ومن ترك التكالبَ على الدنيا جمع اللهُ له أمرَه ، وجعل غناه في قلبه ، وأَتَتْهُ الدنيا وهي راغمةٌ .

ومن ترك الخوفَ من غير الله ، وأفرد اللهَ وحده بالخوف –سَلِمَ من الأوهام ، وأمَّنه الله من كل شيء ، فصارت مخاوفُه أمنًا وبردًا وسلامًا .

ومن ترك الكذبَ ، ولزم الصدقَ فيما يأتي وما يذر – هُدي إلى البر ، وكان عند الله صديقًا ، ورزق لسانَ صدقٍ بين الناس ، فسوَّدوه ، وأكرموه ، وأصاخوا السمع

---

(١) البخاري الزكاة (١٤٠٠) ، مسلم الزكاة (١٠٥٣) ، الترمذي البر والصلة (٢٠٢٤) ، النسائي الزكاة (٢٥٨٨) ، أبو داود الزكاة (١٦٤٤) ، أحمد (٩٤/٣) ، مالك الجامع (١٨٨٠) ، الدارمي الزكاة (١٦٤٦) .

لقوله .

ومن ترك المراءَ وإن كان مُحِقًّا ضُمن له بيتٌ في ربض الجنة ، وسلم من شر اللجاج والخصومةِ ، وحافظ على صفاء قلبه ، وأمن من كشف عيوبه .

ومن ترك الغشَّ في البيع والشراء زادت ثقةُ الناس به ، وكثر إقبالُهم على سلعته .

ومن ترك الربا ، وكَسْبَ الخبيثِ بارك الله في رزقه ، وفتح له أبوابَ الخيرات والبركات .

ومن ترك النظرَ إلى المحرم عوَّضه الله فِراسةً صادقةً ، ونورًا وجلاءً ، ولذةً يجدها في قلبه .

ومن ترك البخلَ ، وآثر التكرمَ والسخاءَ أحبه الناس ، واقترب من الله ومن الجنة ، وسلم من الهم والغم وضيق الصدر ، وترقى في مدارج الكمال ومراتب الفضيلة ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ ﴾ [1] .

ومن ترك الكبر ، ولَزِمَ التواضع كمل سؤدده ، وعلا قدره ، وتناهى فضله ، قال ﷺ فيما رواه مسلم في الصحيح : ﴿ ومن تواضع لله رفعه ﴾ [2] .

ومن ترك المنام ودفأه ولذته ، وقام يصلي لله ﷻ عوضه الله فرحًا ، ونشاطًا ، وأنسًا .

ومن ترك التدخينَ ، وكافةَ المسكراتِ والمخدراتِ أعانه الله ، وأمده بألطاف من عنده ، وعوَّضه صحةً وسعادةً حقيقية ، لا تلك السعادة الوهمية العابرة .

ومن ترك الانتقامَ والتشفِّيَ مع قدرته على ذلك–عوَّضه الله انشراحًا في الصدر ، وفرحًا في القلب ؛ ففي العفو مِنَ الطمأنينة والسكينةِ ، والحلاوةِ ، وشرفِ النفس ، وعزها ، وترفُّعها –ما ليس شيءٌ منه في المقابلة والانتقام .

---

(١) سورة الحشر آية : ٩ .

(٢) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٨) ، الترمذي البر والصلة (٢٠٢٩) ، أحمد (٣٨٦/٢) ، مالك الجامع (١٨٨٥) ، الدارمي الزكاة (١٦٧٦) .

قال ﷺ فيما رواه مسلم : ﴿ وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا ﴾ [1] .

ومن ترك صحبة السوء التي يظن أن بها منتهى أنسه ، وغايةَ سروره – عوَّضه الله أصحابًا أبرارًا ، يجد عندهم المتعة والفائدة ، وينال من جرّاء مصاحبتهم ومعاشرتهم خيري الدنيا والآخرة .

ومن ترك كثرة الطعام سلم من البطنة ، وسائر الأمراض ؛ لأن من أكل كثيرًا شرب كثيرًا ، فنام كثيرًا ، فخسر كثيرًا . ومن ترك المماطلةَ في الدَّين أعانه الله ، وسدد عنه بل كان حقًّا على الله عونُه .

ومن تركَ الغضبَ حفظ على نفسه عزتَها وكرامتَها ، ونأى بها عن ذل الاعتذار ، ومَغَبَّةِ الندم ، ودخل في زمرة المتقين ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ [2] .

﴿ جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، أوصني ، قال : " لا تغضب ﴾ [3] رواه البخاري .

قال الماوردي –رحمه الله– : " فينبغي لذي اللُّبِّ السوي والحزمِ القوي أن يتلقى قوةَ الغضب بحلمه فيصدَّها ، ويقابلَ دواعي شرَّتِهِ بحزمه فيردَّها ، ليحظى بأجَلِّ الخيرة ، ويسعد بحميد العاقبة " .

وعن أبي عبلة قال : غضب عمر بن عبد العزيز يومًا غضبًا شديدًا على رجل ، فأمر به ، فأُحضر وجُرِّد ، وشُدَّ في الحبال ، وجيء بالسياط ، فقال : خلوا سبيله ؛ أما إني لولا أن أكون غضبان لَسُؤْتُكَ ، ثم تلا قوله –تعالى– : ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ

(١) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٨) ، الترمذي البر والصلة (٢٠٢٩) ، أحمد (٣٨٦/٢) ، مالك الجامع (١٨٨٥) ، الدارمي الزكاة (١٦٧٦) .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٣٤ .

(٣) البخاري الأدب (٥٧٦٥) ، الترمذي البر والصلة (٢٠٢٠) ، أحمد (٣٦٢/٢) .

ٱلْغَيْظَ ﴾ [1] .

**اللهم حبب إلينا الإيمان ، وزينه في قلوبنا ، وكرِّه إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيان ، واجعلنا من الراشدين .**

**معاشر الصائمين : للحديث بقية ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .**

(١) سورة آل عمران آية : ١٣٤ .

## من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد :

فقد كان الحديث الماضي يدور حول بعض النماذج لأمور من تركها لله عوضه الله خيرًا مما ترك .

والحديث هاهنا إكمال لما مضى ، وذكرٌ لنماذج أخرى من ذلك القبيل .

معاشر الصائمين : من ترك الوقيعة في أعراض الناس والتعرضَ لعيوبهم ومغامزهم – عُوِّض بالسلامة من شرهم ، ورزق التبصرَ في نفسه .

قال الأحنف بن قيس –رحمه الله– : " من أسرع إلى الناس فيما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون " .

وقالت أعرابيةٌ توصي ولدها : " إياك والتعرضَ للعيوب فَتُتَّخذَ غرضًا ، وخليقٌ ألا يثبتَ الغرضُ على كثرة السهام ، وقلما اعْتَوَرَتِ السهامُ غرضًا حتى يهيَ ما اشتد من قوته " .

قال الشافعي –رحمه الله– :

أشغله عن عيوب الورى ورعُهْ ... المرءُ إن كان مؤمنًا ورِعًا

عن وجع الناس كلِّهم وجعُهْ ... كما السقيم العليل أشغله

ومن ترك مجاراةَ السفهاء ، وأعرض عن الجاهلين حمى عرضه ، وأراح نفسه ، وسلم من سماع ما يؤذيه ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾ [1] .

ومن ترك الحسدَ سلم من أضراره المتنوعة ؛ فالحسد داء عضال ، وسمٌّ قتَّال ، ومسلكٌ شائنٌ ، وخلقٌ لئيم ، ومن لؤم الحسد أنه موكل بالأدنى فالأدنى من الأقارب ، والأكفاء ، والخلطاء ، والمعارف ، والإخوان .

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٩٩ .

قال بعض الحكماء : ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من الحسود ، نَفسٌ دائمٌ ، وهمٌّ لازمٌ ، وقلبٌ هائمٌ .

ومن سلم من سوء الظن بالناس سلم من تشوش القلب ، واشتغال الفكر ؛ فإساءَةُ الظنِّ تفسد المودةَ ، وتجلب الهمَّ والكدر ، ولهذا حذرنا الله ﷻ منها فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (١) .

وقال ﷺ ﴿ إياكم والظنَّ ، فإن الظنَّ أكذبُ الحديث ﴾ (٢) رواه البخاري ومسلم .

ومن اطَّرح الدعةَ والكسلَ ، وأقبل على الجد والعمل –علت همتُهُ ، وبورك له في وقته ، فنال الخيرَ الكثير في الزمن اليسير . ومن اطَّرح الدعةَ والكسلَ ، وأقبل على الجد والعمل –علت همتُهُ ، وبورك له في وقته ، فنال الخيرَ الكثير في الزمن اليسير .

أكبَّ على اللذات عضَّ على اليد ومَنْ هجر اللذات نال المنى ومن

ومن ترك تَطلُّبَ الشهرةِ وحبَّ الظهورِ رفع الله ذكره ، ونشر فضلَه ، وأتته الشهرة تُجَرِّرُ أذيالها .

ومن ترك العقوقَ ، فكان بَرًّا بوالديه ﷺ ويسر الله له أمره ، ورزقه الله الأولاد البررة وأدخله الجنة في الآخرة .

ومن ترك قطيعةَ أرحامِه ، فواصلهم ، وتودَّد إليهم ، واتقى الله فيهم – بسط الله له في رزقه ، ونَسأَ له في أثره ، ولا يزال معه ظهير من الله ما دام على تلك الصلة .

ومن ترك العشقَ ، وقطع أسبابَه التي تُمِدُّه ، وتجرَّع غُصَصَ الهجر ، ونارَ البعادِ في بداية أمره ، وأقبل على الله بِكُلِّيته –رُزِقَ السلوَّ ، وعزةَ النفس ، وسلم من اللوعةِ

---

(١) سورة الحجرات آية : ١٢ .

(٢) البخاري النكاح (٤٨٤٩) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٦٣) ، الترمذي البر والصلة (١٩٨٨) ، أحمد (٢/٤٦٥) ، مالك الجامع (١٦٨٤) .

والذلة والأَسْر ، ومُلئ قلبُه حريةً ومحبةً لله ﷻ تلك المحبة التي تَلُمُّ شعثَ القلبِ ، وتسدَّ خَلَّتَهُ ، وتشبع جوعته ، وتغنيه من فقره ؛ فالقلب لا يُسَرُّ ولا يُفْلِحُ ، ولا يطيب ولا يسكُن ، ولا يطمئن إلا بعبادة ربه ، وحبه ، والإنابة إليه .

ومن ترك العبوسَ والتقطيبَ ، واتصف بالبشر والطلاقة – لانت عريكته ، ورقت حواشيه ، وكثر محبوه ، وقلَّ شانؤوه .

قال ﷺ ﴿ تبسمك في وجه أخيك صدقة ﴾ [1] أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

قال ابن عقيل الحنبلي : " البشرُ مُؤنسٌ للعقول ، ومن دواعي القَبول ، والعبوسُ ضدُّه " .

وبالجملة فمن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه ؛ فالجزاء من جنس العمل ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ ﴾ [2] ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [3] .

أيها الصائم الكريم : إذا أردت مثالًا جليًّا ، يبين لك أن من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه فانظر إلى قصة يوسف –مع امرأة العزيز ؛ فلقد راودتْهُ عن نفسه فاستعصم ، مع ما اجتمع له من دواعي المعصية ، فلقد اجتمع ليوسف ما لم يجتمع لغيره ، وما لو اجتمع كلُّه أو بعضُه لغيره لربما أجاب الداعي ، بل إن من الناس من يذهب لمواقع الفتنِ بنفسه ، ويسعى لحتفه بظلفه ، ثم يبوءُ بعد ذلك بالخسران المبين في الدنيا والآخرة .

أما يوسف – عليه السلام – فقد اجتمع له من دواعي الزنا ما يلي :

أولًا : أنه كان شابًّا ، وداعيةُ الشباب إلى الزنا قوية .

---

(١) الترمذي البر والصلة (١٩٥٦) .

(٢) سورة الزلزلة آية : ٧ .

(٣) سورة الزلزلة آية : ٨ .

ثانيًا : أنه كان عَزَبًا ، وليس له ما يعوضه ويرد شهوته من زوجة ، أو سُرِّيَّة .

ثالثًا : أنه كان غريبًا ، والغريبُ لا يستحيي في بلد غربته مما يستحيي منه بين أصحابه ومعارفه .

رابعًا : أنه كان مملوكًا ، فقد اشتري بثمن بخس دراهم معدودة ، والمملوكُ ليس وازعه كوازع الحر .

خامسًا : أن المرأة كانت جميلة .

سادسًا : أنها ذاتُ منصبٍ عالٍ .

سابعًا : أنها سيدته .

ثامنًا : غياب الرقيب .

تاسعًا : أنها قد تهيأت له .

عاشرًا : أنها غلقت الأبواب .

حادي عشر : أنها هي التي دعته إلى نفسها .

ثاني عشر : أنها حرصت على ذلك أشد الحرص .

ثالث عشر : أنها توعدته إن لم يفعل بالصغار والسجن ، وهو تهديد من قادر .

ومع هذه الدواعي صبر إيثارًا واختيارًا لما عند الله ، فنال السعادة والعز في الدنيا ، وإن له للجنةَ في العقبى ، فلقد أصبح هو السيد ، وأصبحت امرأة العزيز فيما بعد كالمملوكة عنده ، وقد ورد أنها قالت : " سبحانَ مَنْ صيَّر الملوك بِذُلِّ المعصية مماليك ، ومن جعل المماليك بعز الطاعة ملوكًا " .

فحري بالعاقل الحازم أن يتبصَّر في الأمور ، وأن ينظر في العواقب ، وألا يؤثر اللذة الحاضرة الفانية على اللذة الآجلة الباقية .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

## تقسيمات وضوابط في الحياء

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد :

فقد مر حديثٌ حولَ الحياء ، وأثرِ الصيام في اكتسابه ، والتحلي به ، والحديثُ هاهنا إكمالٌ لما مضى ؛ حيث سيتناول بعض التقسيمات والضوابط في الحياء .

معاشرَ الصائمين : قَسَّم بعض العلماءِ الحياءَ إلى ثلاثةِ أقسام وبعضُهم إلى أكثر من ذلك .

قال الماوردي –رحمه الله– : " واعلم أن الحياء في الإنسان قد يكون من ثلاثة أوجه :

أحدها : حياؤه من الله –تعالى– ويكون بامتثال أوامره ، والكف عن زواجره .

والثاني : حياؤه من الناس ، ويكون بكف الأذى ، وترك المجاهرة بالقبيح .

والثالث : حياؤه من نفسه ، ويكون بالعفة ، وصيانة الخلوات " .

وقال ابن القيم –رحمه الله– : " وقد قُسِّمَ الحياءُ على عشرة : حياءُ جناية ، وحياءُ تقصيرٍ ، وحياءُ إجلالٍ ، وحياءُ كرمٍ ، وحياءُ حشمةٍ ، وحياءُ استصغارٍ للنفس ، واحتقارٍ لها ، وحياءُ محبةٍ ، وحياءُ عبوديةٍ ، وحياءُ شرفٍ وعزٍّ ، وحياءُ المستحيي من نفسه .

فأما حياءُ الجناية ، فمنه حياءُ آدمَ –عليه السلام– لما فر هاربًا من الجنة ، فقال الله –تعالى – : " أفرارًا مني يا آدم ؟

قال : لا يا رب ، بل حياءً منك " .

وحياءُ التقصيرِ : كحياء الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، فإذا كان يوم القيامة قالوا : سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك .

وحياءُ الإجلالِ : هو حياءُ المعرفةِ ، وعلى حسب معرفة العبدِ بربه يكون حياؤه منه .

وحياءُ الكرمِ : كحياء النبي–صلى الله عليه وسلم–من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب ، وطولوا الجلوس عنده ، فقام استحياءً أن يقول لهم : انصرفوا .

وحياءُ الحشمةِ : كحياء علي بن أبي طالب ﷺ أن يسأل النبي ﷺ عن المذي لمكانة ابنته منه .

وحياءُ الاستحقارِ واستصغارِ النفس : كحياء العبد من ربه ﷻ أن يسأله حوائجه ، احتقارًا لنفسه ، واستصغارًا لها .

وفي أثر إسرائيلي " أن موسى –عليه السلام– قال : يارب ، إنه لتعرض لي حاجةٌ من الدنيا فأستحيي أن أسألك هي يا رب " .

فقال الله – تعالى – : " سلني حتى ملحَ عجينتك ، وعلفَ شاتك " .

وأما حياءُ المحبةِ : فهو حياءُ المحبِّ من محبوبه ، حتى إذا خطر على قلبه في غيبته هاج الحياءُ من قلبه ، وأحسَّ به في وجهه ، ولا يدري ما سببه .

وكذلك يعرضُ للمحب عند ملاقاة محبوبه ، ومفاجأته له روعةٌ شديدة .

وأما حياءُ العبودية : فهو حياءٌ ممتزجٌ من محبةٍ ، وخوفٍ ، ومشاهدةِ عدم صلاح عبوديته لمعبوده ، وأن قدره أعلى وأجلُّ منها ؛ فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة .

وأما حياءُ الشرفِ والعزة : فحياءُ النفسِ العظيمة الكبيرة إذا صدر منها ما هو دون قدرها من بذلٍ ، أو عطاءٍ ، أو إحسانٍ ؛ فإنه يستحيي –مع بذله– حياءَ شرفِ نفسٍ ، وعزة .

وهذا له سببان أحدهما هذا ، والثاني : استحياؤه من الآخذ ، حتى كأنه هو الآخذُ السائلُ ، حتى إنَّ بعض أهل الكرم لا تطاوعه نفسُه بمواجهته لمن يعطيه حياءً منه ، وهذا يدخل في التلوم ؛ لأنه يستحيي من خجلة الآخذ .

وأما حياء المرء من نفسه : فهو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص ، وقناعتها بالدون ، فيجدُ نفسَه مستحييًا من نفسه ، حتى لكأن له

نَفْسين ، يستحي بإحداهما من الأخرى .

وهذا أكملُ ما يكون من الحياء ؛ فإن العبد إذا استحيا من نفسه فهو بأن يستحيي من غيره أجدر " انتهى ملخصًا من كلام ابن القيم –رحمه الله– .

معاشر الصائمين : قد يشكل على بعض الناس كونُ الحياءِ من الإيمان ، وكونُه خيرًا ، أو لا يأتي إلا بخير مع أن صاحبه قد يمتنع من أن يواجِهَ بالحق من يستحيي منه ، فيترك إنكار المنكر عليه ، وأمرَه بالمعروف ، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق ، وغير ذلك مما هو معروف في العادة .

والجواب أن ذلك المانعَ ليس حياءً حقيقيًّا بل هو صوريّ وإنما هو عجز ومهانةٌ ، وخورٌ ، وتسميته حياءً من باب التجوز لمشابهته الحياء الحقيقي .

ثم إن الحياءَ وسطٌ بين رذيلتين إحداهما : الوقاحة ، والأخرى : الخجل ، ويقال لها : الخَرَق .

أما الوقاحةُ فمذمومةٌ بكلِ لسانٍ بالنسبة لكل إنسان وحقيقتها : لجاج النفس في تعاطي القبيح .

وأما الخرقُ وهو الدهشةُ من شدة الحياء ، فيذم به الرجل لا سيما في المواطن التي تقتضي الإقدامَ ، كالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والحكمِ بالحق ، والقيام به ، وأداء الشهادات على وجهها ، ونحو ذلك .

معاشر الصائمين : ومع عظم مكانة الحياء ، وما ورد في فضله ، والنهي عن ضده إلا أن هناك مظاهرَ تشيع في أوساط الناس تدلُّ على قلة الحياء ، ومنها المجاهرةُ بالمعاصي ، وقلةُ الأدب مع الوالدين ، والجيران ، والمربين ، والمعلمين .

ومنها كثرةُ اللجاج ، والسباب ، والخصومة ، والصخب .

ومنها التدخينُ –خصوصًا في الأماكن العامة– .

ومن مظاهر قلة الحياء التفحيطُ ، ورفعُ الصوت بالغناء ، والمعاكساتُ ، والكتاباتُ البذيئة على الجدارن والأماكن العامة .

ومنها التبذلُ ، والتبرجُ ، والتكشفُ ، والتعري ، وتقليدُ الكفار في مستهجن العادات .

ومن مظاهر قلة الحياء كثرةُ الحديث عن النفس على سبيل المفاخرة ، وتقصُّدُ استعمال ما يدعو إلى الشهرة ولفت الأنظار ، وما إلى ذلك من مظاهر قلة الحياء .

معاشر الصائمين : الحياءُ فطريٌّ غريزي يولد مع الإنسان ، وهو –كذلك– اكتسابي يناله الإنسان بالأخذ بالأسباب .

ومما يعين على اكتساب الحياء وتنميته استحضارُ مراقبة الله ﷻ والإمساكُ مما تقتضيه قلةُ الحياءِ من قولٍ أو فعلٍ ، وتذكرُ الآثارِ الطيبة للحياء ، والآثارِ القبيحة لقلة الحياء .

ومنها مجالسة أهل الحياء ، ومجانبةُ أهل الوقاحة ، ومجاهدةُ النفس ، وقراءةُ القرآن بالتدبر ؛ فإنه يهدي للتي هي أقوم ، والحياء من جملة ذلك .

ومنها تعاهدُ الإيمان وتقويتُه ؛ فإن الحياء من الإيمان ، وتحري الصدق ؛ فإنه يهدي إلى البر ، والحياءُ من البِر ، وتجنبُ الكذب ؛ فإنه يهدي إلى الفجور وقلة الحياء من الفجور .

ومن أسباب اكتساب الحياءِ الدعاءُ ، واستحضارُ حياء النبي ﷺ ومطالعةُ أخلاق الكمَّل من الرجال ، والتناصحُ والتواصي بالحياء ، وإشاعةُ روح الحياء في المجتمع ، والحرصُ على إزالة ما ينافي ذلك ، وتربية الأولاد على هذا الخلق العظيم .

اللهم اجعلنا من أهل الحياء ، وأعذنا من الوقاحة وسوء الأدب .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

## رمضان فرصة لترك التدخين

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد :

فإن التدخينَ وباءٌ خطير ، وشرٌّ مستطيرٌ ، وبلاءُ مدمرٌ .

وقد وقع في شَرَكِه فِئامٌ من الناس ، وكثيرٌ مِنْ أولئك يملكون قلوبًا حية ، وعواطفَ للإسلامِ قوية ، إلا أنهم بلوا بالتدخين .

وأكثرُ هؤلاءِ لا يكابرونَ في ضررِ التدخين ، ولا يشكُّون في أثرِهِ وحرمتهِ ، بل تراهم يؤمِّلونَ في تركهِ ، ويسعونَ للخلاصِ منهُ ؛ فلهؤلاءِ حقٌّ على إخوانهم أن يعينوهم ، ويأخذوا بأيديهم خصوصًا في هذا الشهر الكريم .

معاشر الصائمين : لو توجَّهنا بالسؤال إلى كلِّ مدخنٍ وقلنا له : " لماذا تدخن ؟ " لأجابوا إجاباتٍ مختلفةً ؛ فَمِنْ قائلٍ : أدخن إذا ضاق صدري ؛ كي أروِّح عن نفسي ، ومِنْ قائلٍ : أدخن كي أتسلى في غربتي ، وبُعدي عن أهلي ، إلى قائلٍ : أدخن إذا سامرت زملائي ؛ ليكتمل فرحي وأنسي ، إلى قائل : أدخنُ ؛ لأتخلصَ من القلقِ ، والتوترِ ، والغضبِ ، إلى قائل : أدخنُ مجاملةً للرفاقِ ، إلى قائلٍ : أدخنُ لفرط إعجابي بفلانٍ من الناسِ ، فهو يدخنُ وأنا أتابعه ، وأعملُ على شاكلتهِ ، إلى مسكينٍ يقولُ : تعلقتُ بهِ منذُ الصِّغرِ فعزَّ عليَّ تركهُ ، إلى مكابرٍ عنيدٍ يقول : أدخن لقناعتي بجدوى التدخين ؛ فلا ضررَ فيه ، ولا عيبَ ، ولا حرمة .

هذه – تقريبًا – هي الأسبابُ الحاملةُ على التدخين ؛ فإذا كانَ الأمرُ كذلك ، فاسمح أيها الأخُ المدخن بالحوار معكَ مدةً يسيرةً ؛ عسى أن نصل إلى نتيجة مُرْضِيَةٍ .

أخي الحبيب : ألستَ مقتنعًا من حُرْمَةِ التدخين ، ومن أثرِهِ البالغ ؟ ألا تفكر جادًّا في تركهِ إلى غيرِ رجعة ؟ ستقول : بلى ، ولكن آملُ أن أزدادَ قناعةً بضررِ التدخين ، وإمكانيةِ تركه ، ويقالُ لكَ : إليكَ ما تريد ، فأعِر سَمْعَك قليلًا ، وأَصْغِ فؤادك لما يقال :

أولًا : أيها الحبيب : تذكر قبلَ كل شيء أنك عبدٌ لله ، وأكْرِم بها من عبودية ،

فعبوديتُكَ لله تحررُكَ من كلِّ شيء حتى من نفسِكَ التي بين جَنْبَيك ، فتصبحُ حرًّا طليقًا عبدًا لربٍّ واحدٍ لا لأربابٍ متفرقين .

وإن مقتضى عبوديتك لله أن تُطيعَه فلا تعصيَه ، وذلك عنوان فلاحك وسعادتك ، إذا تقررَ هذا عندك ، فتذكر أن الدخانَ خبيثٌ ، وأنه تبذيرٌ وإسرافٌ ، وأنه قتلٌ للنفس ، وإلقاءٌ باليد إلى التهلكة ، وأنه إيذاء للمسلمين ؛ فهل هذه الأمور من طاعةِ الله ، أو من معصيتِه ؟

ثانيًا : التدخين يبعث على النفور منك ، ومن مجالستك ، بل والسلام عليك ؛ لأن رائحتك لا تشجع على شيء من ذلك .

ثالثًا : التدخين قد يتسبب في حرمانك من نعمة الذرية ؛ فهو يضعف النسل ، ويضعف القدرة الجنسية ، بل وربما قاد إلى العقم .

رابعًا : وإذا رزقت بأولاد فربما تعرضوا للتشويه ، ونقص النمو ، وزيادة العيوب الخلقية ؛ فللتدخين أثرٌ بالغٌ على صحة أولاد المدخن .

خامسًا : وإذا رزقت أولادًا فلا شك أنك ترغب في صلاحهم واستقامتهم ورجولتهم ، وإذا كنت مدخنًا ربما كانت النتيجةُ عكسَ ذلك ؛ فربما تسببت في إغوائهم ، وانحرافهم ؛ لأنهم مُولَعُون بمحاكاتك وتقليدك .

سادسًا : التدخين قد يَصْرِفُك عن برِّ والديك ، وصلةِ أرحامك ؛ لأنك تخشى عِلْمَهم بأنك تدخن ؛ فلهذا تتحاشى قُربَهم ، وتألفُ البعدَ عنهم ؛ فأي خير يرجى من عمل يتسبب في عقوق والديك وقطيعة أرحامك ؟

سابعًا : بالتدخين تساهم في خذلان أمتك ، ودعم أعدائها الذين يحاربونها ليل نهار .

وبفضل جهدك قد غدوت لصانعي تلك السموم السود خَيْرَ معين
تَحْبوهم المال الذي لولاه لم يجدوا السبيل لكيد هذا الدين

ثامنًا : بالتدخين تُقصِّر عمرك ، وتهدد حياتَك بالفناء ؛ فمعظم وفيات العالم الصناعي إنما هي بسبب التدخين ؛ حيث يموت سنويًّا في العالم بسبب التدخين وحده مليونان وخمسمائة ألف شخص ؛ فالدخان يجلب لك الموت العاجل ، فضلًا عن أن سنواتِ العمرِ الأخيرةَ تكون معاناةً من الأثر السيئ للدخان .

وقد أجمعت البحوث العلمية على أن السجائر هي من كبرى المهلكات التي تصيب الإنسان بالعجز ، وتهدده بالفناء .

تاسعًا : الدخان يحرمك السعادة الحقة ، ويوهمك بالسعادة المزيفة ؛ وإلا كيف يَسْعَدُ الإنسان وحياتُه مليئةٌ بالأسقام مهددةٌ بالأخطار .

عاشرًا : التدخين يؤثر على عقلك ، ويضعف تفكيرَك ، ويورثك البَلادَة ، وهذا مشاهد في الطلاب وغيرهم ، ولقد أجريت تجارب لاختبار الذكاء بين طلاب المدارس فتبين بشكل واضح أن المدخنين أقل ذكاءً ومقدرةً على الفهمِ من غيرهم ممن لا يدخنون .

الحادي عشر من أضرار التدخين : التدخين يعرضك للجلطة ، وتصلُّب الشرايين ، وموت الفجأة .

الثاني عشر : التدخين يؤذي عينيك أيما أذى ، فهو يزيد من احتمال إصابتها بالماء الأزرق ، ومرض إعتام العيون ، كما أنه يؤدي إلى التهاب الجفون ، وتَحسُّسِها ، بل ويؤدي إلى التهاب عَصَب الإبصار والعَمى .

الثالث عشر : التدخين يثلم مروءتَك ، ويُنْقِص من قدرك ، ويدل على ضعف إرادتك .

الرابع عشر : التدخينُ يثقِلُ عليك العبادةَ ، ويدعوك لمخالطة الأشرار والأراذل ، ويزهِّدك بالأكابر ، والأخيار ، والأفاضل .

الخامس عشر : التدخين يوهن قواك ، ويضعف قدرتَك ، ويورثك الخمول والكسل .

السادس عشر : لا يكاد عضوٌ من أعضاء المدخن يسلم من أضرار التدخين .

السابع عشر : التدخين سببٌ رئيسٌ للسرطان بأنواعه المتعددة ؛ فهو سبب لسرطان الرئة ، والحنجرة ، والشفة ، والبلعوم ، والمريء ، والبنكرياس ، والمثانة ، والكُلى .

الثامن عشر : التدخين يتسبب في تسوس الأسنان ، واصفرارها ، واسودادها ، ويتسبب في التهاب اللِّثَةِ ، وتقرُّحات الفمِ واللسانِ ، وتشويهِ الشفاه ، ووسخ الأسنان .

التاسع عشر : التدخين يسبب الربوَ ، وضيقَ النَّفسَ ، والسعالَ ، والبصاقَ ، وضَعفَ كفاءةِ الرئة ، وسوءَ الهضم ، وتليّفَ الكبدِ ، والسكتةَ الدماغيةَ ، والذبحةَ الصدريةَ ، وإصابةَ شرايينِ المخِّ بالتصلّب ، ويسبب الغثيانَ ، والإمساكَ المزمنَ ، والصداعَ ، والأرقَ ، والفشلَ الكُلويَّ ، وضعفَ السمعِ ، وفقدانَ حاسةِ الشم أو إضعافَها ، وضعفَ الجهاز المناعي ، والاستعدادَ للإصابة بأمراض خطيرة ، وزيادةَ أمراض الحساسية ، والتهاباتِ الجلدِ ، وقُرْحَة المعدة ، والاثني عشرَ .

العشرون : أن المدخنين –كغيرهم– عُرضَة لسائر الأمراض ، ولكنها تزداد لديهم ، وتتضاعف بسبب التدخين .

أيها الحبيب : ألم تقتنع بعد ؟ أليس فيما مضى ذكره عِبْرةٌ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ؟ ستقول –كعادتك– بلى ، ويقال لك : متى ستقلع عن التدخين إذًا ؟ ستقول : غدًا ، أو بعد غدٍ ، أو بعد ذلك سأحاول الإقلاع عن التدخين .

إذًا لعلك لم تقتنع بما قيل سابقًا ، بل ستستمر على التدخين ، ولن تقلع عنه ؟ ستقول : لا ، عفوًا ، إنني مقتنعٌ تمامَ الاقتناع بما مضى ولكن يصعب عليّ ترك التدخين ، وأخشى ألا أستمر على تركه .

إذًا ما الحل أيها الحبيب ، هل نقف معك أمام طريق مسدود ؟ ونرضى منك أن تواصل التدخين حتى يهوي بك في مكان سحيق ؟ ستقول : لا يا أخي لم يصل الأمر

إلى هذا الحد .

إذًا ما العمل ؟ ربما تقول : لعلي أسلك طريقًا آخر ؛ كي أنجو من أضرار التدخين ؛ حيث سأتحول عن التدخين إلى الغليون أو الشيشة ، فلعلها أقل ضررًا أو أهون خطرًا .

ويقال لك : ما أنت – والحالة هذه – إلا كالمستجير من الرمضاء بالنار .

أما علمت أن ما مضى ذكرُه من أضرار التدخين ينطبق على الشيشة والغليون ونحوها .

ربما تقول : إذًا سأنتقل إلى نوع خفيف من السجائر ذاتِ المحتوى المنخفض من النيكوتين والقطران ؛ فحنانيك بعض الشر أهون من بعض .

ويقال لك : إن هذه خُدعةٌ كبرى قد ثبت ضررها وعدم جدواها وذلك لما يلي :

– أن ذلك سببٌ لتدخينِ أكبرِ عددٍ من السجائر .

– وأن المدخنين في هذه الحالة يسحبون عددًا أكبر من الأنفاس من السيجارة الواحدة .

وأنهم يستنشقون الدخان بعمق ، ويحتفظون به أطول فترة ممكنة ، ليعوضوا نسبة النيكوتين التي فقدوها .

–وكل ذلك يؤدي إلى امتصاص المزيد من النيكوتين والقطران ، ويحدث هذا بطريقة لاإرادية ودون أن يشعر بها المدخن ؛ فكيف تلجأ إلى هذا الحل إذا ؟

أيها الأخ الحبيب للحديث معك بقية –إن شاء الله– وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد .

## رمضان فرصة لترك التدخين

الحمد لله معين الصابرين ، والصلاة والسلام على إمام المتقين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فقد كان الحديث الماضي يدور حول أضرار التدخين ، والحديث هاهنا سيكون حول السبل المعينة على تركه ، فيا أيها المدخن : ربما تقول بعد ذلك : لقد أعيتني الحيل ، وضاقت بي السبل ، ولم أستطع ترك التدخين .

ويقال لك : لا ما أعيتك الحيل ، ولا ضاقت بك السبل ، فلكل داءٍ دواءٌ ، ولكل مُعْضِلةٍ حلٌّ ، وما من قُفْلٍ بلا مفتاح وإلا فما هو بقفل .

تقول ما هو الحل ؟

ويقال لك : أن تقلع عن التدخين فورًا ، وأن تهجره بلا رجعة .

ستقول بزفرة ، ولهفة ، وأمل ، وشوق ، كيف الوصول إلى ذلك السبيل ، وكيف النجاة من هذا الداء الوبيل ؟ وما العلاج الناجع ، والدواء النافع ، من هذا السم الزعاف الناقع ؟

يقال لك حينئذٍ : أيها الحبيب ، كلّ ما تريده ستجده طالما بحثت عنه ، وسعيت له سعيه ، وطرقت أبوابه ، وأخذت بأسبابه ، فأعِرْ سمعك ، وافتح قلبك ، فستجد –إن شاء الله– ما يشفي عِلَّتك ، ويروي غُلَّتك ، فمِمَّا يعينك على ترك التدخين ما يلي :

أولًا : استحضار أضرار التدخين ، واستحضار حرمته في الدين .

ثانيًا : التوبة النصوح ؛ فتب إلى ربك ، وعد إلى رشدك ، قبل أن يُتْلِف التدخين جسدك ، وقبل أن يفجأك الموتُ على غِرَّةٍ منك ، فأقدم غير هيَّاب ، ولا وَجِل ، ولا متردد ، وإياك والتأجيلَ ؛ فإن التأجيل ذنبٌ يجب أن تتوب منه .

ثالثًا : استعن بالله وفوّض أمرك إليه ، والتمس إعانته ولطفه ، وتضرع إليه بالدعاء ، واسأله بصدق وإخلاص وإلحاح أن يعينك على ترك التدخين .

رابعًا : أقبل على الله بالمحافظة على الصلاة ؛ فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ،

وأقبل على الله بالصيام ؛ فإنه علاج نبوي يهذّب النفس ، ويسمو بالخلق ، ويقوي الإرادة ، ويعين على محاربة الهوى ، وأقبل على كتاب ربك ؛ ففيه الهداية للتي هي أقوم ، وأكثر من ذكر الله ﷻ ففيه الطمأنينة والسكينة ، واستعذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ فإن الشيطان هو الذي يزيِّن لك المعصية ؛ فإذا استعذت بالله من الشيطان بصدق ، أعاذك الله منه .

خامسًا : استحضر الثمرات الحاصلة بترك التدخين .

سادسًا : تذكّر أن مَنْ ترك شيئًا لله عوّضه الله خيرًا منه ، وأن العِوَضَ أنواع مختلفة ، وأجل ما تعوَّض به : الأنس بالله ، ومحبته ، وطمأنينة القلبِ بذكره .

سابعًا : تذكّر الأجرَ المترتبَ على ترك التدخين ؛ فكما أن ثوابَ الطاعةِ الشاقة أعظمُ مما لا مشقة فيه ، فكذلك ثوابُ تركِ المعصية إذا شقَّ وعَظُمَ .

ثامنًا : وتذكّر أنك بترك التدخين تنقذ نفسك من ضرر محقق .

تاسعًا : تذكّر لذة الانتصار على النفس ، ومخالفة الهوى ؛ فإن تلك اللذةَ أعظمُ من لذة كاذبة عابرة .

عاشرًا : قارن بين لذة التدخين –إذا كان فيه من لذة – بالضرر البالغ الذي يحصل من جرَّائه ، حينئذٍ يتبين لك الغبن ، فكيف– إذًا – تُقْدِمُ على لَذَّةٍ وهميةٍ سريعةِ الزوال يكون بعدها هلاكك وعطبك ؟

الحاديَ عشرَ مما يعين على ترك التدخين : العزيمةُ الصادقةُ ، والإرادة القوية ، التي هي عنوان عظماء الرجال .

الثانيَ عشر : الصبر ؛ فالذي يريد ترك التدخين قد يجد مشقة كبرى خصوصًا في بداية الأمر ؛ فالإقلاع عن التدخين ثقيل على النفس ، ولكنه ليس متعذِّرًا ولا مستحيلًا ، والصعوبةُ في تركهِ تَكْمُنُ في ضغط العادة ، ولأن كثيرًا من المدخنين – وخصوصًا المُفرِطين منهم– يشعرون بالكآبة في الأسابيع التالية لإقلاعهم عن التدخين ، إلى جانب معاناة الرغبة الشديدة في التدخين ؛ ذلك أن نتائجَ تركِ التدخين ربما تتضمن

الخمولَ ، وشدةَ التوترِ ، وسرعةَ الغضبِ ، والقلقَ ، والنومَ المتقطعَ ، وصعوبةَ التركيزِ الذهنيِّ ، وأعراضًا أخرى في المعدة والأمعاء ، مع انخفاض في الدم ، ومعدل النبض العام .

ومع هذا فبعض تلك النتائج قد يكون نفسيًّا فقط ، وقد لا تظهر تلك الأعراض إذا كانت العزيمةُ صادقةً ، والإرادةُ قويةً .

ثم إن تلك المشقة لا تزال تَهُونُ شيئًا فشيئًا إلى أن يألف المدخن ترك التدخين .

قال ابن القيم –رحمه الله– : " إنما يجد المشقة في ترك المألوفات والعوائد مَنْ تركها لغير الله ، أما من تركها مخلصًا من قلبه لله ، فإنه لا يجد في تركها مشقة إلا في أول وهلة ، ليُمْتَحن أصادق هو في تركها أم كاذب ؛ فإن صبر على ترك المشقة قليلًا استحالت لذة " ا هـ .

فيا أيها الحبيب تجرَّع مرارةَ الصبر ، وغُصَصَ الحرمان في البداية ؛ لتذوق الحلاوة ، وتحصل على اللذة الحقيقية في النهاية .

والصبر مثل اسمه مرٌّ مذاقَتُه  لكنْ عواقِبُهُ أحلى من العسل

واعلم أن الصَّابرَ معان من الله ، قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه : ﴿ ومن يتصَبَّرْ يُصَبِّره الله ﴾ [1] .

واستحضر أن الصبرَ عن التدخين أسهلُ بكثيرٍ مما يوجبه التدخين ، فإنه يورث ألمًا ، وعقوبةً ، وهمًّا ، وغمًّا ، وندامةً ، وذلًّا ، وضررًا – كما مرَّ– .

الثالث عشر من الأمور المعينة على ترك التدخين : الحذرُ من اليأس ، فقد تحاول تركَ التدخين مرةً أو أكثر فلا تفلح ، وقد تتركه فترةً ثم ترجع إليه مرةً أخرى ؛ فربما قادك ذلك إلى اليأس ، وربما ألقى الشيطانُ في قلبك أنْ لا سبيل إلى ترك التدخين ،

(١) البخاري الزكاة (١٤٠٠) ، مسلم الزكاة (١٠٥٣) ، الترمذي البر والصلة (٢٠٢٤) ، النسائي الزكاة (٢٥٨٨) ، أبو داود الزكاة (١٦٤٤) ، أحمد (٩٤/٣) ، مالك الجامع (١٨٨٠) ، الدارمي الزكاة (١٦٤٦) .

وأنَّ كلَّ محاولةٍ منك ستبوء بالإخفاق ؛ فإياك أن يَدبَّ هذا الشعورُ إليك ، أو أن يجد منفذًا إلى قلبكَ ، بل حاول مرةً بعد أخرى ، ولا تيأسنَّ مهما حاولت وأخفقت ، فلعلك إن أخفقت مراتٍ نجحت في آخر المطاف ، بل من الناس من ينجح في أول محاولة جادة .

الرابعَ عشرَ : البعد عن رفقة السوء ، وعن كل ما يذكر بالتدخين ، من فراغٍ ، ورؤية مدخنين ، أو شم دخان .

الخامسَ عشَر : لا تلتفت إلى هؤلاء ؛ فقد تبتلى بأناس يخذِّلونك إذا رأوك هَممتَ بترك التدخين ، فربما عوَّقوك ، ووضعوا العراقيلَ والصعوباتِ في طريقك ، فلا تلتفت إلى هؤلاء ، بل أدِرْ ظهرَك لهم ، وتوكل على ربك ، واستشعر روح التحدي والإصرار ، وستصل إلى غايتك بإذن الله .

السادسَ عشرَ : وإذا ضَعفتْ نفسك عن ترك التدخين فورًا ، ولم تستطع أن تهجره مباشرة بلا رجعة فلا أقل من أن تتدرج ، وتمضي في طريقك لِتركه ، فتقلل من شربه ، إلى أن تتركه بالكلية ، ومما يعينك على ذلك أن تدع المجاهرة في شربه ؛ لأن المجاهرة تقودك إلى شربه في كل مكان .

ومن ذلك أن تمكث في أماكن تعينك على ترك التدخين كأن تجالس الأخيار والصالحين ، وأن تتردد على الوالدين ، وعلى من تستحيي من التدخين أمامهم ؛ فذلك يبعدك ، ويسليك عن التدخين إلى أن تعتاد تركه والسلوَّ عنه .

السابعَ عشرَ : عرض الحال على من يعين ، سواء كان طبيبًا ناصحًا ، أو من تتوسم فيه الخير والصلاح ، والنصح ، فستجد عنده ما يعينك على الخروج من مأزقك .

وأخيرًا نسأل الله أن يعينك ، وأن يهديك لأرشد أمرك ، وأن يحبب إليك الإيمان ، ويزينه في قلبك ، وأن يكره إليك الكفر والفسوق والعصيان ، ويجعلك من الراشدين .

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد .

# فهرس الآيات

أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ..... ١١٤
أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه..... ١٢٣
أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ..... ٤٥
إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ..... ٢٥
ألم تر كيف فعل ربك بعاد ..... ٦٠
إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ..... ٤٥
إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس..... ٩٨
إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات..... ١٤٤
إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من..... ١٤
إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه..... ١٠
إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين..... ١١٦
ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن..... ٢٥
التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون..... ٢٦
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات ..... ١٤٤
الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ..... ١٥٤، ١٦٤
الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار ..... ١٣٣
خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ..... ١٦٥
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت ..... ١١٥
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم ..... ٤٣
فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا ..... ١٤٤
فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ..... ٤٧
فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا ..... ٦٦
فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك..... ١٥٢
فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من ..... ١١
فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا..... ٢٦

فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر..... ٣٥
فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس..... ٦٢، ١٢٥
فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا..... ١١، ٤٨
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ..... ١٤، ١٦٧
فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ..... ٥٠
قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي..... ٥٤
قالت إحداهما ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين..... ٦٢
قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما ..... ٢٥
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون..... ١١، ١٤
قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين ..... ٣٠، ١٥٥
قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله ..... ٨٧
قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن..... ٤٥
كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون .....١٣٩
كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون..... ٢٥
لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر..... ٧٤
لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ..... ٤٥
ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد ..... ٤٨
ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون ..... ٢٥
ليلة القدر خير من ألف شهر.....١١٦
محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم..... ٦٢
من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له.. ٧٧
من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا.....١٣٢
وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة ..... ٦٤
وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا .....١٣٤
وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله ..... ٦١
وأنذر عشيرتك الأقربين .....٢٦، ٥٢
وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون..... ٤٤
واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين..... ٦٨

واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى..... ٣٠، ٨٠
والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر..... ٢٥
والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا ..... ٧٤، ١٦٣
والضحى..... ٢
والعصر ..... ٢
والليل إذا يغشى..... ٢
وبالأسحار هم يستغفرون .....١٣٣
وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن ..... ٣٩
وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين..... ٢٥
وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون .....١٥٤
وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون .....١٣٥
وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك ..... ٣٠
ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح ..... ١٠
ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك.....١٥٣
ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء..... ١٦
وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة..... ١٦
ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين .....٢٧، ٢٩
ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى .....١٢٦
ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما..... ٤٤
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره.....١٦٧
ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب ..... ٦١
وناديناه أن ياإبراهيم..... ٣٦
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون..... ٤٤
ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ.....١٥٩
ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا .....١٦٦
ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا .....١٤٤
ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة..... ٩٨
ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ..... ٣٩، ٦٦، ٧٢

يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن ..... ١٤١
يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ..... ٢٦
يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ..... ٢٥
يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ..... ٥٠
يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ..... ١١
يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه ..... ٦
يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز..... ١٣٢
يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ..... ٩٣
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن ..... ١٤

# فهرس الأحاديث

أتى رجل إلى النبي فقال يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، ..... ٥٥
إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب؛ فإنما هو استدراج..... ٤٨
إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله..... ٩٤
إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب ..... ٩٢
أعجز الناس من عجز من الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام ..... ١٣٦
ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير ..... ١٤٥
إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه..... ٣٧
إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم..... ٧
إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت هذا مقام العائذ..... ٥١
إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين ..... ١٣٢
إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي..... ١٤١
إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل..... ١٦٠
إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد..... ١٤
أنا مع عبدي ما ذكرني، وتحركت بي شفتاه ..... ١٤٩
إنما الصوم جنة أي وقاية فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، ولا يجهل .... ٦٦
أنه لما بايع النبي مع طائفة من أصحابه قالوا فعلام نبايعك؟ قال على ..... ٩٥
إني امرؤ صائم..... ١٥٤
إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث..... ١٦٦
اشفعوا تؤجروا ..... ٧٧
الدعاء هو العبادة..... ١٣٥
الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل فقال أبو بكر فكيف الخلاص منه..... ٤٧
الصوم جنة..... ٧٠
الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس..... ٣١
تبسمك في وجه أخيك صدقة ..... ١٦٧
تحملت حمالة، فأتيت رسول الله أسأله فيها فقال أقم حتى تأتينا الصدقة؛..... ٩٦
تسحروا؛ فإن في السحور بركة ..... ١٣١، ١٣٢
جاء رجل إلى النبي فقال يا رسول الله، أوصني، قال لا تغضب ..... ١٦٤

جاء رجل إلى النبي يشكو جاره فقال له اطرح متاعك في الطريق قال فجعل ..... ٨٢
سألت رسول الله عن نظر الفجأة فأمرني أن أصرف بصري ..... ٨٦
سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله ..... ٢١
سبق المفردون قالوا يا رسول الله، ومن المفردون؟ قال الذاكرون الله كثيرا .....١٤٥
عن ابن مسعود أنه قال سألت رسول الله أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ ..... ٣١
فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر .....١٣٢
فليحسن إلى جاره ..... ٨٣
قال الله كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا .....١٦٠
قيل يا رسول الله إن فلانة تصلي الليل، وتصوم النهار، وفي لسانها شيء ..... ٨٢
كان النبي يعتكف في العشر الأواخر من رمضان.....١١٧
كان رسول الله أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل..... ٧٤
كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع ..... ٩٨
كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن .....١٤٩
لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب .....١٤٧
لأن يأخذ أحدكم أحبلا، فيأخذ حزمة من حطب؛ فيكف الله به وجهه ــ خير من ..... ٩٥
لا تؤذي بلسانها جيرانـــها ..... ٨٢
لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، .....١٠٢
لا يدخل الجنة قاطع ..... ٥٠
لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه..... ٨١
لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور .....١٣٢
للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه .....١٦٠
لله أفرح بتوبة العبد من رجل نـــزل منـــزلا، وبه مهلكة، ومعه راحلته عليها..... ٤٦
ليس الغنى عن كثرة العرض؛ وإنما الغنى غنى القلب .....١٢٣
ليس شيء أكرم على الله من الدعـــاء.....١٣٥
ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ..... ٨٠
ما على الأرض أحد يقول لا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة.....١٤٧
ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن ..... ٦
ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل، أو كف عنه من سوء مثله؛.....١٣٦

ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله ..... ٩٩
ما من مؤمن ينصب وجهه لله يسأله مسألة إلا أعطاه الله إياها، إما عجلها.....١٣٧
ما من مسلم يدعو ليس بإثم ولا بقطيعة رحم؛ إلا أعطاه الله إحدى ثلاث.....١٤٢
ما من يوم يصبح فيه العباد، إلا وملكان ينـــزلان فيقول أحدهما اللهم أعط ..... ٧٥
ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة، وليس في وجهه مزعة لحم ..... ٩٥
من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج ومن لم.....٨٥، ٨٨
من سأل الناس تكثرا فإنما يسأل جمرا؛ فليستقل أو ليستكثر ..... ٩٥
من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه ..... ٥٠
من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر .....١٤٨
من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ..... ١٧
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره..... ٨١
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله..... ٨٣
من لم يسأل الله يغضب عليه.....١٣٥
من يستغن يغنه الله، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما ..... ٩٥
وإنما يذر شهوته ..... ١٧
والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك؛ يترك طعامه..... ١٧
والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله؟ قال ..... ٨١
ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ..... ٢١
ولا يجهل..... ٩٢
وللصائم فرحتان فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه..... ١٣
وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا .....١٦٣
ومن تواضع لله رفعه .....١٦٣
ومن يتصبر يصبره الله.....١٨٠
ومن يتصبر يصبره الله، ومن يستعفف يعفه الله.....١٦٢
يا أبا موسى، أو يا عبد الله بن قيس، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة.....١٤٧
يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ..... ١٧
يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ فمن عمل عملا فأشرك فيه ..... ١٦
ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل.....١٣٣

# الفهرس


أياما معدودات ..... ٢
وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ..... ٥
رمضان شهر الفرح..... ١٠
الصوم والإخلاص ..... ١٥
الصوم والإخلاص ..... ٢٠
رمضان شهر الدعوة..... ٢٤
رمضان شهر البر ..... ٣٠
رمضان شهر البر ..... ٣٤
رمضان شهر الصحة..... ٣٩
رمضان شهر التوبة ..... ٤٤
رمضان شهر الصلة..... ٥٠
رمضان شهر الصلة..... ٥٦
رمضان شهر القوة..... ٦١
شهر الصيام آثاره وأسراره..... ٦٦
شهر الصيام آثاره وأسراره..... ٧١
رمضان شهر السخاء والجود..... ٧٦
حقوق الجار..... ٨٣
فإنه أغض للبصر ..... ٨٨
فإنه أغض للبصر ..... ٩١
أثر الصيام في اكتساب العزة..... ٩٦
رمضان وتربية الأولاد ..... ١٠٢
رمضان وتربية الأولاد ..... ١٠٨
رمضان وتربية الأولاد ..... ١١٤
ليلة القدر ..... ١٢٠
سر الاعتكاف ومقصوده وآدابه..... ١٢١

رمضان شهر الحرية ..... ١٢٥
رمضان شهر الحرية ..... ١٣٠
في السحور بركة ..... ١٣٥
رمضان شهر الدعاء ..... ١٣٨
رمضان شهر الذكر ..... ١٤٨
من فضائل الحلم ..... ١٥٥
رمضان شهر العفة ..... ١٥٩
من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه ..... ١٦٣
من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه ..... ١٦٧
من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه ..... ١٧١
تقسيمات وضوابط في الحياء ..... ١٧٥
رمضان فرصة لترك التدخين ..... ١٧٩
رمضان فرصة لترك التدخين ..... ١٨٤
فهرس الآيات ..... ١٨٩
فهرس الأحاديث ..... ١٩٣
الفهرس ..... ١٩٦